

كتاب

[illegible]

تاليف

المعلم اسكندر ابكاريوس

الارمنى





الحمد لله الذى جعل الاولين عبرةً للآخرين وبعدُ فيقول العبد الفقير
الى مولاهُ الغنىّ * اسكندر بن يعقوب بن ابكار الارمنى * اننى لما رايت
اقبال الناس فى ديارنا الشاميّة * الى معرفة اخبار العرب الجاهليّة *
شمّرتُ ساعد العزم والجهاد * الى التقاطها من كل شعبٍ وواد *
فجاءت بحمد الله زبدةً صافية * كافيةً فى بابها وافية * وقد جمعتها
فى هذا الكتاب المسمّى نهاية الأرب * فى اخبار العرب * وانا ارجو ممن
وقف عليهِ من اهل النظر * ان يتجاوز عمّا زلّت بهِ القدم او زاغ عنهُ
البصر * فاقول وبالله التوفيق

ان العرب ينقسمون الى ثلثة اقسام بايدة وعاربة ومستعربة اما العرب
البايدة فكانوا سبع قبايل وهى عاد وثمود وصحار وجاسم ووبار وطَسّم
وجَدِيس وكانت مساكنهم بعُمَان والبحرين واليمامة فانقرضوا كلهم
الا بقايا من طسم وجديس ممن سلم بعد غدر بنى جديس بعملاق ملك

طسم واصحابه وابادة حسّان بن تُبّع بثارة عليهم وقد ذهبت عنا تفاصيل اخبارهم لتقادم عهدهم ولم يبقَ من ذكرهم الا القليل واما العرب العاربة فهم بنو قحطان وكانت مساكنهم بالحجاز ومنهم بنو عبد شمس الملّقب بسَبَأ لكثرة سَبيهِ وهو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان ولهُ عدّة اولادٍ منهم حِمْيَر وكهلان وعمرو واشعر وعاملة وهو الذي بنى مدينة مأرب التي تُعرَف بمدينة سَبَا ومن بني حِمْيَر بن سَبَأ التبابعة ملوك اليمن ومنهم بنو قضاعة بن مالك بن حمير وهم احياءٌ كثيرة والمشهور منها ثمانية وهي كلب وبلى وتَنُوخ وبهراء وجُهَيْنَة وسليح ونَهد وعُذْرَة وكانوا اعزاء في الجاهلية وصار من بني كهلان بن سبا احياءٌ كثيرة والمشهور منها سبعةٌ وهي الازد وطي ومذحج وهمذان وكندة ومراد وانمار ومن بطون الازد الغساسنة ملوك الشام والاوس والخزرج وخزاعة وبارق ودوس والعتيك وغافق ومن بطون طي جديلة ونبهان وبولان وسلامان وهنى وسُدوس ومن بطون مذحج خولان وجنب واَوَد والنَخع وعنس وسعد العشيرة ومن بطون كندة السكاسك والسكون ومن بطون سعد العشيرة جُوف وزبيد ومن بطون انمار بجيلة وخثعم ومن بني عمرو بن سبا لَخم وجذام ومن بني لخم المناذرة ملوك الحيرة وبنو عبد الدار واما بنو عمرو واشعر وعاملة ومن يليهم من البطون والافخاذ فقد غمضت انسابهم لتقادم العهد بهم وربما تخلّف من ينتسب اليهم كالاشعريين والمراديين وغيرهم واما العرب المستعربة فهم بنو اسمعيل بن ابراهيم الخليل الذي كانت لغتهُ عبرانية فلما استعربوا قبل

لهم ذلك ومن العرب المستعربة نزار بن مُعَدّ بن عدنان بن أُدّ بن أُدَد بن اليَسَع بن الهَمَيْسَع بن سليمان بن نابت بن اسمعيل وولد لنزار اربعة اولاد وهم اياد وربيعة وانمار ومُضَر وكانوا قد تنازعوا بعد ابيهم على تركتهِ فتدافعوا الى حَكَمٍ يفصل بينهم فجعل لأياد الجوارى والاماءَ فقيل له اياد الشمطآء وجعل لربيعة الخيل فقيل له ربيعة الفَرَس وجعل لانمار الحمير والمواشي فقيل لهُ انمار الحمار وجعل لمُضَر حمر النعم فقيل لهُ مُضَر الحمراء وفارق اياد الحجاز وسار الى العراق باهلهِ والمشهور من بطونهِ بنو ثَقِيف الذين منهم أُميّة بن ابى الصلت الثقفيّ وقيل هم من بقايا ثمود وهم اهل الطائف ومن بطون ربيعة اسد وبَكْر وتغلب وشيبان وحنيفة وعنزة ولُجَيم وعجل وعبد القيس وسَدوس وذهل والنمر واللهازم وقيس وغيلان وتيم الله ويشكر ومن بطون مُضَر مُزَينة وصعصعة وهلال وهذيل وملكان وعضل وغفار والليث والحرث ومدلج وضُمرة وفِراس وهوازن وتميم وسعد وكلاب وسَهم وزهرة وعُقَيل وعامر وجُشَم وضبّة ونُمَير وباهلة ومازن وغَطَفان وعبس وذبيان وفزارة وعدوان وخِندِف وكنانة وقُرَيش ومحارب والخلج وخفاجة وعدى والرباب والادرم وجُمَح وتيم ومخزوم وأُمَيّة وسليم واما انمار بن نزار فرحل الى اليمن وتناسل بنوهُ فى تلك الاطراف وحُسِبوا من العرب اليمانية وكانت العرب على انحاءٍ شتّى فى العقايد الدينية فمنهم مَنْ انكر الخالق والبعث ومنهم من اقرّ بالخالق وانكر البعث ومنهم من اقرّ بالخالق وعبدَ الاصنام يزعم انها تشفع لهُ عند الله فى الآخرة وكانوا يحجّون

اليها ويهدون لها الهدايا ومن العرب من كان يميل الى النصرانية ومنهم من يميل الى اليهودية ومنهم من يعتقد التناسخ وكانوا يفتخرون بالشجاعة والكرم والفصاحة ونظم الشعر والوفاء بالعهود والمحافظة على الانســـــاب

فصـــل

فى ملوك عرب اليمـــن

اول من ملك ارض اليمن ولبس التاج قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح بن لامك بن ماتوشالح بن اخنوخ بن يارد بن مهلايل بن قينان بن انوش بن شيت بن ادم وكان ملكهُ قبل عهد الاسكندر بن فيلبس المكدونى بنحو الف وسبعماية سنة وكان عادلاً محمود الطريقة حسن السياسة فى الرعية كثير السماحة وفيه يقول بعض الشعرآء

فما مثل قحطان السماحة والندى ولا كابنهِ ربّ الفصاحة يعربِ

ولما مات قحطان ملك بعدهُ ابنهُ يعرب وفى السنة الاولى من ملكهِ غزا بلاد الحجاز فانتصر على اهلها واسر عدةً من ملوكها واخذ منهم الجزية ولما ثبت ملكهُ فى تلك البلاد فوّض ولايتها الى اخيهِ جرهم ورجع الى بلادهِ سالمًا غانمًا فاحبّتهُ الرعية ورفعت منزلتهُ فوق ما كانت عليهِ وقيل ان يعرب المذكور هو اول من نطق بالعربية وكان من الفصاحة على جانب عظيم وهو الذى ذكرهُ حسّان بن ثابت الانصارىّ بقولهِ

تعلّمتمُ من منطق الشيخ يعربٍ   ابينا فصرتم معربين ذوى نفـــرِ
وكنتم قديمًا ما لكم غير عجمةٍ   كلامٌ وكنتم كالبهايم فى القفـــرِ

ورايت فى بعضِ المجاميع ان يعرب لقبٌ غلب عليهِ لاستنباطهِ العربية وان اسمهُ يَمَن وبهِ سُمّيَت البلاد والصحيح ان البلاد سُمّيَت باليمن لوقوعها عن يمين الكعبة اذا استقبلت المشرق كما سُمّيَت الشام باعتبار وقوعها عن شمال الكعبة وكان يعرب مغرمًا بالبنآء وهو اول من أبتدا بعمارة المدن فى اليمن وكان حكيمًا لبيبًا قيل لما حضرتهُ الوفاة احضر بنيهِ واوصاهم بحسن السيرة والسلوك بين الرعية وقال لهم يابَنِيّ تعلّموا العلم واعملوا بهِ واتركوا الحسد عنكم ولا تلتفتوا اليهِ فانه داعية القطيعة بينكم وتجنّبوا الشرّ واهلهُ فان الشرّ لا يجلب عليكم الا الشرّ وانصفوا الناس من انفسكم فانهم ينصفونكم من انفسهم واجتنبوا الكبريآء فانها تبعد قلوب الرجال عنكم وعليكم بالتواضع فانهُ يقرّبكم من الناس ويحبّبكم اليهم واذا استشاركم مستشيرٌ فاشيروا عليهِ بما تشيرون بهِ على انفسكم فى مثل ما استشاركم فيهِ فانها امانةٌ قد القاها فى اعناقكم وانشأ يقول

اوصّيكم بما وصّى اباكـــم   ابوهُ عن ابيهِ عن الجـدودِ
اريعوا العلم ثم تعلّمـــوهُ   فما ذو العلم كالغرّ البليـــدِ
ولا تصغوا الى حسدٍ فتغووا   غواية كل محتبـلٍ حسودِ
وذودوا الشرّعنكم ما استطعتم   فليس الشرّ من خُلق الرشيدِ
وكونوا منصفيـــن لكل دانٍ   لينصفكم من القاصى البعيدِ

وباب الكبر عنكم فاتركوهُ فان الكبر من شيم العبيدِ
عليكم بالتواضع لا تزيدوا على فضل التواضع من مزيدِ
وان الصفح افضل ما ابتغيتم بهِ شرفًا من الملك العتيدِ
وحقّ الجار لا تنسوهُ فيكم تنالوا كل مكرمةٍ وجودِ

وكان ملك يعرب ثلثًا وثلثين سنة ولما مات ملك بعدهُ ابنهُ يشجب وكان ضعيف الراى واهى العزيمة كثير الغفلة قليل المعاقبة على الذنوب ولما مات يشجب ملك بعدهُ ابنهُ عبد شمس الملقَّب بسَبَا وكان ملكًا مهيبا كثير الغزوات شديد التيقظ فى حروبهِ مكرمًا لجنودهِ وحاشيتهِ غزا الديار المصرية مرارًا واكثر المصاب فى اهلها وحمل السبايا الى بلاد اليمن واقتاد الاسرى وكانوا ينيفون على عشرة الاف اسير ولم يفعل قبلهُ احدٌ من الملوك ولذلك قيل لهُ سبا وهو الذى اغار على بابل وفتحها واخذ اتاوتها وفيهِ يقول الشاعر

لقد ملك الآفاق من حيث شرقها الى الغرب منها عبد شمس بن يشجبِ
سعى بالجياد الاعوجيَّة والقنا الى بابلٍ فى مقنبٍ بعد مقنبِ

وكان لا يسمع ببلدٍ الا قصدها واستفتحها فاستظهر على كثير من البلاد وهو الذى بنى السُدَّ فى ارض مارب وفجَّر اليهِ سبعين نهرًا وساق اليه السيول من امدٍ بعيد وكان ملك سبا خمسًا وثلثين سنة ولما مات ملك بعدهُ ابنهُ حِمْيَر فعاش عمرًا طويلاً وبنى مدنًا كثيرة وفتح بلادًا عديدة حتى بلغ حكمهُ على ما قيل الى اوايل حدود الصين وهو الذى احرج ثمود من اليمن الى الحجاز وكان ملكهُ خمسًا وثمانين سنة ثم ملك

بعدهُ ابنهُ واثل ثم السكسك بن واثل ثم يعفر بن السكسك ولما مات يعفر كان ولدهُ النعمان حديث السن وقيل بل كان جنينًا في بطن امهِ وولد بعد ابيهِ باربعة اشهر فتولى رياسة المملكة عامر بن باذان بن عوف بن حمير نيابةً عن ابن الملك وكان عامر المذكور يلقب بذى رياش قيل لهُ ذلك لانهُ كان يلبس كل يومٍ اربع حلل من الثياب الثمينة وكان يسكن مدينة صنعاء وهي من اعظم مدن اليمن وكانت تخت ملوكهم في ذلك العصر ولما استقرَّ لهُ الامر واطاعتهُ الناس واشتهر ذكرهُ في البلاد ظنَّ انهُ لم يبقَ لهُ منازعٌ فعزم على قتل ابن الملك طمعًا في الملك ان يكون لذريتهِ من بعدهِ فلما بلغ اعيان حمير ما عزم عليهِ انكروا ذلك وخلعوا طاعتهُ واجتمعوا الى النعمان بن يعفر وبايعوهُ بالملك وحدث بينهُ وبين ذى رياش وقايع كثيرة قُتِل فيها خلق كثير وكانت النصرة للنعمان فانهزم ذو رياشٍ اقبح هزيمةٍ وكان اخر العهد بهِ وكانت مدة اقامتهِ على كرسيّ المملكة اثنتي عشرة سنة وتولّى على المملكة بعدهُ النعمان بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير بن سبا وكان لبيبًا حازمًا رفيع المنزلة عظيم السطوة غزا غزوات كثيرة وظفر بها وكان يلقب بالمعافر لقولهِ

اذا انت عافرت الامور بقدرةٍ بلغت معالى الاقدمين المقاولِ

وكان ملكهُ اربعًا واربعين سنة ثم تُوفيّ فتولّى الملك بعده ابنهُ اسحٍ فلما توفى قام بعدهُ شدّاد بن عاد بن الملطاط بن سبا فاجتمع لهُ الملك وغزا البلاد حتى بلغ اقصى المغرب وبنى مدنًا كثيرة ومصانع عديدة وابقى

اثارًا عظيمة ولما توفى ملك بعدهُ اخوهُ لقمان بن عاد وكان عادلًا شجاعًا سديد الراى وعاش عمرًا طويلًا ثم ملك بعدهُ اخوهُ ذو سَدَد ثم الحرث بن ذى سدد وقيل هو ابن قيس بن صيفى بن سبا الاصغر وهو تُبَّع الاول وكان يلقب بالرايش لانهُ كان قد غزا البلاد فاصاب الغنايم وادخلها ارض اليمن فراش اهلها بذلك واصلح احوالهم ثم ملك بعدهُ ابنهُ الصعب الملقب بذى القرنين لضفيرتين من شعرهِ كان يرسلهما على قرنيهِ اى جانبى راسهِ وكان كثير الاسفار والغارات ثم ملك بعدهُ ابنهُ ابرهة الملقب بذى المنار فغزا بلاد السودان وقهر اهلها وهو اول من ضرب المنار على الطرق فى غزواتهِ ليهتدى بها فى رجوعهِ ثم ملك بعدهُ ابنهُ افريقس فغزا ارض المغرب وبنى بها مدينةً عظيمة وابعد الغارة فى تلك البلاد الى اقصى العمران ثم ملك بعدهُ اخوهُ عمرو الملقب بذى الاذعار قيل لهُ ذلك لانهُ حمل النسناس الى بلاد اليمن فذعر الناس منهُ وكان عاتيًا شديد التكبر قبيح السيرة وكان ابوهُ ابرهة ذو المنار قد اوصاهُ عند موتهِ بحسن السلوك بين الرعيه والقيام بحق المملكة وانشا يقول

يا عمرو انك ما جهلت وصيَّتى ... اياك فاحفظها فانك تُرشَدُ
يا عمرو لا والله ما ساد الورى ... فيما مضى الا المعين المرفدُ
يا عمرو من يشرى العُلى بنوالهِ ... كرمًا يقال لهُ الجواد السيّدُ
كل امرئٍ يا عمرو حاصد زرعهِ ... والزرع شيءٌ لا محالة يُحصَدُ
واصِل ذوى القربى وخطأهم انهم ... بهمِ تذلُّ الابعدين وتُكمِدُ

فلم يحفل بوصية ابيهِ وتمادى على البغى وبالغ فى نكاية الرعية فكرهتهُ حمير وخلعت طاعتهُ وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعد خلعهِ شرحبيل بن عمرو بن غالب بن المنتاب بن ذيد بن يعفر بن السكسك بن واثل بن حمير وكان عادلاً شجاعًا شديد الباس والنجدة وهو الذى بنى القصر المعروف بغمدان فى ظاهر صنعآء وهو قصرٌ عظيمٌ رفيع البنآء اقامهُ سبع طبقات فكان ارتفاعهُ عجيبًا وابدع فيهِ ما لا يوصف من الزخارف والصنايع الغريبة وكان مسكن شرحبيل المذكور فى مدينة مأرب الى الجنوب الشرقى من صنعآء فلما بنى هذا القصر انتقل اليهِ وصار دار الملك من بعدهِ لملوك اليمن وكانت مدة ملك شرحبيل المذكور عشرين سنة ولما مات قام بالمملكة بعدهُ ابنهُ الهدهاد وكان يحب التنعم والملاهى فلما توفى ملكت ابنتهُ بلقيس بنت الهدهاد ملكة سبا المشهورة وفى ايامها كان سليمان بن داود ملكًا على بنى اسرائيل وكان مقامهُ فى القدس الشريف فلما بلغها خبر سليمان وحكمتهِ الباهرة وفدت عليهِ بالهدايا الثمينة فبالغ فى اكرامها واقامت عنده اياما وكان ذو الاذعار الذى خلعت حمير طاعتهُ قد نهض بعد خروج بلقيس من بلاد اليمن واستجاش خلقا كثيرًا واستظهر على المملكة وتولّى امر البلاد فلما رجعت بلقيس اثارت الحرب بينها وبينهُ وجرت لهما وقايع كثيرة فتغلّب عليها ثم تزوج بها فاقامت معهُ شهرا وسقته سمّا فمات ورجع الملك اليها وكانت هذه الملكة من اجمل النسآء وجها

واحسنهنَّ عقلًا وادبًا وكانت عادلةً تحبّ الانصاف وتكره المظالم وكانت مدة مكلها ثلث عشرة سنة ولما انقضت ايامها قام بالملك بعدها عمها مالك وهو من ولد المنتاب وكان يلقب بناشر النعم لانعامهِ على الناس باستردادهِ الملك بعد زوالهِ وفى السنة الاولى من ملكه غزا بلاد المغرب ووصل الى حيث لم يصل اليهِ احدٌ من الملوك السالفين قيل انهُ انهتى الى وادى الرمال فلما دخل بجيشهِ فى ذلك الرمل عصفت عليهم ريحٌ شديدة فابتلعت جانبًا عظيمًا من عسكرهِ فرجع حينئذٍ على اعقابهِ ونصب فى اول مسالك تلك البقاع عمودًا من النحاس واقام عليهِ شخصًا من نحاس مكتوبا على صدرهِ بالحرف المسند المعروف بالخط الحميرى ليس ورآء هذا مذهبٌ ورجع الى بلادهِ سالمًا واقام فى الملك بقية عمرهِ حتى مات وكانت مدة ملكهِ خمسًا وثمانين سنة وقام بعده على المملكة ابنـــهُ شمر يرعش وكان بهِ رعشةٌ فقيل لهُ ذلك غير انه كان من الشجعان المشاهير فتح بلادًا كثيرة وانتهى فى غزواتهِ الى المشرق بجيشٍ عظيم ودخل ارض العراق ثم ارتحل طالبًا بلاد الصين واخذ على بلاد فارس وسجستان وخراسان فاستظهر عليها وافتتح المداين والحصون ودخل مدينة السُغد فهدمها فقيل لها بالفارسية شمركند اى شمر اخربها ثم أُعِيدَ بناؤها فبقى عليها ذلك الاسم لكنهم تصرَّفوا فيهِ فقالوا سمرقند وهى من المدن العظيمة فى تلك الديار وقد وجد فى هذه المدينة عمودٌ فى بعض قصورها المتهدمة مكتوبٌ عليهِ

بالحميرية هذا ما بناهُ شمريرعش الحميرى لسيدة الشمس ووجد ايضًا باب مصفّح بالحديد وعليهِ مكتوب بالحميرية من صنعآء الى سمرقند الف فرسخ قيل ووجد على باب مدينة مرو كتابة باسمهِ تخبر عن فتح المدينة وكل ذلك يدل على صحة ما ذكرناهُ من امرهِ ولما فرغ شمريرعش من نوبة بلاد فارس سار طالبًا بلادِ الصين فلما بلغ ملك الصين خبر قدومهِ ارتاع لذلك وارتبك فى امرهِ لما عرف من اهوال شمريرعش واجنادهِ فقال لهُ وزيرهُ انا افدى هذه المملكة بنفسى واكفيك شرّ هولآء القوم قال ذاك اليك . فجدع الوزير انفهُ وسار وافدًا على شمريرعش حتى دخل عليهِ وشكا اليهِ ظلم الملك وقال قد فعل بى ما ترى على غير جنايةٍ تستحق ذلك وخشيت ان يقتلنى ايضًا فخرجت اليك هاربًا وارجو ان يكون افتتاح هذه المملكة عن يدى فسر معى وانا ضمين لك بذلك فاغترّ شمريرعش بما راهُ من جدع انفهِ وانصاغ لقولهِ فنهض بجيشهِ والوزير يقدمهم فى تلك القفار حتى دخل بهم فى فلواتِ سحيقة معطشة على مسافة بعيدةٍ عن المآء فاجهدهم العطش وهم يجدّون فى طلب المآء ولا يدركونهُ حتى هلكوا باسرهم وهلك شمريرعش والوزير ايضًا وكانت مدة ملك شمريرعش المذكور سبعًا وثلثين سنة وقام بالملك بعده ابنهُ ابو مالك وكان قد عزم على المسير الى بلاد الصين لكى ياخذ بثار ابيهِ فبلغهُ خبر معدن من الزمرد وجد فى المغرب فطمع فيهِ وترك ما كان قد عزم عليه وسار بجيش عظيم طالبًا ذلك المعدن فادركتهُ

منيتهُ على الطريق ومات جانب عظيم من عسكرهِ وفيـــهِ يقول الاعشـــــــى

وخان النعيم ابا مالـــــكٍ واىّ امرء لم يخنهُ الزمـــانُ

ثم انتقل الملك حينئذٍ من ولد حمير بن سَبا الى ولد اخيه كهلان فملك منهم عمران بن عامر الازدىّ وكان من ارباب الكهانة ثم ملك بعدهُ اخوهُ مُزَيقِياء وهو عمرو بن عامر وذلك سنة ثمان وستين للمسيح وانما قيل لهُ مُزَيقِياء لانهُ كان يلبس كل يوم حلتيـــن منسوجتين بالذهب فاذا امسى مزقهما لانه يكره ان يعود اليهما ويانف ان يلبسهما احدٌ غيرهُ ولما توفى رجع الملك الى بنى حمير فملك منهم الاقرن وقيل انهُ ابن ابى مالك بن شمر وكان ملكهُ ثلثًا وخمسين سنة ثم ملك بعدهُ ذو جيشان وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعدهُ اخوه تُبّع بن الاقرن ثم ابنهُ ملكى كرب ثم ملك بعدهُ اسعد بن عمرو من ولد ذى جيشان وهو تُبّع الاوسط وكان شديد الوطأة كثير الغزوات فشقّ على الحميريين ما كان يحملهم عليهِ من مهالك الحروب فقتلوهُ ثم ندموا على قتلـــهِ واختلفوا فى من يملكونهُ بعدهُ فلم يجدوا من يقوم باعباء المملكة مثل ابنه حَسّان فملّكوهُ مكان ابيهِ ولما ملك حَسّان بن تُبّع جعل يتتبّع الذين قتلوا اباهُ ويقتلهم واحدًا بعد واحدٍ فكرهوهُ واجتمعوا الى اخيهِ عمرو فبايعوهُ على قتل اخيهِ حَسّان وتمليكهِ بعدهُ وكان منهم بريم بن زيد الحميرىُّ الملقب بذى رعين فنهاهُ عن قتـــل

اخيهِ وحذّرهُ سوء العاقبة فأَصَرَّ على عزمهِ طمعًا في الملك وخاف ذو رُعَين ان يندم عمروٌ اذا قتل اخاهُ فيلحقهُ أَذًى فاستودعهُ رقعةً قد ختم عليها بخاتم عمروٍ ودفعها عمروٌ الى خازنهِ ومضى على قتل اخيهِ وتولى مكانهُ ثم ندم على ذلك فجعل يعاقب اقيال حمير حتى وصل الى ذى رُعَين فطلب الرقعة التى استودعهُ اياها فاحضرها واذا هو قد كتب فيهـــا

أَلا مَن يشترى سهرًا بنــومٍ سَعيدٌ من يبيت قرير عــينِ

اذا ما حِمْيَرٌ غَدَرت وخــانت فمعذرة الاله لذى رُعَيــن

فعفا عمروٌ عنهُ واحسن اليهِ وكان ملك حَسَّان بن تُبَّع سبعين سنة ولما جلس عمروٌ فى الملك مكان اخيه حَسَّان تواترت عليهِ الامراض فقعد عن الغزو ولزم الفراش فقيل لهُ المَوْثَبان بناءً على تضمُّن ذلك معنى القعود على الوسادة بلغة حمير ولما انهكهُ السقم صــار لا يخرج الا محمولًا على نعشٍ فقيل لهُ ذو الاعواد وهو الذى اشار اليه الاسود بن يعفر بقولهِ

ولقد علمت سوى الذى نَبَّأتنى ان السبيل سبيــل ذى الاعوادِ

وكان ملكه ثلثًا وستين سنة ثم ملك بعدهُ ابنه عبد كلال وكان على دين النصرانية مجتهدًا فى العبادة زاهدًا حسن السيرة ثم ملك بعدهُ تُبَّع بن حسَّان ثم ابن اخته الحرث بن عمرو ثم مرثد بن عبد كلال ثم ابنهُ وكيعة وكان مذموم السيرة ضعيف العزيمة وكان كثيرا ما يميل الى اليهودية ويظهر انهُ يهوديٌّ ثم

ينهض بعد ذلك ويغير للنصرانية ويدعى انهُ نصرانيٌّ وفى ايامهِ حدث اضطرابٌ عظيم فى المملكة وعصى عليه عدة قبايل وخلعوا طاعتهُ وكان ملكهُ سبعًا وثلثين سنة ثم ملك بعده ابرهة بن الصَبَّاح وكان كريمًا حسن المحاضرة مقصودًا من الجهات ثم صهبان بن محرث وكان شجاعًا كثير الغارات قتله السفَّاح التغلبيّ يوم حزاز وفى ذلك يقول عمرو بن كلثوم التغلبيّ

ونحن غداة أُوقِدَ فى حزازٍ وفدنا قبل وفد الوافدينا

براسٍ من بنى جُشمَ بن بكرٍ ندقُّ بهِ السهولة والحزونا

وقيل ان قاتلهُ نعج بن عتبة التغلبيّ وهو الذى يقول فيه كليب وائل

لما التقينا بالصفايح والقنـا والهام من وقع الحديد تُفَلَّقُ

نعج بن عتبة شـك ثغرة تُبَّعٍ بمثقَّـف فيهِ سنانٌ ازرقُ

وكان ملك صهبان عشرين سنة ثم ملك بعدهُ الصبَّاح بن ابرهة وكان رجلاً جلدًا شديد الباس فقام يطلب دم صهبان بن محرث من التغلبيين فاستجاش كليب وائل بنى معدّ بن عدنان وانتشبت بينهما الحرب فكانت الدايرة على الصَبَّاح فخرج الى قيصر ملك الروم يستغيث بهِ وهو يقول

بكى صاحبى لما راى الدرب دونهُ وايقن أنَّا لاحقان بقيصـرا

فقلت لهُ لا تبكِ عيناك انما نحاوِلُ ملكًا او نموتُ فنُعـذَرا

واقام الصبَّاح عند قيصر ايامًا فحدَّثتهُ نفسهُ بمراسلة ابنتهِ فالبسهُ قميصًا مسمومًا فمات هكذا وجدت هذه الرواية فى بعض النسخ بخط

بعض الفضلا ممن لهُ عناية بهذا الفن ورايت فى مكان اخر خلاف
ذلك يزعمون انها لامرء القيس بن حجر الكندى الشاعر وكان ملك
الصباح المذكور خمس عشرة سنه وقام بعدهُ بالملك ابنهُ ابرهة
ولم يتعرَّض لبنى معدّ بن عدنان لما عرف من سطوتهم وفى ايامهِ
وقعت حرب البسوس بين بنى بكر وتغلب اربعين سنةً حتى اصلح
بينهم عمرو بن هند وكفَّهم عن القتال فاستعدَّ ابرهة لما فى نفسهِ
من امر ابيهِ وقبل ان يشنَّ الغارة ادركه الموت فملك بعدهُ ذو الشناتر
اى الاقراط بلغة اليمن قيل لهُ ذلك لاقراطٍ كان يتحلَّى بها وكان
من بني عمه الاباعد لا من آل بيت الملك وكان فاسقًا مجاهرًا بالفحشآء
ياتى الغلمان فكان لا يسمع بغلامٍ جميل الا استحضرهُ ففسق بهِ
ومكث على ذلك حتى نشا زرعة بن كعب الحميريُّ من سلالة الحرث
الرايش وكان جميل الصورة يرسل ذوايب من شعرهِ على ظهرهِ فَلُقِّب
بذى نُوَاس ولما بلغ الملك امرهُ دعاهُ اليهِ فاقبل حتى دخل على
الملك وقت الهاجرة وقد خلا بنفسهِ فاجلسهُ معهُ على السرير
ومدَّ يدهُ اليهِ وكان الغلام قد ارسل سكّينًا فى خفّهِ فاستلّها خفيةً
وضربه بها فى بطنهِ فسقط فقام اليهِ وقطع راسهُ وكان الحاجب
قد سخر بهِ عند دخولهِ فخرج بالراس والقاهُ بين يديهِ فقال الحاجب
لله در ابيك والله لا يلى ملكنا غيرك فاجتمع الناس اليهِ وبايعوهُ
بالملك ووضعوا التاج على راسهِ واجلسوهُ على السرير وكان ملك
ذى الشناتر سبعا وعشرين سنة وقام بالملك بعدهُ ذو نواس وكان

جلوسه على سرير المملكة سنة اربعماية وتسعين للمسيح وهو صاحب الاخدود الذى دعا اهل اليمن الى التهوّد وكان قد نزل يثرب مجتازًا فاعجبتهُ اليهودية فتهوّد وسمى نفسه يوسف واشتهر بهذا الاسم وتبعهُ اهل اليمن الا طوايف من حضرموت وعدن فغزاهم وقتل جميعهم ثم دعا العرب الى اليهودية فكان من لا يجيب دعوته يسير اليه فيوقع بهِ فشاع ذكرهُ فى ساير الاقاليم وعظمت شوكتهُ واطاعتهُ العباد وكانوا يجيبون دعوته خوفًا من شدة نقمته فكرهتهُ اعيان حمير وحسدوهُ على الملك الذى هو فيه وندموا على تمليكه لما ظهر لهم منه فعزموا على خلع طاعته فلم يخفَ عليه ذلك لكنه لم يحتفل بهم بل قبض على البعض منهم وعذبهم اشد العذاب وانشآء يقول

اساس الملك ويحكم رجالٌ اذا ما الملك زال عن الاساسِ
فمن يعطى الرجال ونطّبيهِ وتطعن دونه يوم الحماسِ
ينال بها من الدنيا الذى قد حواه المرء يوسف ذو نواسِ
فكم من تاج ملكٍ قد رايتم تنقّل من اناسٍ فى اناسِ
اطعوا الراس منكم كى تسودوا وهل جسدٌ يسود بغير راسِ
فان الناس مثل الارض ارضٌ وان ملوكهم مثل الرواسى

ولما تمكن ذو نواس فى الملك حملتهُ اليهود على غزو نجران لامتحان من بها من النصارى فاغار عليهم ودعاهم الى اليهودية فامتنعوا فقتل ملكهم عبد الله بن التامر وجمع اهل البلد والقاهم فى حفيرةٍ قد احتفرها واضرم فيها النار فاحترقوا بها وهى المراد بالأُخدود

وكان ممن هرب منهم رجلٌ من عظمايهم يقال لهُ دوس ثعلبان فسار الى النجاشيّ ملك الحبشة وشكا اليهِ ما ارتكبهُ ذو نواس الحميريّ فكتب النجاشيّ الى قيصر ملك الروم يستاذنهُ في تجريد خيلٍ الى اليمن فامرهُ قيصر ان يستخلف دوس ثعلبان على مملكتهِ ويخرج بجنوده الى اليمن فيقيم بها وينزع الملك من ذي نواس الحميري فخرج ملك الحبشة الى اليمن في سبعين الف فارس ولما علم ذو نواس بقدومهِ تجهّز للحرب وفرّق السلاح على جنوده وسار يستقبل الحبش فالتقوا على ساحل عدن وثار النجاشي باصحابهِ وقال لهم هذا البحر خلفكم والسيوف امامكم فلا ملجأً لكم الا الصبر حتى تموتوا او تظفروا فاقتتل القوم قتالاً شديدًا وقُتِل من الفريقين عددٌ كثير وكان الظفر للحبشة فانهزم ذو نواس باصحابهِ وتبعتهم الحبشة وخاف ذو نواس من الاسر فاقتحم البحر بجوادهِ وقال ان الغرق افضل من اسر السودان فضربتهُ الامواج وكان اخر العهد بهِ وكان ملك ذي نواس عشرين سنةً فلما هلك قام بعدهُ ذو جَدَن الحميريّ فلم تدَعْهُ الحبشة يتمكّن من الملك وجرت لهم وقايع معهُ ثم هزموهُ فاقتحم البحر ايضًا ولحق بذي نواس فقام بعده ذو يَزَن الحميريّ وهو اخر ملوك حمير وخَلَص بعد ذلك ملك اليمن للحبشة فملك منهم ارياط قايد جيش النجاشي وكان من بني عمّه فكان يكرم العظماء من اصحابهِ ويزدري بالضعفاء ويكلّفهم ما لا يطيقون من المشقّات فجزعوا من ذلك واجتمعوا الى ابرهة احد

رؤساء الجيش فغضب لهم وعزم على الاخذ بايديهم فعاهدوهُ على المبايعة له والتسليم اليه فعصى ارياط وخرج عليه ودعاه الى الحرب فانحاز الى ارياط عظماء الحبشة وغطاريفهم وانحاز الى ابرهة رعاعهم وصعاليكهم والتقى الفريقان فاقتتلوا قتالًا شديدًا ولما تمادى الامر بينهم برز ابرهة بين الصفين ونادى يامعشر الحبشة لماذا نقتل بعضنا بعضًا خلّوا بيني وبين هذا الرجل فايّنا قتل صاحبهُ تولّى الامـــر فاستغنم ارياط ذلك لانه كان عظيم الجثة هايل المنظر وكان ابرهة ذميمًا ضيّلاً فخرج كل واحدٍ منهما الى صاحبهِ ووقف كلا الفريقين عن القتال ينظرون اليهما فحمل ارياط على ابرهة وعلا وجهه بالحربة فشرم انفهُ وبذلك لُقّب بالاشرم وحمل ابرهة على ارياط بالسيف وعلا بهِ راسهُ فاسرع السيف فى دماغهِ وسقط عن جوادهِ فاجهز عليهِ ونادى ابرهة يامعشر الحبشة الله ربنا والمسيح مخلصنا والانجيـــل كتابنا والنجاشى ملكنا وانى انما قتلت ارياط لتركه التسويـــة بينكم فاثبتوا للاستوا بينكم فان الله لا يرضى بالاثرة واحرام الضعفآ فمالوا جميعًا وصاروا مع ابرهة واعطوهُ الطاعة واستوى لابرهة الملك بعد ذلك على بلاد اليمن واطاعتهُ العرب والحبـــش جميعًا وكان ملك ارياط فى اليمن عشرين سنة ولما بلغ النجاشى قتل ارياط غضب غضبًا شديدًا وقال بلغ من ابرهة قتل ابن عمى فوالله لاطأنّ ارضهُ سهلها وجبلها برجلى ولاجزّنّ ناصيتهُ بيدى ولاهرقنّ دمهُ بكفى ثم تجهز بجنودهِ للمسير الى ارض اليمن فبلغ

ذلك ابرهة فملا جرابين احدهما من تراب السهل والاخر من تراب الجبل وعمد الى ناصيتهِ فجزها ووضعها فى حق عاجٍ ودعا حجامًا فحجمهُ وصير دمهُ فى زجاجة وختم عليهن بالمسك وبعث بهن الى النجاشي وكتب اليه يقول والله يامولاى ما خفرت ذمتك ولا خلعت طاعتك واني واهل ارضى لسامعون لك ومطيعون لامرك وانما كان لى مع ارياط ما كان لايثاره الاقويا على الضعفا من جنودك ولم يكن ذلك من سيرتك ولا رايك وبلغني قسمك فيَّ فها قد بعثت اليك بتراب ارضى من سهلٍ وجبل وبناصيتي وبدمى فطَأْ تراب ارضى برجلك وجز ناصيتي بيدك واهرق دمى بكفك وابرر يمينك واطفو عني غضبك فانما انا عبدٌ من عبيدك وعاملٌ من عُمَّالك والسلام فلما بلغ الكتاب النجاشي اعجب بذلك وقال والله ما فى الحبشة مثل ابرهة فاقَّرهُ فى مكانهِ واقام ابرهة المذكور على ملك اليمن احدى وعشرين سنةً ومات قتيلاً بمكة وكان قد قصدها بجيشهِ يريد ان يهدم البيت الحرام واتخذ فيلاً عظيمًا يقدّمهُ فى وجه قومهِ ليتّقوا بهِ وقع النبال ولذلك يقال له صاحب الفيل وملك بعد ابرهة ابنه يكسوم وكان قد استخلفه على اليمن عند مسيره الى مكة فلم يرجع واقام يكسوم على ملك اليمن مكان ابيه تسع عشرة سنةً ثم توفى فتولى مكانهُ اخوهُ مسروق فاقام اثنتى عشرة سنةً وراى اهل اليمن ثبات ملك الحبشة عليهم وتوارثهم اياهُ خَلَفًا عن سَلَفٍ فجزعوا من ذلك واخذتهم الأَنفَة والحميَّة وكان فى تلك الايام قد نشا

سيف بن ذى يَزَن الحميرىّ فاجتمعوا اليهِ وقالوا لهُ ان الحَبَشة قد دخلوا بلادنا بسبب جدك ذى نواس وقد طال بلآوهم علينا حتى ضاقت صدورنا عنه ورأينا ان نجمع لك من النفقة ما يجهزك الى بعض الملوك تستنجدهُ لعلك تُقبِل بجنودٍ تقاتل هولآء الحبشة بهم فينقذنا الله بك وعلى يدك من ملكهم فقال سيف انا سايرٌ الى قيصر ملك الروم فاقتسموا لهُ مالاً وجهَّزوهُ احسن جهازٍ فسار فى البحر نحو ارض الروم حتى وافى القسطنطينيَّة وكان قيصر يومئذٍ يوستينيانوس الثانى فدخل عليهِ وحدَّثهُ بلسان الترجمان عمَّا هم فيه من جور الحبشة منذ سبعين سنة وما يلقون من ظلمهم العنيف وسألهُ ان يمدَّهُ بجيشٍ يدفعهم بهِ فقال قيصر ان الحبش على دينى وانتم قومٌ مخالفون لنا وما كنت لأَنصُركم عليهم فخرج من عندهِ سيف وقد يئِس منهُ ولما عزم سيف على الانصراف امر لهُ قيصر بعشرة آلاف درهم يتقوى بها على انصرافهِ الى بلادهِ فابى ان ياخذها وقال للرسول قل لمولاك ان الم ينصرنى فلا حاجة لى بالمال ثم ان سيفًا سار من ارض الروم حتى وافى الشام ثم خرج الى العراق وقصد النعمان بن المنذر وهو بالحيرة فدخل عليهِ واخبره بما قدم بهِ واعلمهُ بما هم عليهِ من استيلآء الحبشة عليهم منذ سبعين سنة فقال النعمان اقم عندى فان لى وفادةً على كسرى انوشروان فى كل عامٍ وقد دنا وقتها وانا خارجٌ بك وجاعلٌ الاذن بك على كسرى من بعض حوائجى فاقام عنده حتى كانت الوفادة فخرج معه حتى دخل على

كسرى واستاذن بالدخول لهُ فاذن فيهِ ودخل سيف على كسرى وهو جالسٌ على السرير في ايوانهِ فلما دنا منه سيف طأطأ راسهُ وحيَّاهُ بتحية الملوك فامر لهُ بكرسيٍّ من ذهبٍ فجلس عليهِ فقال له كسرى ما حاجتك التى قدمت بك من ارضك السحيقة البعيدة قال سودانٌ تغلَّبوا على بلادنا منذ سبعين سنةً يسوموننا الخسف فاتيتك لتمدَّني بجيشٍ ادفعهم بهِ عن بلادنا وتكون انت ملكنا فانك احبُّ الينا منهم فقال كسرى قد بعدت بلادك عن بلادنا مع قلة الخير فيها ان فيها الشاة والبعير وذلك ما لا حاجة لى بهِ فقال سيف يامولاى لا تزهد فى بلادى فانها قرعة العرب وعقبة التبابعة الذين ملكوا الارض ودانت لهم المشارق والمغارب فقال كسرى ما كنت لِأُخاطِرَ بجيشٍ من جنودى فى ما لا يجدى نفعًا فخرج سيف من عندهِ آيسًا منكسر البال وقال كسرى اذا لم ننجدهُ فلا بد من صلتهِ بما يستعين بهِ على سفرهِ وامر له بعشرة الاف درهم فحملها سيف فى ذيل ردآيهِ وخرج حتى انتهى الى باب القصر وجعل ياخذ منها كفًّا كفًّا وينثر على الناس حتى اتى عليها وبلغ ذلك كسرى فغضب وامر بادخالهِ عليهِ فدخل فقال ما حملك على ان تستخفَّ بعطيَّتى حتى نثرتها على الناس فقال ما اصنع بالمال وانا تراب ارضى ذهبٌ وفضة ثم خنقتهُ العبرة فرقَّ له كسرى وعلم ان ذلك لم يصدر الا عن كآبةٍ فى قلبه فقال له اقم حتى انظر فى امرك فخرج من عندهِ وقد داخله الطمع فى قضآء حاجتهِ فكان

يدخل على كسرى مع الوفد اذا دخلوا عليهِ ليذكّرهُ بنفسهِ فجمع
كسرى وزرآءهُ وقال ما ترون فى امر هذا الاعرابى الذى اتانا موتورًا
مستغيثًا فقال رئس وزرآيهِ ايها الملك ان فى سجنك اقوامًا قد استحقّوا
القتل بذنوبٍ لهم فان رايت ان تطلقهم من سجنهم وتعضدهم
بالمال والسلاح وتجهزهم معهُ فان ظفروا كانت زيادةً فى ملكك والّا
فهم سيُقتلون لا محالة فاعجب الملك هذا الراى واخرجهم من
السجن فكانوا سبعة آلاف وخمسماية نفر ففرّق فيهم المال والسلاح
وقدّم عليهم شيخًا كان معهم فى السجن يقال له وهرز بن كامجار
وكان من اشراف العجم وفرسانهم المشاهير وسيّرهم مع سيف فساروا
الى الابلة وركبوا من هناك البحر فى اثنتى عشرة سفينةً حتى انتهوا
الى ساحل عدن فنزلوا هناك واتخذوا خندقًا لانفسهم وقال وهرز
قد وردنا بلادك ياسيف فماذا عندك قال عندى ما شئتَ من رجلٍ
يمنىّ وسيفٍ هندىّ وفرسٍ عربى قال دونك فابعث رسلك الى قومك
فارسل الرسل الى معدن اليمن ومخاليفها فانجلبت اليهِ حمير من
اقاصى اليمن حتى صار فى عشرين الف فارسٍ وراجل ولما بلغ ذلك
مسروق بن ابرهة ملك الحبشة تجّهز فى جنودهِ وسار نحوهم فى ثلثين
الفًا من الحبش فتواقف الفريقان للحرب وقد صفّوا صفوفهم ونصبوا
راياتهم وانتشب القتال بين العسكرين الى نصف النهار فقُتِل
مسروق وانهزمت اصحابه وكان قاتله وهرز بن كامجار قايد الفُرس
رماهُ بسهم فاصاب جبينهُ ونفذ من مؤخّر راسهِ وحمل جيش العرب

والفرس على الحبشة يقتلون من ادركوا منهم حتى اتوا على اخرهم وتقدم سيف ووهرز نحو صنعآء حتى دخلوها فاقام وَهْرَز بصنعآء وارسل رجاله الى كل ناحيةٍ من اليمن وامرهم ان لا يظفروا بأسوَدَ الّا قتلوه ثم كتب الى كسرى يخبره بافتتاح اليمن فكتب اليهِ كسرى ان يفحص عن سيف فان كان من ابنآء ملوك اليمن اقرَّهُ على ملكهِ وانصرف عنه والّا فليضرب عنقه ويجلس على ملك اليمن فجمع وهرز اشراف قحطان وسالهم عن سيف فقالوا انه من ولد ذى نواس الملك الذى غزا نجران وكان ايقاعه بهم سبب قدوم الحبشة الى بلادنا فسلّم وهرز اليمن الى سيف وجمع من كان معه من رجال العجم بصنعآء وانصرف الى كسرى فحيَّاهُ كسرى واحسن جايزته وانقرضت عند ذلك دولة الحبش من اليمن وكانت مدة ملكهم اثنتين وسبعين سنة وجلس سيف على سرير اليمن بقصر غمدان واستوى له الملك ووفد عليه امية بن ابى الصلت فقال يمدحه

لا تطلب الثار الا كآ ن ذى يَزَنٍ ... اذ خيّم البحر للاعدآء احوالا
وافى هِرَقْلَ وقد شالت نعامته ... فلم يجد عنده النصر الذى سالا
ثم انتحى نحو كسرى بعد عاشرةٍ ... من السنين يهين النفس والمالا
حتى اتى ببنى الاحرار يقدمهم ... تخالهم فوق متن الارض اجبالا
لله درُّهُمُ من فتيةٍ صبروا ... ما ان رايت لهم فى الناس امثالا
ببضْ مرازبةْ غُلْبْ اساورةْ ... اسدْ تربّث فى الغيطان اشبالا
فاشرب هنيًا عليك التاج مرتفقًا ... براس غمدان دارًا منك محلالا

واقام سيف على ملك اليمن من قِبل كسرى انوشروان ولما خلا بالملك وتمهّدت له الديار سار بنفسهِ فى جميع مدن اليمن ومخاليفها يطلب الحبشة فلا يقف على احدٍ منهم الا يقتله سوى نفرٍ يسيرٍ منهم استبقاهم وجعلهم عبيدًا له وكانوا نحو مائة رجلٍ فخلوا بهِ ذات يومٍ فى الصحرآء وقد خرج للصيد فعطفوا عليه بالحراب وقتلوهُ وهربوا فى قلل الجبال وانقضى بذلك ملك حمير وحزنت على سيف قبايل اليمن ودفنوهُ فى صنعآء بمقبرةٍ كانت لاجدادهِ ووضعوا فى سريرهِ عند راسهِ لوحًا قد كُتِبَت فيهِ هذه الابيات

انا ابن ذى يَزَنٍ من فرع ذى يمنٍ ملكت من حدّ صنعآء الى عَدَنِ
جلبت من فارسٍ جيشًا على عجلٍ فى البحر احملهم فيهِ على السُفُنِ
حتى غزوت بهم قومًا مهاجرةً فى البر جاسوا خلال الحّى من يمنِ
بالخسف والذل حتى قال قايلهم ذوقوا ثمار ذوات الحقد والاءحَنِ
فاوقعوا بهمِ والدهر ذو دُوَلٍ حتى كأنَّ مغار القوم لم يكنِ
حتى اذا ظفرت نفسى بما طلبت وزال ما كان فى قلبى من الحَزَنِ
ونلت اكثر مما كنت آملهُ من قتلىَ الحُبْش حتى طاب لى وطنى
جآء القضآء بما لا يستطاع لهُ دفعٌ ولا يُشتَرَى ياقوم بالثمنِ
من بعد ما جبت احوالاً محرَّمةً قطر البلاد فلم اعجز ولم أَهِنِ
قد صرت مرتهنًا فى قاع مظلمةٍ لله درّى من ثاوٍ ومرتهنِ

وكان سيف جميل المنظر عظيم الهيبة عالى الهمة شديد الباس كريم الاخلاق حسن التدبير واليهِ اشار ابن دريد فى المقصورة بقولهِ

وسيفٌ استعلت بهِ همتــهُ   حتى رمى ابعد شأو المُرتمَى
فجرّع الأَحبُشَ سمًّا ناقعــًا   واحتلّ من غمدان محراب الدُمَى

وكانت مدة ملكهِ على اليمن سبع سنين لا غير ولما بلغ كسرى انوشروان قتلهُ ارسل وهرز بن كامجار ملكًا على اليمن وذلك سنة خمسماية وسبع وتسعين للمسيح فاقام ثلث سنواتٍ وتوفي ومن ثَمَّ تداولت الفُرس مملكة اليمن فتولى عليها بعد وهرز وليجان ثم حرزادان ثم النوشجان ثم مروزان ثم باذان بن خسروان وفي ايامهِ ظهر الاسلام

فصــل

في مـلـوك العراق

ملوك العراق هم المناذرة بنو عمرو بن عديّ بن نصر بن ربيعة اللخميّ كانوا عُمّالاً للاكاسرة على عرب العراق وكانت دولتهم من اعظم دول ملوك العرب وكان مقامهم بارض الحيرة على ساحل الفرات مسافة فرسخٍ واحدٍ عن الكوفة وكان اول من ملك على العرب في ارض الحيرة مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن غرثان بن عبد الله بن وهران بن كعب بن الحرث بن كعب بن مالك بن نصر بن الازد وهو من ولد كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان ملكه في ايام ملوك الطوايف الذين اقامهم الاسكندر على قبايل العرب قبل الاكاسرة وكان منزله بالانبار فاقام بها الى ان رماه سُلَيمة

بن مالك بسهمٍ فاصاب مقتله ولما علم ان سُلَيمة راميهِ انشد يقول

جزانى لا جزاهُ اللـــه خيرًا سُلَيمةُ انهُ شرًّا جزانـــى
اعلّمـــهُ الرماية كلَّ يومٍ فلما اشتدَّ ساعدهُ رمانـــى

والانبار بلدةٌ قديمةٌ على الفرات بينها وبين بغداد عشرة فراسخ وانما قيل لها الانبار لان ملوك الاكاسرة كانوا يخزنون فيها الطعام وقد تواترت الروايات ان اول من استنبط الكتابة بالعربية مُرَامِر بن مرّة الانباريُّ ومن الانبار انتشرت الكتابة فى الناس وذكروا ان قُرَيشًا سُئِلوا من اين لكم الكتابة فقالوا من الحيرة وقيل لاهل الحيرة من اين لكم الكتابة فقالوا من الانبار وقيل ان الذى نقل هذه الكتابة من الحيرة الى الحجاز هوحرب بن أُمَيَّة بن عبد شمس بن عبد مناف القُرَشيُّ الأُمَوىّ وكان قد قدم الى الحيرة فعاد الى مكة بهذه الكتابة وقيل لابى سفيان بن حرب ممن اخذ ابوك هذه الكتابة فقال من اسلم بن سدرة وقيل لاسلم ممن اخذت الكتابة فقال من واضعها مرامر بن مرّة وكان وضع هذه الكتابة قبل الاسلام بمدةٍ يسيرة وكان لحمير كتابةٌ تُسَمَّى المسند كانت حروفها تُكتَب منفصلة لا يتّصل بعضها ببعضٍ وكانوا يمنعون العامّة من تعلُّمها فلا يتعاطاها احدٌ الا باذنهم انتهى ولما مات مالك بن فهم المذكور ملك بعده اخوه عمرو بن فهم وفى ايامهِ كان ميلاد المسيح فى بيت لحم وذلك سنة ثلثماية وثلثين من تاريخ الاسكندر بعد خليقة العالم باربعة الآف واربع سنين ولما توفى عمرو بن فهم المذكور ملك بعده

ابن اخيهِ جذيمة بن مالك بن فهم وكان شديد الوطأة ظاهر الحزم وهو اول من غزا بالجيوش وشنّ الغارات على قبايل العرب وكان بهِ برصٌ فقيل له جذيمة الابرص فلما عظم امره قيل له الابرش كنايةً عنه وربما قيل له جذيمة الوضّاح تلطُّفًا فى اللفظ لان الوَضَح بمعنى البَرَص واستولى جذيمة من السواد الى ما بين الحيرة والانبار وجميع القرى المجاورة لبادية العرب فكان يتولى امورها ويجبى اموالها وطالت مدته وشاع ذكره فى كل مكانٍ وعظم شانه وخافت من سطوتهِ العرب وكان له اختٌ يقال لها رَقَاش وكان يحبُّها ويرفع منزلتها فهويَت عدى بن نصر بن ربيعة الايادىّ وكان جذيمة قد اصطنعه وسلّم اليه مجلس شرابه فقالت له ياعدىُّ اذا سقيت الملك فاخذ الشراب منه فاخطبنى اليه فان اجابك فاشهد القوم ففعل عَدِىٌّ كذلك ثم انصرف اليها وقال قد انعم الملك بما سالته فقالت اذن ادخل باهلك فدخل بها واصبح مضَّرجًا بالخلوق فقال جذيمة ما هذه الآثار ياعدىُّ قال آثار عرس رقاش التى زوَّجتنى بها البارحة فاطرق جذيمة الى الارض وعرف عدىٌّ الشرَّ فى وجههِ فعمد الى الفرار ودخل جذيمة الى رقاش وهو يقول

خبّرينى وانتِ غير كذوبِ أَبِحُرٍّ زنيتِ ام بهجينِ
ام بعبدٍ فانت اهلٌ لعبدٍ ام بدونٍ فانت اهلٌ لدونِ

فقالت رقاش لا والله بل زوّجتنى كفوًا كريمًا من ابناء الملوك فنقلها جذيمة اليه وحصّنها فى قصره وكانت قد علقت بولد فلما كان

وضعها ولدت غلامًا وسمّته عمرًا وربته حتى ترعرع فأَنِفَ جذيمة منه وطرده عن وجههِ فهام فى البرية وكان عمره تسع سنين ولما فقدته امه اشتدّ حزنها عليهِ فقلق جذيمة لذلك وندم على طردهِ وارسل فى طلبهِ رجالًا فى كل ناحيةٍ فلم يقع له على اثرٍ وما زال جذيمة يطلبه زمانًا ونذرت امه رقاش ان ردّهُ الله عليها ان تطوّقه بطوقٍ من ذهب وجعل جذيمة لمن ياتيهِ بهِ ما يتمنّاه فتطلّبته العرب رغبةً فى ذلك ولم يجده احدٌ ومضى على ذلك سبع سنواتٍ فاتفق ان وفد على جذيمة مالك بن فارج واخوه عقيل من بنى قضاعة فى حاجةٍ لهما فنزلا فى بعض الطريق ومعهما امراةٌ يقال لها امُّ عمروٍ فقدّمت اليهما طعامًا وجلسا ياكلان واذا هما بفتًى حسن المنظر عريان لايستتر بشيء وقد طال شعره على وجههِ وطالت اظفاره حتى صارت كالمخالب فدنا منهما واستأذن ان يجلس معهما على الطعام فأذنا له وجعلت ام عمروٍ تسقيهما ولا تسقيهِ فقال

صددتِ الكاس عنا أُمَّ عمروٍ وكان الكاس مجراها اليمينا

وماشرُّ الثلثة أُمَّ عمروٍ بصاحبك الذى لا تصحبينا

فقالت المرأة لا تطعم العبد الكراع فيطمع فى الذراع فارسلتهما مثلاً وكان قد حامر نفس الرجلين انهُ ابن اخت الملك فاستعرفاهُ واذا هو كذلك فقصّا شعرهُ وقلّما اظفارهُ والبساهُ من خير ثيابهما واتيا بهِ حتى دخلا على جذيمة فسرَّ بهِ وقال ان للقضاء عينين قد جعلتُ لمن اتاني بهِ حكمهُ فاحتكما فقالا قد احتكمنا عليك

منادمتك ما بقينا وبقيت قال ذاك لكما فكانا نديميهِ حتى مات وفي ذلك يقول متمّم بن نُوَيرة

لقد لَفَّتِ المنهال تحت ثيابهِ فتىً غير مبطان العشيّات أروَعا
وكُنّا كندمَانَيْ جذيمة حُقبَةً من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
فلما تفرّقنا كاني ومالكًا لطول اجتماعٍ لم نَبِتْ ليلةً معا

قيل انهما نادماهُ اربعين سنةً لا يفارقانهِ حتى ضُرِب بهما المثل وادخل جذيمة عمرًا على امّهِ رقاش فاخذتهُ وجعلت في عنقهِ الطوق الذي نذرته له وكان في ايام جذيمة قد ملك الجزيرة واعالي الفرات رجلٌ من العمالقة يقال لهُ عمرو بن الظرب بن حسّان العمليقيّ فحرت بينهُ وبين جذيمة حروبٌ كثيرة وانتصر جذيمة على عمرو فقتلهُ وكان لعمروٍ ابنةٌ تُسَمّى نايلة وكانت تُلَقّب بالزَبّآء لكثرة ما عليها من الشَعر فملكت بعد ابيها وبَنَت على الفرات مدينتين متقابلتين واخذت في الحيلة على جذيمة لعلها تدرك منه ثار ابيها فكتبت اليهِ ان النسآء لا تصلح للملك ولا تقوم بحق السياسة وانها لم تجد لملكها موضعًا ولا لنفسها كفوًا غيرهُ ودعتهُ ان يقدم اليها لتجمع ملكها الى ملكهِ وتقلّدهُ امرها فلما اتى كتابها جذيمة استخفّهُ الطمع وجمع اهل الراى من ثقاتهِ وهو يومئذٍ في مكانٍ على شاطي الفرات يقال لهُ بَقّة واستشارهم في ما دعتهُ اليهِ فاجمع رايهم على المسير اليها وكان عندهُ قصير بن سعد اللخميّ وكان حازمًا لبيبًا فانكر ما اشار بهِ القوم وقال رأيٌ فاترٌ وغدرٌ حاضر ونهى جذيمة

عن ذلك وقال الراى ان تكتب اليها فان كانت صادقةً فلتُقبِل اليك
والّا فلا تمكّنها من نفسك ولا تقع فى حبايلها وقد وترتها بقتل ابيها
فلم يلتفت جذيمة الى قولهِ ومضى وقد استخلف ابن اختهِ عمرًا على
مملكتهِ وجعل معهُ عمرو بن عبد الجن على خيلهِ وسار جذيمة فى وجوه
اصحابه على شاطى الفرات من الجانب الغربى فلما نزل دعا قصيرًا
وقال ما الراى ياقصير فقال ببقّة خلّفتَ الراى فذهبت مثلًا ومضى
جذيمة حتى دخل عليها وهى فى قصرها فامرت جواريها فاجتمعن
عليهِ ليكتّفنه فامتنع عليهنّ فلم يزلن يضربنه بالاعمدة حتى
تهشّم فاوثقته واجلسته على نطعٍ وامرت بهِ فقُطِعَت رواهشه وجعلت
دماؤهُ تشخب فى طَسْتٍ اعدّته له لان الملوك لا تقتل بضرب الاعناق
الا فى الحرب تكرمةً للمُلك ولما ضعفت يداه سقطتا فجعل دمه
يقطر على الارض حتى مات ولما احسّ قصيرٌ بقتلهِ احتال حتى
ركب العصا فرس جذيمة وانطلق يعدو وكان عمرو بن عدى يركب
كل يوم فياتى طريق الحيرة ملتمسًا خبر خالهِ فبينما هو ذات يومٍ اذ
نظر الى فارسٍ قد اقبل فلما دنا عرف الفرس فقال ما وراءك ياقصير قال
قُتِل والله خالك فاطلب ثارك من الزبّاء العقلاء فقال عمرٌو من لى بها
وهى امنع من عقاب الجوّ فذهب قوله مثلاً ولما علم قصير ان
عمرًا لا يقدر عليها عمد الى انفهِ فقطعهُ ثم ركب وسار نحو الحيرة حتى
اتى الزبّاء فاستأذن عليها وقال ايتها الملكة ان عمرَ بن عدى قد
فعل بى ما ترين يزعم انى اشرت عليكِ بقتل خالهِ وقد جئت ان

يقتلني ففررت اليكِ لاخدمك واستأمن على نفسي وستجدين عندى كفايةً فى كل ما تفوّضينه اليّ وكانت قد امرت باصحاب جذيمة فقُتِلوا عن اخرهم وطلبت قصيرًا فلم يُلحَق ولما راته حينئذٍ كذلك اغترّت بصدقهِ فعفَت عنه وقالت له اقِم فلك عندى كل ما تحبّ وفوّضت اليهِ نفقتها فنصح لها ورات منه الشهامة فاقام عندها حولاً ثم قال لها ياسيدتى ان لى بالعراق مالاً اريد ان اخرج اليهِ فاذنت له ودفعت اليهِ مالاً يشترى لها بهِ ثيابًا من الخز والوشى وقِطَعًا من الياقوت والمسك والعنبر فانطلق حتى اتى عمرو بن عدىّ فاخذ منه ضعف مالها واشترى لها ما امرته به وانصرف اليها فظنّت ان ذلك كله اشتراه بمالها فاسترخصته وردّته الثانية والثالثة وهو يفعل كذلك فوقع من قلبها موقعًا جليلاً حتى بعثت بهِ فى المرّة الرابعة بمالٍ جزيلٍ وامرته ان يشترى لها امتعةً كثيرة فانطلق الى عمروٍ وقال قد قضيت ما علىّ وبقى ما عليك قال ماذا علىّ فقال اخرج معى بالرجال فى الرحال فاختار عمرٌو الف رجلٍ من اصحابهِ وخرجوا معه بسيوفهم فى الصناديق فكان يسير بهم فى النهار واذا امسى اخرجهم حتى اذا كان على ميلٍ من مدينتها تقدّم حتى دخل عليها وقال اصعدى اعلى القصر لتنظرى ما اتيتك بهِ فصعدت تنظر من اعلى قصرها فرأت ثقل الاحمال فانشدت تقول

ما للجمال مشيها وئيدا ... أجندلاً يحملن ام حديدا

ام صَرَفانًا باردًا شديدا ... ام الرجالَ جُثّمًا قعودا

ثم امرت بالرحال فأُدخِلَت قصرها وقت مسآءٍ وقالت اذا كان الغد نظرنا الى ما اتيتنا بهِ فلما جنَّ عليهم الليل فتحوا مكامنهم وخرجوا فقتلوا جميع من كان فى القصر من جواريها وكان لها سربٌ قد اعدّته لخوفٍ يحلُّ بها لتخرج من المدينة وكان قصير قد عرفه ووصفه لعمروٍ فصار اليهِ فلما احسَّت بالامر بادرت الى ذلك السرب فلما رات عمرًا مصَّت سمًّا كان فى خاتمها وقالت بيدى الابيد عمروٍ فقام اليها بالسيف فقطَّعها اربًا وغنم ما فى مدينتها وانصرف الى ارضهِ وهو يقول

الا يا ايُّها الغرُّ المرجّــــى	الم تسمع بخطب الاوّلينـــا
دعا بالبَقَّـــة الوزرآء يومًـــا	جذيمة يستشير الناصحينـــا
فطاوع امرهم وعصى قصيــرًا	وكان يقول لو نفع اليقينـــا
لقد خطب التى غَدَرَت وخانت	وهُنَّ ذوات غدرٍ يزدهينـــا
فخطَّت فى صحيفتهـا اليـــهِ	ليملك بضعها او ان يدينـــا
ففاجأها وقد جَمَعت جموعـًا	على ابواب حصنٍ مصلتينـــا
وحكَّمَتِ الحديدَ براهشَيـهِ	فاضحى قولها كذبًا ومينـــا
وخَبَّرَتِ العصا الابنآء عنــهُ	ولم أَرَ مثل فارسها هجينـــا
فبات نسآؤهُ ثُكلاً عليـــهِ	مع الابنآء يُعلِينَ الانينـــا
فولَّى انفهُ الموسى قصيـــرٌ	ليخدعها وكان بهِ ضنينـــا
مخاتلة ابنة الريّان مكــرًا	فأَذهَل عقلها الوافى الرصينـا
اتتها العير تحمل ما دهاهـــا	رجالاً فى المسوح مُسَوَّمينـــا

وفاجأها على الأنفاق عمرٌو بشكّتِهِ ولم تخش الكمينا
فجلّلها عتيق الحدّ عضبًا يشقّ بهِ الحواجب والجبينا
الم تَرَ أَنّ ريب الدهر يُوْذِي ويورد للفتى الحَينَ المبينا
ولم تَرَ لاهيًا يلهو بشيء ولو اثرى ولو ولد البنينا

وكانت مدة ولاية جذيمة ستين سنة وتولّى بعدهُ ابن اخته عمرو بن عديّ وكان يغزو المغازي ويصيب الغنايم وتُجبَى اليهِ الاموال ولما تُوُفِّي عمرو قام بعدهُ بالملك ابنهُ امرء القيس بن عمرو بن عديّ وكانت امّهُ مادية بنت عمرو الازديّ ولما توفي امرؤ القيس ملك بعدهُ ابنهُ عمرٌو وكانت امّهُ هند بنت كعب بن عمرو وكان ملكهُ ستين سنة ثم ملك بعدهُ اوس بن قلام العمليقيّ فخرج الملك حينئذٍ من آل بيتهِ غير انه لم يقم من العماليق سوى ملكٍ اخر حتى رجع الملك الى بني عمرو بن عديّ فملك منهم امرء القيس من ولد عمرو بن امرء القيس المذكور آنفًا وكان يُلقّب بالمُحرّق لانه اول من عاقب بالنار وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه النعمان الاعور وهو الذي بنى الخورنق والسدير وامّهُ شقيقة بنت ابي ربيعة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة وكان من اشد ملوك العرب نكايةً في الاعداء وابعدهم مغارًا غزا الشام مرارًا كثيرة واكثر المصايب في اهلها وسبى وغنم كثيرًا من الاموال وهو الذي نهض بثار الضيزن الغسّاني واخذ دِيته ماية الف دينار من سابور ذي الاكتاف وكان صارمًا حاذمًا ضابطًا لملكهِ واجتمع له من الاموال

والذخاير ما لم يجتمع لاحدٍ من ملوك الحيرة واليهِ يشير المنخّل اليشكريّ فى قولـهِ

واذا سكرت فاننـــى ربُّ الخَوَرْنَق والسديرِ
واذا صحوت فاننـــى ربُّ الشُوَيهةِ والبعيرِ

ولما اتى على الملك النعمان ثلثون سنةً فى الملك صعد على مجلسهِ فى الخورنق وتأمَّل فى الملك الذى له والاموال والذخاير التى عنده فقال فى نفسه اىُّ خيرٍ فى هذا الذى ملكته اليوم ويملكه غيرى غدًا وزهد فى الملك فبعث الى حُجّابهِ ونَحَّاهم عن بابه حتى اذا جنَّ الليل التحف بكسآءٍ وساح فى الارض فلم يَرَهُ احدٌ بعد ذلك وبقى فى سياحتهِ ثلثين سنةً الى ان مات واليهِ اشار عدىٌّ بن زيد التميمى حيـث يقول

اين كسرى تاج الملوك بنى سا سان ام اين قبلـــهُ سابورُ
واخو الحضر اذ بناه واذ دجلة تُجبَى اليـــهِ والخـــابورُ
شادهُ مرمرًا وجلَّلـــهُ تبرًا وللطيـــــر فى ذراهُ وكورُ
وتذَكَّرْ ربَّ الخورنق اذا شرف يومًا وللهدى تفكيـــرُ
سَرَّهُ مالهُ وكثرة ما يملـك والبحر معرضٌ والسديـــرُ
فارعوى قلبه فقال وما غبطة حيٍّ الى الممات يصيـــرُ
ثم بعد الفلاح والملك والامَّة وارتهُمُ هنـــاك القبـــورُ
ثم صاروا كانهم وَرَقٌ جَـــفَّ فألْوَت بهِ الصبـــا والدبورُ

والى المُحرِّقُ يُنسب النعمان ومن يليهِ من عَقَبهِ فيقال لهم آل محرِّق

وفيهم يقول الاسود بن يعفر الدارمىّ بعد نكبة الاكاسرة لهم

ماذا نُؤمّل بعد آل محرّقٍ تركوا منازلهم وبعد أيادِ
اهل الخورنق والسدير وبارقٍ والقصر ذى الشرفات من سنداد
نزلوا بأنقرةٍ يسيل عليهم ماء الفرات يجيء من اطوادِ
جرت الرياح على رسوم ديارهم فكانهم كانوا على ميعادِ
ولقد غَنُوا فيها بانعم عيشةٍ فى ظلّ ملكٍ ثابت الاوتادِ
فاذا النعيم وكلّ ما يُلهَى بهِ يومًا يصير الى بِلىً ونفادِ

ولما ترهّد النعمان الاعور واعتزل بنفسهِ عن الملك تولّى ابنه المنذر بن النعمان وامّه هند بنت زيد مناة الغسّانى فاقام المنذر على ملكهِ اربعًا واربعين سنةً ثم توفّى فملك بعده ابنه الاسود وكان مغوارًا فاتكًا وهو الذى انتصر على بنى غسّان عرب الشام واسر عدّةً من ملوكهم فقتل بعضهم وعفا عن بعضٍ وكانوا قد قتلوا ابن عمٍ له فى بعض الوقايع وله اخٌ يقال له ابو أُذَينة فلما راى الاسود يريد ان يعفو عن اسراهم وقف عليهِ وانشأ يقول

ما كُلّ يومٍ ينال المرء ما طلبا ولايسوّغهُ المقدار ما وهبا
واحزم الناس مَن ان فرصةٌ عرَضت لم يجعل السبب الموصول مُقتضَبا
وانصف الناس فى كل المواطن من سقى الاعادىَ بالكاس الذى شربا
وليس يظلمهم من راح يضربهم بحدّ سيفٍ بهِ من قبلهم ضُرِبا
والعفو الّا عن الاكفاء مكرمةٌ من قال غير الذى قد قلتهُ كذبا
قتلتَ عمرا وتستبقى يزيد لقد رايتَ رايا يجرّ الويل والحَرَبا

لا تقطَعَنْ ذَنَبَ الافعى وترسلها ‏ ان كنت شهمًا فأَتبِعْ راسها الذَنَبا

هم جرّدوا السيف فاجعلهم له جُزُرًا ‏ واوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا

ان تعفُ عنهم يقول الناس كلهمُ ‏ لم يعفُ حلمًا ولكن عفوهُ رَهَبا

هُمْ أَهِلّةُ غسّانٍ ومجدهُمُ ‏ عالٍ فان حاولوا ملكًا فلا عجبا

قد عرّضوا بغدآه واصفين لنا ‏ خيلاً وإبْلاً تروق العُجْمَ والعَرَبا

ايحلبون دمًا منا ونحلبهم ‏ رسلاً لقد شَرَفونا فى الورى حَلَبا

على مَ تقبل منهم فِديةً وهُمُ ‏ لا فضةً قبلوا منا ولا ذهبا

واقام الاسود فى الملك عشرين سنةً ثم توفّى فقام مكانه على الملك اخوه المنذر بن المنذر بن النعمان الاعور وكان ملكه سبع سنين ثم ملك بعده النعمان بن الاسود وكان ملكه اربع سنين ثم ملك بعده يعفر بن علقمة الذميلىّ من احد بطون بنى لخم وذلك سنة خمسماية وثلث للمسيح وكان ملكه ثلث سنين فملك بعده امرء القيس بن النعمان بن امرء القيس المحرق وهو الذى غزا بنى بكرٍ يوم اوارة فى ديارهم وبنى الحصن المعروف بالصِنْبَرّ الذى يقول فيهِ الشاعر

ليت شعرى متى تخبّ بنا النا ‏ قة نحو العُذَيب والصِنْبَرّ

وقتل سِنِمّار الرومّى الذى بناه له حين فرغ من بنآيهِ وفيهِ يقول المتلّمس

جرتنا بنو سعدٍ بحسن فعالنا ‏ جزآء سِنِمّارٍ وما كان ذا ذنبِ

وقيل ان سِنِمّار بنى الخورنق للنعمان بن امرء القيس بظاهر الكوفة فلما فرغ من بنآيهِ القاه من اعلاه فخرّ ميّتًا ليلا يبنى لغيرهِ مثله فضُرِب بهِ المَثَل قال بعضهم

جزى بنوهُ ابا الغيلان من كبرٍ   وسوء فعلٍ كما جوزِى سِنِمَّارُ

وفى زمان امرء القيس بن النعمان المذكور كثر النصارى فى مملكة الفرس وظهرت النصرانية جدا فى العراق وكان ملكه خمسا وعشرين سنة ثم ملك بعده ابنه المنذر وكانت امه ماوية بنت عوف بن جشم وقيل بل هى بنت ربيعة التغلبىّ اخت كليب والمهلهل وكانت تُلَقَّب بمآء السمآء لجمالها وقد غلب لقبها على المنذر فقيل له المنذر بن مآء السمآء وبعد ما استولى المنذر على ملك ابيهِ طرده قبّاذ كسرى عن الملك واقام مكانه الحرث بن عمرو بن حِجْر الكندىّ الذى يقال له آكِل المرار وكان الحرث قد وافق كسرى على دينهِ بخلاف المنذر فَولّاه ملك الحيرة مكانه وكان ملك المنذر اثنتين وثلثين سنة ولما توفى ملك ابنه عمرو بن هند وهى امّهُ واليها يُنسَب وكان جلوسه على سرير المملكة سنة خمسماية واثنتين وستين للمسيح وكان مقداما شديد السلطان كثير المغازى مهيبًا وكانت العرب تسميه مضرط الحجارة لشدة ملكه وهو الذى غزا بنى تميم فى ديارهم فاوقع بهم وكان السبب فى ذلك ان عمرًا كان له اخٌ من امه يدعى مالكًا نازلٌ فى بنى دارم وهم حىٌّ من تميم عند زرارة بن عدس وكان عمرٌو قد ضمّه اليهِ ليُحسِن ادبَه وكانَ القوم يومئذٍ نازلين باوارة وهو مكانٌ بالقرب من البحرين فاغتاله احدهم سويد بن ربيعة يومًا وقتله لاجل ناقةٍ له كان مالكٌ قد نحرها وغمض خبره زماناً فبلغ بنى طى ذلك وكان فيهم عمرو بن ثعلبة الفارس المشهور

فكتب الى عمرو بن هند يعلمه بقتل اخيه

من مبلغٌ عمرًا بان المرء لم يُخلق صباره
وحوادث الايام لا تبقى لها الا الحجاره
ان ابن عجزة امه بالسفح اسفل من اواره
تسفي الرياح خلال كشحيه وقد سلبوا ازاره
فاقتل زرارة لا ارى في القوم افضل من زراره

فلما وقف عمرو على هذه الابيات ثارت بهِ الحميَّة وجمع اهل مملكتهِ وسار طالبًا القوم حتى اتى ديارهم فغزاهم وقتل اكثرهم وكان سويد وزرارة قد بلغهما خبر قدومهِ فتفرقا في نواحي البلاد فلم يقدر ان يقف لهما على خبر وكان لسُوَيد سبعة اولادٍ فقتلهم وكانت امراة زرارة حاملًا فعلا بالسيف بطنها فشقها ثم ان عمرًا حلف ان يحرق منهم ماية رجلٍ بثار اخيهِ وجعل يلتمس من ثار منهم في تلك الاطراف ويُلقِي في النار من وقع في يدهِ حتى ادرك تسعة وتسعين رجلًا وتعذَّرت عليهِ تتمة الماية ولما كان ذات يومٍ اخر النهار اقبل راكبٌ يقال له عَمَّار وكان من البراجم وهم قومٌ من بني تميم واتفق ان عمرًا كان قد القى رجلًا في النار فسطع الدخان وفاح القتار فظنَّ ذلك مأدبةً للطعام فاسرع اليها حتى اناخ الى عمرٍو فقال عمرٌو ممن انت قال من البراجم قال فبماذا جيْت قال سطع الدخان وانا جايعٌ فظننته طعامًا فقال عمرٌو ان الشقيَّ وافد البراجم فذهبت مثلًا وامر بهِ فأُلقِي في النار وصار ذلك عارًا

لبنى تميم بحبّ الطعام قال الشـــــــــــــــــاعر

اذا ما مات حيٌّ من تميمٍ وسرّك ان يعيش فجيء بزادِ
تراه ينقـــب الافاق حولاً ليأكل راس لقمان بن عادِ

وفى السنة التاسعة من ملك عمرو المذكور ولد محمد بن عبد الله بن عبد المطّلب صاحب الشريعة الاسلامية وعمرو بن هند هو الذى اصلح بين بنى بكرٍ وتغلب بعد ما تفانوا فى حرب البسوس واقام بالملك اثنتى عشرة سنة ثم قتله عمرو بن كلثوم التغلبى الشاعر لسببٍ يطول شرحه وتولى بعده اخوه قابوس بن المنـذر من هند بنت الحرث بن عمرو الكندى التى هى ام اخيهِ عمرو بن هند وكان قابوس ضعيفًا مهينًا مولعًا باللهو والشراب والصيد وفيهِ يقول طرفة بن العبد البكرىّ

لعمرك ان قابوس بن هندٍ ليخلط ملكه حمقٌ كثيرُ
قسمت الدهر فى زمنٍ رخيٍّ كذاك الحكم يقصد او يجورُ
لنـا يومٌ وللكروان يـومٌ تطير الرايشات ولا نطيـرُ
فامّا يومهـنّ فيوم سوءٍ تطاردهنّ بالخَرَب الصقورُ
واما يومنا فنظلّ فيـهِ وقوفًا ما نحلّ ولا نسيـرُ

واقام قابوس فى الملك خمس سنين ثم قتله رجل من بنى يشكر فملك بعده المنذر بن المنذر اخو عمرو بن هند وكان معتدل القامة صبيح الوجه كريمًا وكان ملكهُ ثلث سنين ثم ملك بعده ابنه النعمان بن المنذر بن ماء السماء وذلك سنة خمسمائة وثلث

وثمانين للمسيح وكان يُكنَى بابي قابوس وهو الذى يقول فيه النابغة الذبيانىّ

الم اُقسِم عليك لتُخبِرَنّى   امحمولٌ على النعش الهُمَامُ
فانى لا الومك فى دخولٍ   ولكن ما وراءك يا عصامُ
فان يهلك ابوقابوس يهلك   ربيع الناس والشهر الحرامُ
ونمسك بعده بذناب عيشٍ   اجبّ الظهر ليس له سنامُ

وكانت امّ النعمان سلمى بنت وائل بن عطيّة الصايغ من اهل فدك وهى التى يقول فيها عمرو بن كلثوم التغلبىّ

حلّت سُلَيمى بخبتٍ بعد فرتاجِ   وقد تكون قديمًا فى بنى ناجِ
اذ لا ترجى سليمى ان يكون لها   من بالخورنق من قينٍ ونسّاجِ
ولا يكون على ابوابها حرسٌ   كما تلفّف قبطىٌّ بديباجِ
تمشى بعدلين من لوّمٍ ومنقصةٍ   مشى المقيّد فى اليلبوت والحاجِ

وكان النعمان احمر ابرش قصيرًا ذميمًا سيّئ الخلق وهو الذى قتل داهية العرب عُبَيد بن الابرص العامرىّ فى يوم بُؤسهِ الذى جعله على نفسهِ حزنًا على نديميه اللذين قتلهما وكان احدهما خالد بن المضلّل والاخر عمرو بن مسعود وهما من بنى اسد اغضباه فى حال سكرهِ فامر ان يُحفَر لكل واحدٍ منهما حفرةٌ فى ظهر الحيرة ويُدفَن بها ففُعِل بهما كذلك ولما اصبح النعمان سأل عنهما فاخبروهُ بخبرهما فندم على ذلك وحزن عليهما حزنًا شديدًا ثم امر ببناء قبّةٍ عليهما وجعل لنفسهِ يومين من السنة يجلس فيهما

عند القبة احدهما يوم نعيم والاخر يوم بُؤسٍ فكان اول من يطلع عليهِ يوم نعيمهِ يعطيهِ مايةً من الابل واول من يطلع عليهِ يوم بُؤسه يقتلهُ ويطلى بدمهِ تلك القبة وما زال على ذلك حتى مرّ بهِ في يوم بؤسٍ اعرابيٌّ من طيّ يقال له حنظلة فامر بقتلهِ فقال حيّى الله الملك ان لي صبيةً صغارًا ولم أُوصِ بهم احدًا فان رايت ان تأذن لي في اتيانهم واعطيك عهد الله انى ارجع اليك اذا اوصيت بهم فرقّ له النعمان وقال اذهب ولكن بشرط ان يضمنك احدٌ ممن معنا وكان مع النعمان وزيره شريك بن عمرٍو فنظر اليهِ الطآئيّ وانشد

ياشريكُ بنَ عُمَيرٍ	هل من الموت محالة
يا اخا كلّ مُصَابٍ	يااخا من لا اخا له
يااخا النعمان فيك ال	يوم عن شيخٍ كفالة
ان شيبان قبيـــلٌ	اكرم اللهُ رجاله

فقال شريك عليّ ضمانه ايها الملك فمضى الطآئيّ وأَجّل اجلاً ياتى فيهِ فلما كان ذلك اليوم احضر النعمان شريكًا وجعل يقول له ان مضى هذا اليوم ولم يحضر الاعرابيٌّ جعلتك فدآء له لضمانك اياه وشريك يقول ليس للملك عليّ سبيلٌ حتى يمسى المسآء فلما امسى اقبل شخصٌ من بعيد والنعمان ينظر اليهِ والى شريك فقال شريك ليس لك عليّ سبيلٌ حتى يدنو هذا الشخص فلعله صاحبي وبينما هما في الكلام اذ اقبل الطآئيّ وهو يشتدّ في عدوهِ حتى وصل وقال خشيت ان ينقضى النهار قبل وصولى فمُر ايّها الملك بامرك فاطرق

النعمان برهةً ثم رفع راسه وقال والله ما رايت اعجب منك فماذا حملك
على الرجوع الى القتل قال ديني فان من لا وفآء له لا دين لهُ قال
وما دينك ياأخا العرب قال النصرانية فقال اعرضها عليَّ فاعرضها
فتنصَّر النعمان واطلق الاعرابيَّ واحسن اليهِ وابطل تلك السُنَّة من
ذلك اليوم واقام النعمان في الملك الى ان قتله ابرويز كسرى بسبب
قتلهِ عديَّ بن زيد العبَّادي ترجمان كسرى بينه وبين العرب
وكان قتل النعمان سببًا لحرب ذي قار بين العرب والفرس على اثر
ظهور الاسلام وكانت مدة ملك النعمان في العراق اثنتين وعشرين
سنة ولما قُتِل النعمان اقام ابرويز كسرى مكانه في الحيرة اياس بن
قبيصة الطآئيّ وذلك سنة ستماية وخمس للمسيح وكان اياس من
اشراف طي فصيحًا جوادًا مشهورًا بالشجاعة عالمًا بايام العرب
ووقايعهم واكثر شعره في الحماسة ومنه قوله

وما ولَدَتني حاصنٌ رَبعيَّةٌ لئن أنا مالأت الهوى لاتّباعِهَا
الم ترَ ان الارض رحبٌ فسيحةٌ فهل تُعجِزَنّي بقعةٌ من بقاعِهَا
ومبثوثةٍ بثَّ الدَّبا مُسبطَّرةٍ رددتُ على بطآيها من سراعِهَا
وأقدمتُ والخطيُّ يخطِر بيننا لأَعلم مَنْ جبانُها من شُجاعِهَا

واقام اياس بالملك الى ان وقعت حرب ذي قار وظفرت العرب بالفُرس
فانهزم اياس مع المنهزمين وعاد الملك الى اهله فملك الاسود بن
المنذر اخو الملك النعمان وفي ايامهِ اشتهر الحرث بن كلدة الثقفي
بالطب اخذ ذلك عن اهل جند سابور وكانت العرب تقصده من

اماكن بعيدة فيستوصفه من كان بهِ علة ثم ملك بعد الاسود المذكور المنذر بن النعمان بن المنذر بن مآء السمآء المُلقَّب بالمغرور وكانت امه المتجردة بنت زهير بن جذيمة سيد بني عبس وقيل اسمها هند والمتجردة لقب لها وفيها يقول المنّخل اليشكريّ

يارُبَّ يومٍ للمنَّخل   قد لها فيهِ قصيرِ

يا هند هل من نائلٍ   يا هند للعانى الاسيرِ

واستمر المنذر على ملك الحيرة الى ان قُتِل بالبحرين يوم جُوَاثَى وكان يُلَقَّب بالمغرور وهو اخر ملوك اللخميين الذين كانوا عُمَّالاً للاكاسرة على عرب العراق واستولى بعد المنذر خالد بن الوليد تحت راية الاسلام واخذت من هنالك دولة المسلمين

فصل

فى ملوك عرب الشام

ملوك عرب الشام آل جفنة وهم من بني الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سبا غير انهم لما تفَّرقوا من اليمن نزلوا على مآء بالشام يقال له غَسَّان فاشتهروا به حتى غلب اسمه عليهم فقيل لهم آل غسَّان وكان بالشام قوم من سليح يقال لهم الضجاعمة وكانوا من ملوك الطوايف الذين قتل اسعد الحميرى من كان منهم باليمن وقتل اردشير كسرى من كان منهم بارض العجم فنهض آل غسَّان على الضجاعمة واخرجوهم عن الشام ونزلوا

ملوكهم وكانوا ثلثة من ولد نزار بن معدّ وفهر بن مالك والقلمس بن عامر من ملوك الحجاز وتهامة وملكوا مكانهم بالشام وكان اول من ملك من آل غسّان جفنة بن عمرو بن ثعلبة بن عمرو بن مُزَيقياء وتمهّدت له الديار الشاميّة بعد قتل ملوك الضجاعمة وعظمت دولته وبنى بالشام مصانع كثيرة وكان ملكه خمسًا واربعين سنةً وثلثة اشهر ثم ملك بعده ابنه عمرو بن جفنة ثم ملك بعده ابنه ثعلبة بن عمرو وهو الذى بنى صرح الغدير فى اطراف حوران مما يلى البلقآء وكان ملكه سبع عشرة سنة ثم ملك بعده ابنه الحرث بن ثعلبة وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنهُ جَبَلة بن الحرث وهو الذى بنى القناطر واذرح والقسطل وكان ملكه عشر سنين ثم ملك بعده ابنه الحرث بن جبلة وكانت امه مارية ذات القرطين اللذين يُضرَب بهما المَثَل فى التنافس وهى بنت عمرو بن جفنة وقد ذكرها حَسّان بن ثابت الانصاريّ فى قصيدته التى يمدح بها آل جفنة حيث يقول

للـــه درُّ عصابةٍ نادمتهـم يومـًا بِجُلَّقَ فى الزمان الاولِ

اولاد جفنة حول قبر ابيهـــمِ قبر ابن ماريـة المُعِمّ المُخوِلِ

يسقون مَن وَرَد البريص عليهمِ بَرَدَى تُصَفّق بالرحيق السلسلِ

بيض الوجوه كريمةٌ احسابهم شُمّ الانوف من الطراز الاول

يُغشَون حتى ما تهرّ كلابهم لا يسألون عن السواد المقبلِ

وكان مسكن الحرث بالبلقآء فبنى بها الحفير ومصنعه وقصر ابيه

ومعان وكان ملكه عشرين سنة ثم ملك بعده ابنه المنذر الاكبر
بن الحرث بن مارية وكان ملكه ثلث سنين ثم ملك بعده اخوه
النعمان بن الحرث وكان ملكه خمس عشرة سنة وستة اشهر ثم اخوه
المنذر الاصغر ثم اخوه جبلة بن الحرث ثم اخوه الايهم بن الحرث
ثم اخوه عمرو بن الحرث وكان شديد التكبر ذميمًا قبيح السيرة
والمنظر انشأ فى دمشق وضواحيها ومعاملاتها عدة قصور شامخة
منها قصر الفضا وصفات الجلات وقصر منار وصوّر فى بعض هذه
القصور مجالسه وجلسآء دولته واشكال صورتهِ فكانت مُنتَزهاتٍ لا
يوجد مثلها وكان قد رسم لنفسهِ فى كل ليلة جاريةً عذرآء من
السبايا التى تصيبها خيله المغيرة فى البلاد على العصاة من اهلها
فلم يزل ذلك دأبه حتى وقعت عنده فى السبى اخت عمرو بن الصعق
العدوانى فلم يشعر الا واخوها قد وقف بهِ وهو يقول

يا ايها الملك المهيب اما ترى صبحًا وليلًا كيف يختلفانِ
هل تستطيع الشمس ان يُؤتى بها ليلاً وهل لك بالصباح يدانِ
فاعلم وايقن ان ملكك زايلْ وكما تُدين تدان عفد رهانِ

فوقعت هذه الابيات فى قلبه وقال له قد امنك الله على من لك عندى
وامن كل الناس على من وقع لهم من السبايا وابطل تلك السنّة من ذلك
اليوم وكان ملكه ستًا وعشرين سنة وشهرين ثم ملك بعده جفنة الاصغر
ابن المنذر الاكبر وهو الذى احرق الحيرة وبذلك سمى المحرق
وكان ملكهُ ثلثين سنة ثم ملك بعده اخوه النعمان الاصغر ابن

المنذر الاكبر   ثم ملك النعمان بن عمرو بن المنذر وهو الذى بنى قصر السُوَيدآء وقصر حارب ولم يكن عمرو ابو النعمان ملكًا لكنه كان من كرام العشيرة وفيهِ يقول النابغة الذبيانى

علىَّ لعمرٍو نعمـةٌ بعد نعمـةٍ   لوالدهِ ليست بذات عقـاربِ

وكان ملك النعمان بن عمرو سبعًا وعشرين سنة   وملك بعد النعمان ابنه جبلة وكان ينزل بصفّين وهو صاحب يوم عين اباغ الذى فتك فيهِ ببنى لخم ونزار   وكان ملكه ست عشرة سنة   ثم ملك بعده النعمان بن الايهم بن الحرث   وكان ملكه احدى وعشرين سنة ثم ملك بعده اخوه الحرث بن الايهم   ثم النعمان بن الحرث   وهو الذى اصلح صهاريج الرصافة وكان قد اخربها بعض ملوك الحيرة اللخميين   ثم ملك بعده ابنه المنذر بن النعمان   وكان ملكه تسع عشرة سنة   ثم ملك بعده اخوه عمرو بن النعمان   ثم ملك اخوهما حجر بن النعمان   ثم ملك ابنه الحرث بن حجر   ثم ملك ابنه جبلة بن الحرث وكان ملكه سبع عشرة سنة وشهرًا واحدًا   ثم ملك بعده ابنه الحرث بن جبلة بن ابى شمر وهو الذى اوقع ببنى كنانة وكان يسكن احيانًا فى الجابية واحيانًا فى عمان التى تُعرَف بالبلقآء وكان ابتدآء ملكه فى عصر النعمان بن المنذر ملك الحيرة فكانت بينهما مغايرةٌ فى الشرف   وكان الحرث كثير الغزو والغارات على قبايل العرب   وكان كريمًا جوادًا كثير المواهب فكانت العرب تدعوه الوهّاب وقيل لم تجتمع من الشعرآء بباب احد من ملوك عصرهِ ما كان يجتمع

ببابه وكان حسّان بن ثابت الانصارى الشاعر المشهور منقطعًا اليهِ وله فيهِ مدايح كثيرة ومن ذلك قوله يمدحه ويهجو النعمان بن المنذر

ونُبِّئتُ ان ابا منذرٍ يساميك للحرث الاصغرِ
قذالك احسن من وجههِ وامّك خيرٌ من المنذرِ
ويسرى يديك على غيرها كيمنى يديهِ على الميسرِ

وذلك ان الحرث قال يومًا لحسّان يريد ان يمتحنه بلغنى انك نسبت الى النعمان رفعة شانٍ وبلغت فى مدحه الغاية فقال حسّان الابيات وكان ملك الحرث المذكور احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ثم ملك بعده ابنه النعمان بن الحرث وكان شديد الاجتهاد فى انتشار النصرانية فى البلاد اكثر من اجدادهِ وكان ملكًا عادلًا شجاعًا فاضلًا كثير الخير قليل الشرّ حسن الصورة والسيرة وكان يحبُّ العلمآء والفضلآء ويقدّمهم على اشراف الناس وفيهِ يقول النابغة الذبيانى والنعمان اذ ذاك فى غيبةٍ له

فان يرجع النعمان نفرح ونبتهج ويأتى معدًّا ملكها وربيعها
ويرجع الى غسّان ملكٌ وسوددٌ وتلك المُنَى لو اننا نستطيعها

ثم ملك بعده الايهم بن جبلة بن الحرث وهو صاحب تدمر وقصر بركة وذات انمار وكان له عاملٌ يقال له القين بن جسر بنى له بالبرية قصرًا عظيمًا قيل انه قصر برقع وهو الذى يقول فيهِ النابغة الذبيانى وكان حينئذ حديث السنّ

هذا غلامٌ حَسَنٌ وجهـــهُ   مستقبل الخير سريع التمام
للحرث الاكبر والحرث ال   اعرج والاصغر خير الانام
ثم لهندٍ ولهنـــد انتمى   جدّات صدقٍ وجدودٌ كرام
خمســـة آبآءٍ هُمُ ما هُمُ   وخير من يشرب مآء الغمام

وملك بعد الايهم اخوه المنذر بن جبلة وذلك سنة ستماية وعشرين للمسيح وكان ملكه ثلث عشرة سنة ثم ملك اخوهما شرجبيل بن جبلة ثم ملك بعده اخوه عمرو بن جبلة ثم ملك بعده ابن اخيهِ جبلة بن الحرث وكان ملكه اربع سنين ثم ملك بعده جبلة بن الايهم بن جبلة وهو اخر ملوك غسّان وكان طويل القامة نحيف الجسم يلبس الثياب الفاخرة وهو الذى بنى مدينة جبلة بين طرابلس واللادقية وسمّاها باسمهِ وقيل انه اسلم فى خلافة عُمَر بن الخطّاب فسار الى مكة يريد الحجّ بمايتين وخمسين نفرًا من اصحابهِ فلما قرب من المدينة قلّد اعناق خيله بقلايد الذهب والفضة ووضع تاجه على راسهِ ولما بلغ عُمَر قدومه التقاه بمن عنده ورفع مقامه حتى كان يوم الطواف فبينًا جبلة يطوف بالبيت مُحرِمًا متّزرًا اذ وطئَ رجلٌ من فزارة طرف ازاره فانحلّ عنهُ الازار حتى بدت عورته فغضب جبلة من ذلك ولطم الفزاريَّ لطمةً هشم بها انفه فتعلق بهِ الرجل وانطلق الى عُمَر ودمه يسيل على وجههِ فقال لهُ عُمَر انت بين ان يلطمك الرجل كما لطمته او تفتدى اللطمة منه فقال جبلة افلا يُفَصَّل عندكم ملكٌ على سوقة قال كَلَّا بل كلاهما

فى الحق سوآء فأَنِف جبلة من ذلك ولما جنّه الليل خرج بقومهِ حتى لحق بالشام فارتدَّ عن اسلامهِ فكتب عُمَر الى عاملهِ بالشام ابى عبيدة بن الجرّاح ان يستتيب جبلة فان تاب والّا ضرب عنقه وبلغ ذلك جبلة فخرج هاربًا الى قيصر ملك الروم واقام عنده وكانت ملوك غسّان عُمّالًا للقياصرة على عرب الشام وكانت ايام دولتهم نحو ستماية سنة

فصــل
فى ملوك كندة

اول ملوك كندة حجر بن عمرو الملقّب بآكل المرار وهو من ولد كندة بن ثور بن عفير بن الحرث من ولد زيد بن كهلان بن سبا وكان بنو كندة قبل ان يملك عليهم حِجْرٌ هَمَلًا لا يملك عليهم احدٌ فاهلك القويُّ الضعيف فلما ملك حجْرٌ سدَّد امورهم واحسن سياستهم وانتصف للمظلوم من الظالم وكان ابتدا ملكه سنــة اربعماية وستين للمسيح وقيل انه لُقّب آكل المرار لانه كان قد بلغته خيانةٌ من زوجته فاستشاط غضبًا وجعل ياكل المرار وهو نبات مرّ الطعم فقيل له ذلك وكان ملك حجر عشرين سنة ولما توفى ملك بعده ابنه عمرو بن حجر وكان يُلقَّب بالمقصور لانه قُصِر على ملك ابيهِ فلم يتجاوزه فاقام فى الملك ما شآء الله حتى قتله الحرث بن ابى شمر الغسّانى فملك بعده ابنه الحرث بن عمرو وكان شديد

البأس كثير الغزوات ولما ملك قباذ كسرى بن فيروز خرج فى ايامهِ مردك يدعو الى الزندقة فاجاب كسرى دعوته وكان المنذر بن ماء السمآء عاملاً لكسرى على الحيرة فدعاه الى الدخول معه فى مذهب مردك فأبَى فدعا الحرث بن عمرو فاجابه فسدَّد ملكه وطرد المنذر عن مملكتهِ وملَّكه مكان المنذر كما سبقت الاشارة الى ذلك فى الكلام على ملوك العراق وعظم شان الحرث بعد ذلك واقام على مملكتهِ عزيزًا حتى ملك انوشروان كسرى فقبض على مردك وصلَبَهُ فى جذعٍ وامر بقتل الزنادقة فقُتِل منهم فى ضحوةٍ واحدةٍ مائة الف زنديقٍ فى امكنةٍ شَتَّى من بلادهِ وطلب الحرث بن عمرو يريد ان يقتلهُ ايضًا وكان الحرث بالانبار فلما بلغهُ ذلك خرج هاربًا فى اصحابهِ ومالهِ واولادهِ وكان كسرى قد اعاد المنذر الى ملك الحيرة فخرج فى طلب الحرث بالخيل من تغلب وبهرآء واياد حتى ادركه بارض بنى كلب ولم يتمكن منه فنجا وانتهبوا ماله وظعاينه واخذت تغلب ثمانية واربعين نفرًا من بنى آكل المرار وقدمت بهم على المنذر فضرب رقابهم بجفر الاملاك فى ديار بنى مرين بين دير هند والكوفة وكان فيهم اثنان من اولاد الحرث المذكور وفى ذلك يقول حفيده امرؤ القيس

ملوكٌ من بنى حجر بن عمرٍو يساقون العشيَّة يُقتَلونا
فلو فى يوم معركةٍ أُصِيبوا ولكن فى ديار بنى مرينا
ولم تُغسَل جماجمهم بغسلٍ ولكن فى الدمآء مُزَمَّلينا
تظلّ الطير عاكفةً عليهم وتنتزع الحواجب والعُيونا

وصار الحرث الى مُحلان فقتله بنو كلب وقيل انهُ مكث عندهم حتى مات وكان الحرث قد ملّك اولادهُ في قبايل العرب فملّك ابنهُ حجرًا على بني اسد وغطفان وملّك ابنهُ شُرَحْبِيل الذى قُتِل يوم الكلاب على بكر بن وائل باسرها وملّك ابنهُ معدى كرب وكان يُلَقّب غلفآء لانه كان يغلّف راسهُ بالطيب على بني تغلب والنمر بن قاسط وسعد بن زيد مناة وطوايف بني دارم بن حنظلة والصقايع وهم بنو رقيّة وملّك ابنهُ عبد الله على بني عبد القيس وملّك ابنهُ سَلَمة على بني قيس وكان حجر بن الحرث بعد ابيه في بني اسد وقد اساء معاملة القوم وكان لهُ عليهم اتاوةٌ في كل سنة فاقصروا عنها وهربوا فبعث اليهم جابيَهُ الذى كان يخدمهُ فامتنعوا عليهِ وضربوهُ واهانوا اصحابهُ وكان حجر يومئذٍ بتهامة وهى خطة متسعَة بين الحجاز واطراف اليمن فلما بلغهُ ذلك سار اليهم برجالٍ من ربيعة وجُندٍ من رجال اخيهِ فظفر بهم واخذ سُرَاتهم وجعل يقتلهم بالعُصِيّ فقيل لهم عبيد العَصَا واستباح اموالهم وسيّرهم الى تهامة واقسم لا يساكنونهُ ابدًا في بلدٍ وحبس منهم عمرو بن مسعود بن كلدة بن فزارة الاسدى وكان سيد قومهِ وعُبَيد بن الابرص الشاعر فقام عُبَيد بن الابرص وقال ايها الملك اسمع مقالتى وانشد يقول

يا عين ما فابكى بنى اسدٍ فهم اهل الندامه

اهل القباب الحُمر وال نَعَم المؤثّل والمدامه

وذوى الجياد الجُرد وال أَسل المثقّفه المُقامه

حلّا ابيت اللعن حلّا ان فى ما قلـــت آمه
فى كل وادٍ بين يثر بَ فالقصور الى اليمامه
تطريبُ عانٍ او صيا حُ محرّقٍ او صوت هامه
ومنعتهم نجــدًا فقد حلّوا على وَجَلٍ تهامه
بَرِمَت بنو اسدٍ كما برمت ببيضتها النعامه
جَعلَت لها عُودَين من نَشَمٍ وآخرَ من ثمامه
مهما تركت تركت عفوًا او قتلت فلا مــلامه
انت المليك عليهِــم وهم العبيد الى القيامه
ذلّوا لسطوتكم كمـا ذلّ الأُشَيقِرُ ذو الخزامه

فرقَّ لهم حجر حين سمع قولهُ واطلقهم واما بنو اسد فلما راوا ما كان منهُ توامروا وقالوا والله ان قهركم هذا ليحكمَنَّ عليكم حكــم الصبىّ فما خير عيشٍ يكون بعد قهر وانتم بحمد الله اشد العرب فموتوا كرامًا ثم ساروا الى حجر وقد ارتحل نحوهم فى بنى كندة فالتقوا بهِ واقتتلوا قتالًا شديدًا وكانت المعركة بين ابَرَقين من بلادهم يُدعَيان الى اليوم أَبرَقَىْ حُجرٍ وكان صاحب امر الاسديين علبآء بن الحرث الكاهلىّ فحمل على حجر وطعنهُ بالرمح فى شاكلتهِ فخرّ قتيلًا وقيل ان قاتلهُ كان ابن اخت علبآء وكان حجر قد قتل اباهُ ولما قُتِل حجر انهزمت بنو كندة وفيهم امرُ القيس بن حجر فهرب على فرس لهُ اشقر فلم يدركوهُ واسروا من اهل بيتهِ رجالًا واغتنموا مالًا كثيرًا وسبوا جوارى حجر ونسآءهُ وفى ذلك يقول امرء القيس

يالهف هندٍ ان نلاقى كاهلا   القاتلين الملـــك الحُلاحِلا
تالله لا يذهب شيخى باطلا   ياخير شيخٍ حسبـــًا ونائلا
وخيرهم قد علموا فواضـــلا   يحملنا والأَسَلَ النواهـــلا
وحَىَّ صعبٍ والوشيج الذابلا   مستثغراتٍ بالحصى جوافـــلا

وقيل ان امرء القيس لما قُتِل ابوهُ كان بارض اليمن فى مكانٍ يقال لهُ دَمُّون وكان قد خرج مغاضبًا اباهُ فلما اتاهُ الخبر بقتلهِ انشد يقول

تطاول الليل علىَّ دَمُّون   دَمُّونُ إِنَّا معشرْ يمانون
واننا لاهلنا مُحِبُّون

ثم قال ضيَّعنى صغيرًا وحمَّلنى دمهُ كبيرًا والله لا اشرب خمرًا ولا اصيب امراةً ولا اغسل راسى حتى ادرك بثارى فلما جنَّ الليل راى برقًا يتلألأُ فى جوانب الافق فقال

أَرِقتْ لبرقٍ بليلٍ أَهَل   يُضِيء سناهُ باعلى الجبل
اتانى حديثٌ وكذَّبتهُ   بامرٍ تُزعزِعُ منهُ القُلَل
بقتل بنى اسدٍ رَبَّهـــم   الا كل شيء سواهُ جَلَل
فاين ربيعة عن ربهـــا   واين تميـــمٌ واين الخَوَل
الا يحضرون لدى بابـــهِ   كما يحضرون اذا ما بَذَل

ولما راى امرء القيس ضعف امرهِ وطلب القوم لهُ لجأَ الى ابن عمتهِ عمرو بن المنذر وكانت امهُ هند بنت الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار وكان عمْرو حينئـذٍ خليفةً لابيهِ المنذر ببَقَّة وهى بين الانبار وهَيْت فاجارهُ ومكث عندهُ زمانًا ثم بلغ المنذر مكانهُ عندهُ

فطلبهُ فانذرهُ عمْرو فهرب واخذ يستنصر قبايل العرب فلم ينصروهُ ولما راى تخاذل العرب عنهُ استاجر رجالاً وسار بهم الى بني اسد فظفر بهم وانثنى عنهم غانمًا ولجّ المنذر بطلبهِ فتفرّق اصحابهُ عنهُ ونجا في عصبةٍ من بني آكل المرار حتى نزل بالحرث بن هشام من بني يربوع بن حنظلة وكان مع امرء القيس خمس دروعٍ وهي المضفاضة والصافية والمحصنة والخريق وام الذيول وكانت هذه الدروع لبني آكل المرار يتوارثونها ملكٌ عن ملكٍ فما لبث عند الحرث الا قليلا حتى بعث المنذر الى الحرث مايةً من اصحابهِ يتوعدهُ بالحرب ان لم يسلّم اليهِ بني آكل المرار فاسلمهم ونجا امرء القيس ومعهُ يزيد بن معوية وبنتهُ هند بنت امرء القيس والدروع والسلاح وما كان قد بقي معهُ من المال وخرج على وجههِ حتى وقع في ارض طيّ فنزل برجلٍ من بني جديلة يقال له المعلّى بن تيم وفي ذلك يقول

كاني اذ نزلتُ على المُعَلّى نزلت على البواذخ من شمامِ
فما مَلِكُ العراق على المُعَلّى بمقتدرٍ ولا ملك الشآمِ
اصدَّ نشاص ذى القرنين حتى تولّى عارض الملك الهُمَام
اقرَّ حشى امرءِ القيس بن حُجرٍ بنو تيمٍ مصابيح الظلامِ

ولبث امرءُ القيس عند المعلّى واتخذ ابلاً هناك فغدا قومٌ من بني جديلة يقال لهم بنو زيد وطردوا الابل وكان لامرء القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفًا من ان يدهمهُ امرٌ فيسبق عليها فخرج بها ونزل ببني نبهان من طي فخرج نفر منهم وركبوا تلك الرواحل

يطلبون لهُ الابل فاخذتها جديلة ايضًا فرجعوا اليه بلا شيء فقال في ذلـــــك

عجبت لهُ يمشي الحُزُقّة خالدٌ كمشي اتانٍ خُلّيت عن مناهلِ

فدع عنك نهبًا صِيحَ في حجراتهِ ولكن حديثًا ما حديث الرواحلِ

كانّ دثارًا حلّقت بلَبُونـــــهِ عُقابُ تَنُوفَى لا عقاب القواعل

أَبَت أَجَأٌ ان تُسلِم العامَ جارَها فمن شآء فلينهض لها من مقاتلِ

يبيت لبوني بالقُرَيَّة آمنـــًا واسرحها غِبًّا باكناف حايل

بنو ثُعَلٍ جيرانها وحُمَاتُهـــا وتمنع من رُمَاة سعدٍ ونابـــلِ

تلاعب اولاد الوعول رباعهـــا دُوَينَ السمآء في رؤوس المحادلِ

مكلّلـــــةً حمرآء ذات أَسِرَّةٍ لها حُبُكٌ كانها من وصايلِ

ففرّقت بنو نبهان على امرء القيس فُرَقًا من المعزى يحتلبها فاخذها وقـــــال

اذا ما لم تكن إِبلٌ فمعزَى كانّ قرون جُلّتها عُصِـــيٌّ

اذا ما قام حالبها ارَنّــــت كانّ القوم صبّحَهم نِعـــيٌّ

فتملأُ بيتنا اقطًا وسمنـــًا وحسبك من غنَى شبعٌ ورِيٌّ

فاقام امرُؤ القيس في بني نبهان ما شآء الله ثم خرج من عندهم وجعل ينتقل من قبيلةٍ الى اخرى حتى نزل برجلٍ من بني فزارة يقال له عمرو بن جابر بن مازن وطلب منه الجوار فقال له الفزاري يا ابن حجر اني اراك في خللٍ من قومك وقد كنت بالامس تُوكَل في ديار بني طي وقد علمت ان اهل البادية اهل وبر لا حصون تمنعهم

فليس لك الا السموأل بن عادياء صاحب حصن تيماء فانه يمنع ضعفك ويحول دون من يطلبك وانا اوصلك الى من يقدم بك عليه فاجاب امرؤ القيس الى ذلك واوصله عمرو الى رجلٍ من قومه بنى فزارة يقال له الربيع بن ضُبَيع الفزارى وكان ممن يزور السموأل فيكرمهُ بالعطايا فقال الربيع لامرء القيس ان السموأل يعجبهُ الشعر فهلم نتناشد اشعارًا فقال امرء القيس حبًّا وكرامةً فقال الربيع

قل للسَمَوْأَل اىَّ حينٍ نلتقى　　بفناء بيتك فى الحضيض المزلقِ

وهى طويلةٌ يقول فيها

ولقد اتيت بنى المضاف مفاخرًا　　والى السموأل زرتهُ بالابلقِ
فاتيت افضل من تحمَّل حاجةً　　ان جئتهُ فى غارمٍ او مُرهقِ
عرفت له الاقوام كلَّ فضيلةٍ　　وحوى المكارم سابقًا لم يُسبَقِ

فقال امرء القيس قصيدته التى يقول فى مطلعها

طرقتك هندٌ بعد طول تجنُّبٍ　　وهنًا ولم تكُ قبل ذلك تطرقُ

وهى طويلةٌ لا حاجة الى استيفائها ثم وفد الفزارىُّ بامرء القيس على السموأل فاكرمهم وانزلهم فى مجلسٍ لهُ واقام امرؤ القيس عندهُ اياماً ثم طلب اليهِ ان يكتب الى الحرث بن ابى شمر الغسَّانى بالشام ان يوصلهُ الى قيصر ملك الروم ويشرح لهُ قصتهُ ويستنجدهُ لهُ فكتب لهُ السموأل واستودعهُ امرؤ القيس الدروع والمال والمرأة التى كانت معه وترك عندها يزيد بن معوية بن الحرث من بنى عمهِ ومضى حتى انتهى الى بلاد الروم وكان فى صحبتهِ عمرو بن قميَّة فانشد

امرؤ القيس يقـــــــــــــــــــــــــول

سما لك شوقٌ بعد ما كان اقصرا   وحلَّت سُلَيمَى بطن قَوٍّ فَعرعَرا
كنانيَّةٌ بانت وفى الصدر ودُّها   مجاورةٌ غسَّانَ والحيَّ يَعمُـــرا
تذكَّرتُ اهلى الصالحين وقد اتت   على جملى خُوصُ الركاب واوجرا
فلما بَدَت حوران فى الآل دونها   نظرتَ فلم تنظرِ بعينيك منظرا
تـــقطّع اسباب اللبانة والهوى   عشيَّةَ جاوزنا حماة وشيـــــزرا
لقد انكـرتنـــى بعلبكُّ واهلها   ولَآبن جُريجٍ فى قرى حمص انكرا

وهى طويلةٌ اقتصرنا منها على هذه الابيات ولما دخل امرؤ القيس على قيصرٍ شكا اليهِ حالهُ وسالهُ ان يمدّهُ بجيشٍ الى بلاد العرب فلم يجبهُ فعاد راجعًا حتى انتهى الى بلدةٍ من بلاد الروم يقال لها انقرة وكان بهِ مرض السلّ فاشتدَّ عليهِ هناك فلبث بها مدةً الى ان انهكهُ السقمُ فعلم انهُ ميتٌ لا محالة وكان قد أُخبِر بان امراةً من بنات الملوك ماتت هناك فدفنت فى سفحِ جبلٍ يقال له عسيب فقال

اجارتنا ان الخطوب تنوبُ   وانى مقيمٌ ما اقام عسيبُ
اجارتنا انَّا غريبان ههنا   وكل غريبٍ للغريب نسيبُ
فان تصلينا فالقرابة بيننا   وان تهجرينا فالغريب غريبْ

ثم مات فُدفِن هناك الى جانب قبرِ المراة وكان ذلك سنة تسع وثلثين وخمسماية للمسيح وكان امرؤ القيس نحيف الجسم معتدل القامة صبيح الوجه حسن الاخلاق كريمًا مشهورًا بالفصاحة وكان من فحول الشعرآء فى الجاهلية واحسنهم نظمًا وهو اول من احكم

القوافي على ما قيل وكانت امهُ فاطمة بنت ربيعة بن الحرث بن زهير اخت كليب والمهلهل التغلبيين وكان يُكنّى بابى وهب وقيل بابى الحرث وكان يقال لهُ الملك الضِلّيل ويقال لهُ ايضًا ذو القروح واياهُ عنى الفرزدق بقوله

وهب القصايد لى النوابغ اذ مضوا وابو يزيد وذو القروح وجَرْوَلُ

وكان مولدهُ ببلاد بني اسد وكان ينزل في حصنٍ بالبحرين وكان ينازع الشعرآء قيل انهُ نازع التوأم اليشكريّ فقال ان كنت شاعرًا فأَجِز انصاف ما اقول فقال التوأم قل ما شئت

فقال امرؤُ القيس

أَحارِ ترى بُرَيقًا هبَّ وهنا

فقال التوأم

كنار الفُرس تستعر استعارا

فقال امرؤُ القيس

أَرِقتُ لهُ ونام ابو شريحٍ

فقال التوأم

اذا ما قلتُ قد هَدَأَ استطارا

فقال امرؤُ القيس

كأَنَّ هزيزهُ بورآء غيبٍ

فقال التوأم

عشارٌ وُلَّهٌ لاقت عشارا

فقال امرء القيس

فلما ان دنا لقفا اضاخِ

فقال التوأم

وهت اعجاز رَيِّقِهِ فحارا

فقال امرء القيس

فلم يترك بذات السرّ ظبيا

فقال التوأم

ولم يترك بجهلتها حمارا

واحاديث امرء القيس ومفاوضاتهُ مع الشعرآء كثيرةٌ لا حاجة الى استيفآيها بالتفصيل

فصل

فى ذكر ملوكٍ متفرقة من العرب

من ملوك العرب عمرو بن لحى بن حارثة من ولد كهلان بن سبا كان ملكاً فى الحجاز وكان شايع الذكر فى الجاهلية واليهِ تُنسب خزاعة فيقال انهم من سلالتهِ وكان جلوسه على سرير الولاية سنة مايتين وسبع للمسيح وهو اول من اتى بالاصنام الى مكة اتى بها من ارض الشام واقامها فى البيت الحرام ودعا الناس الى تعظيمها والتقرب اليها والتوسل بها الى الله تعالى وكان منها صنمٌ على صورة رجل يقال لهُ إساف وصنمٌ على صورة امراة يقال لهُ نايلة وضعهما

عمرو على الصفا والمروة وكان يذبح عليهما تجاه الكعبة وكان عمرو ينكر بعث الاجساد وهو القايل

حيوةٌ ثم موتٌ ثم حشرٌ حديث خرافةٍ يا أُمَّ عمرِو

وكان ملكهُ ثلثًا وثلثين سنة انتهى ومن ملوك العرب ملوك جرهم واشهرهم مضاض بن عمرو بن الحرث الجرهميّ وكان قد خرج بقومهِ من اليمن الى الحجاز فنزل باعلى مكة وخرج معهُ السَمَيْدَعَ ببنى قطور فنزل باسفلها ولبث كلٌّ فريق فى مكانهِ حينًا من الدهر فوقع الخصام بين جرهم وقطور وانتشبت بينهم الحرب فاقتتلوا قتالا شديدًا وقُتِل السميدع فسلَّم قومهُ امرهم الى مضاض واصطلحوا فسرَّ مضاضٌ بذلك ونحر الجُزُر وطبخ الاطعمة للناس فدُعِى ذلك المكان بالمطابخ وفى ذلك يقول مضاض

ونحن قتلنا سيّد القوم عنوةً فاصبح منا وهو حيران يجزعُ
وما كان يبغى ان يكون سِوآؤُنا بها ملكًا حتى اتانا السَمَيْدَعُ
فذاق وبالاً حين حاول ملكنا وعالج منا غصّةً تتجرَّعُ
ونحنُ عَمَرنا البيتَ كُنّا ولاتهُ نقاتل عنهُ من اتانا وندفعُ
وما كان يبغى ذاك فى الناس غيرنا ولم يَكُ حَيٌّ قبلنا فيهِ يطمعُ

واقام مضاض بقومه فى مكة ما شآء الله من الزمان حتى خرج عمرو بن عامر بن ثعلبة الخزاعى من اليمن فارسل ابنهُ ثعلبة الى الجرهميين يطلب النزول عندهم الى ان ترجع رُوَّادهُ من الشام فيرحل الى حيثما اصابوه له من الارض فأَبَت جرهم ذلك اباَءً شديدًا

واستكبروا فى انفسهم وقالوا لا والله لا نحبّ ان تنزلوا معنا فتضيقوا علينا مراعينا ومواردنا فارحلوا حيث شئتم من البلاد فاغار عمرو الخزاعىّ عليهم والتقوا بهِ فاقتتلوا ثلثة ايام فكانت الدايرة على جرهم فانهزموا ولم يفلت منهم الا الشريد وكان مضاض قد اعتزل عن الحرب لانهُ لم يكن لهُ رأىٌ فى ذلك ولما ظفرت بهم خزاعة رحل باهل بيتهِ ونزل فى ما يلى مكة عن بعدٍ من القوم ونادى عمرو فى قومهِ ان من وجد جرهميًّا فى جوار الحَرَم فدمهُ مباح لهُ وفى تلك الايام نزعت ابلٌ لمضاض فخرج فى طلبها حتى وجد اثرها وقد دخلت الى مكة فمضى على الجبال من نحو اجياد حتى وقف على ابى قُبَيس فرأى ابلهُ تُنحَر فى مكة ولا سبيل لهُ اليها فولّى منصرفا الى اهلهِ وانشا يقول

كأَنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا ... انيسٌ ولم يسمر بمكة سامرُ

ولم يتربّع واسطًا فجنوبَهُ ... الى المُنحنى من ذى الاراكة حاضرْ

بلى نحن كُنّا اهلها فأبادَنا ... صروف الليالى والجدود العواثرْ

وابدَلَنا ربى بها دار غربةٍ ... بها الذيب يعوى والعدوُّ المحاصرْ

اقول اذا نام الخلىُّ ولم أَنَمْ ... أَذا العرشِ لا يَبعُدْ سُهَيلٌ وعامرْ

فنحن ولاة البيت من بعد نابتٍ ... نطوف بهِ والخير اذ ذاك ظاهرْ

وانكح جدّى خير شخصٍ علمتهُ ... فأبناوه منا ونحن الاواصرُ

واخرجنا منها المليك بقدرة ... كذلك بين الناس تجرى المقادرْ

فسحّت دموع العين تبكى لبلدةٍ ... بها حَرَمٌ امنٌ وفيها المشاعرُ

وبطنْ مِنّى امسى كَأَنْ لم يكن بهِ مضاضْ ولا من حىّ عمرٍو عمايرُ
فهل فرجْ ياتى بشىء نحبُّـــهُ وهل حذرْ ينجيك ممّـــا تحاذرُ

انتهى ومن ملوك العرب زهير بن حباب بن هَبَل بن عبد الله بن عذرة الكلبىّ وكان يقال له الكاهن لصحة رأيهِ غزا غزواتٍ كثيرة وكان ميمون النقيبة سعيدًا فى غزواتهِ وفد على ابرهة الاشرم الحبشى بنجد فاكرمهُ وفضّلهُ على من اتاهُ من العرب وقلّدهُ امارة بنى بكر وتغلب فاقام بهم واصابتهم سنةْ جديبة فثقل عليهم ما كان يطلبهُ منهم فخلعوا طاعتهُ وانتشبت بينهم الحرب وجرت لهم وقايع يطول شرحها ثم جمع زهير بنى كلب واحلافهُ من القبايل وغزاهم على مآءٍ يقال لهُ الحِنَىّ فاقتتلوا قتالًا شديدًا ثم انهزمت بكر وقاتلت تغلب بعض القتال فانهزمت ايضًا وقتل منهم خلقْ كثير وساقوا اموالهم ونسآءهم وحدث فى ايام زهير ان بنى بغيض بن ريث بن غطفان خرجوا من تهامة فتعرضت لهم قبيلةْ من مذحج فقاتلوهم واستظهرت غطفان واصابت غنايم كثيرة فاعتزّ القوم وقالوا والله لنتخذنّ حَرَمًا مثل حرم مكة لا يقتل صيدهُ ولا يعُضَد شجرهُ ولا يُهَاج عايذهُ واقاموا على بنآيهِ رجلًا منهم يقال لهُ رباح بن ظالم وبلغ ذلك زهير بن حباب فقال والله لا يكون ذلك ابدًا وزحف بقومهِ حتى وقع على بنى غطفان فقاتلهم وظفر بهم فقتل وسبى ونهب كثيرًا ثم مَنّ على غطفان فردّ النسآء واستاق الاموال وانصرف الى ديارهِ وهو يقول

ولم تصبر لنا غَطَفانُ لمَّا   تلاقينا واحرزَتِ النسآء

ولولا الفضل منا ما رجعتم   الى عذرآء شيمتها الحيآء

فكم غادرت من بطلٍ كميٍّ   لدى الهيجآء كان لهُ غناء

فدونكُمْ ديونًا فاطلبوها   وآثارًا ودونكمُ اللقآء

وانَّا حيثُ لا يخفى عليكم   ليوثٌ حيث ينهصر اللوآء

فخلَّى بعدها غطفان ريثًا   وما غطفان والارض الفضآء

وقد اضحى لحَيِّ بنى حبابٍ   فضآء الارض والمآء الروآء

نفينا نخوة الاعدآء عنا   بارماحٍ أَسنَّتُهَا ظِمآء

ولولا صبرنا يوم التقينا   لقينا مثلما لَقِيَت صدآء

غداة تعرَّضوا لبنى بغيضٍ   وصدق الطعن للحَمْقَى شفآء

وقد هربت حذار الموت قينٌ   على آثار ما ذهب العفآء

وقد كنَّا رجونا ان يُمِدُّوا   فاخلفنا من القوم الرجآء

وكان زهير من المعمّرين فى العرب عاش عمرًا طويلاً وغزا غزوات كثيرة حتى كان قلَّ ما تمضى عليهِ سنةٌ لا يغزو فيها ومن ملوك العرب كُلَيب بن ربيعة بن الحرث بن زهير بن جُشَم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب كان سيد بنى ربيعة فكانوا لا ينزلون ولا يرحلون الا بامرهِ وكان عزيزًا مهيبًا بينهم لا توقد نارٌ مع ناره ولا ترد ابلٌ مع ابلهِ ولا يحتبى احد فى مجلسهِ ولا يتكلم الا ان يسألَهُ وفى ذلك يقول اخوه المهلهل

نُبِّئتُ ان النار بعدك أُوقدت   واستبَّ بعدك يا كليب المجلس

وتحدّثوا فى امرٍ كل عظيمةٍ لو كنت حاضر امرهم لم ينبسوا
وبغى كليبٌ على قومهِ فصار يحمى عليهم مواقع السحاب فلا يُرعَى
حماهُ ويجير الوحش فلا يصاد وكان يُلقِى كلبًا صغيرًا فى اطراف
مراعيهِ فاذا اقبل الرعاة سمعوا صوتهُ فتاخروا عنها وكان كليب
المذكور اسمهُ وائل فكانت الرعاة اذا سمعت صوت كلبهِ تقول هذا
كُلَيب وائلٍ فلما كثر استعمال ذلك صار لقبًا لهُ وما ذال كليبٌ
فى عزتهِ وزهوهِ حتى قتلهُ جسّاس بن مرّة البكرىّ كما سياتى فى ذكر
وقايع العرب ومن ملوك العرب زُهَير بن جذيمة بن رواحة بن
ربيعة بن الحرث العبسىّ وكان ملكه سنة خمسماية واربع وستين
للمسيح وكان لهُ اتاوةٌ على بنى هوازن ياتونهُ بها كل سنةٍ الى عكاظ
فى ايام موسم الحج فى الحجاز فلما كان بعض السنين اتتهُ امرأةٌ من
بنى زُهَيس بن بكر من هوازن بشىءٍ من السمن فلم يرضهُ وكان
فى يدهِ قوس فدفعها بها فى صدرها فاستلقت على قفاها وانهتك
سترها فغضبت هوازن من ذلك واضمرت عليهِ السوء وكان ابنهُ
شاس قد اقبل فى تلك الايام من عند النعمان بن المنذر ومعهُ
قطيفةٌ حمرآء وطيوبٌ قد اهداها لهُ فورد مآءً فى الطريق عند
الظهيرة وعليهِ خبآءٌ لرياح بن الأَشَلّ الغَنَوىّ فاسآء شاس الادب
وزجرهُ الغنوى فلم يزدجر فرماهُ بسهمٍ فقتلهُ ودفنهُ فى رملةٍ هناك
واحرز ما كان معه فى بيتهِ وغمض خبرهُ عن ابيهِ زمانًا حتى خرجت
امراة رباح بشىءٍ مما كان مع شاس تبيعهُ فى سوق عكاظ وكان لزهيرٍ

ارصادٌ على ذلك فاعلموهُ بهِ فتجهز لادراك ثارهِ من بنى غنى وقال يرثيهِ

بكيت لشاسٍ حين خُبِّرتُ انهُ بماء غنيٍّ اخر الليل يشرِبُ
لقد كان مأتاهُ الرديُّ بحتفهِ وما كان لولا غرَّة الليل يُسلَبُ
قتيل غنيٍّ ليس شكلٌ كشكلهِ كذاك لعمرى الحَينُ للمرء يُجلَبُ
سابكي عليهِ ما بقيت بعبرةٍ وحَقَّ لشاسٍ عبرةٌ حين تسكبُ
اذا سِيمَ ضيمًا كان للضيم منكرًا وكان لدى الهيجاء يُخشَى ويرْهَبُ

ثم اغار زهير على الغنويين فاتفقت هوازن مع خالد بن جعفر الكلابى وبنى عامر على قتال زهير لما كان فى انفسها منه واقتتلوا جميعًا فاعتنق زهير وخالد واعتركا طويلاً على الارض فنادى خالد بقومهِ فاقبل عليهِ جندح بن البَكّاء وضرب زهيرًا بسيفهِ ضربةً شقَّ بها راسهُ ثم ركبوا وتركوهُ فاخذتهُ اصحابهُ ومات بعد ايام وكان ابنهُ ورقاء قد ضرب خالد بن جعفر ضربةً بسيفه فلم تؤثر فيهِ شيًا فقال فى ذلك

رايت زهيرًا تحت كلكل خالدٍ فاقبلت اسعى كالظليم ابادرْ
فشلَّت يمينى يوم اضرب خالدًا وشلَّ ثناياها وشلَّ الخناصر
ويا ليتنى من قبل ايام خالدٍ ويوم زُهَيرٍ لم تلدنى تُماضِرُ
فَطِرْ خالدٌ ان كنت تسطيع طيرةً ولا تَقَعنْ الا وقلبك حاذرُ
اتتك المنايا ان بقيت بضربةٍ تفارق منها العيشَ والموتُ حاضرُ

وبعد قتل زهير بن جذيمة جرت وقايع كثيرة بسببهِ لم نتعرض لذكرها خوف الاطالة وكان ملكه ثلث سنين ومن ملوك العرب قيس بن

زهير بن جذيمة العبسيّ كان من دهاة العرب وكان يقال لهُ قيس الراى لصحة رايهِ استولى على ملك ابيهِ زهير بعد قتلهِ فى بنى عامر ونهض لادراك ثارهِ فاستجاش احلافهُ وغزا العامريين فجرى بينهم قتالٌ شديدٌ ولم يُصِب حاجتهُ فانثنى عنهم واقام فى ديارهِ ماشآء الله حتى وقعت الحرب بين عبس وفزارة بسبب سباق الخيل كما سياتى فلحق ببنى النمر بن قاسط وكان قد افتقر وسآءت حالـهُ فلما تمكّن بينهم قال لهم يابنى النمر بن قاسط قد علمتم اننى رجلٌ أَنوفٌ غيورٌ ولكننى لا آنَفُ حتى أُظلَم ولا اغار حتى ارى فانظروا لى امراةً من نسآيكم قد أَدَّبها الغنى واذلَّها الفقر فاصابوا لهُ امرأَةً كما اراد فاقام بينهم وتنصّر وما زال عندهم الى ان مات على دين النصرانية والله اعلم

باب وقايع العرب المشهورة

حرب حزاز

اذ قد فرغنا من الكلام على دُوَل ملوك العرب راينا ان نُلحق به ما وقع فى ايامهم من الحروب الشهيرة فمن ذلك حرب حزاز وهو جبلٌ بين البصرة الى مكة وقعت فيهِ الحرب بين بنى نزار وملوك اليمن وكان السبب فى ذلك ان صهبان بن محرث احد ملوك اليمن كان قد استعمل على جدّة وما يليها من تهامة عاملاً يقال له عمرو بن عنق الحيّة واقام عاملاً اخر على ربيعة ومضر يقال لهُ لبيد بن عنبسة الغسّانى وكان روسآء ربيعة يَفِدُون على الملك تُبّع الاكبر

ويطلبون نوالهُ ويتحفونهُ بالهدايا وكان يخلع عليهم الحلل ويعطيهم الاموال ويحسن جوايزهم فاخذ عليهم العهد وحالفهم دون غيرهم من القبايل لانهم كانوا اشد العرب باسًا وامنعهم جوارًا وكان سيدهم يومئذ ربيعة بن مرة التغلبي وهو ابو كُلَيب والمهلهل ولما نزل لبيد بن عنبسة ببنى ربيعة تزوَّج بامراةٍ من اشراف تغلب يقال لها زهرآء بنت الحرث التغلبي وكانت امُّها الوجيهة بنت عمرو بن عامر سيد الازد واقام عندهم لبيدٌ برهةً من الزمان وكان عاتيًا جبَّارًا فاخذ فيهم بالعَنَف والظلم واسآء المعاشرة بينهم فزجروه عما هو فيهِ فلم يزدجر فنبذوا طاعتهُ وامتنعوا من تأدية الخراج اليهِ فكتب الى ابن عنق الحيَّة ان ربيعة ومضر خرجوا عن طاعتهِ وامتنعوا من تسليم الخراج اليهِ وكانا كلاهما تحت لوآء سُلَيمة بن الحرث بن عمرو ابن الملك المقصور ابن حجر آكل المرار وهو عمُّ امرء القيس الشاعر فكتب اليهِ ابن عنق الحية يخبرهُ بذلك فكتب سليمة الى روسآء ربيعة يلومهم ويذكّرهم العهد وامر بتجهيز الجنود خفية يريد مخادعة القوم فلما بلغهم ذلك اجتمعت نزار من عشائر مضر واياد ونزلوا تهامة واخذوا فى المشورة فاجمع رايهم ان يرسلوا نفرًا من اشرافهم الى ربيعة يعرّفونهم بما فى انفسهم ويستنجدونهم فانطلق الرسل وهم عمرو بن منقذ التميمى وهو ابو البسوس خالة جساس بن مرة وسُوَيد بن عمرو العامرى وعدس بن زيد الحنظليّ والابرص الاسديّ ومالك الاشجعيّ وعبد الله بن غالب الفهريّ ومعهم

سادةٌ من اياد ومضر فلما انتهوا الى ديار ربيعة نزلوا على كليب فوجدوهُ جالسًا فى وجوه قومهِ حتى اذا اخذوا مجالسهم قام عمرو بن منقذ التميمى وانشد يقول

أَبلغ ربيعة عنا ان وادِيَنَا ان سال يومًا بنا لم يُخطِ واديها
وان ارحامنا يومًا وان بَعُدَت فاننا سوف نُدنيها ونحميها
الأُمّ واحدةٌ والاب يجمعنا الى نزارٍ وما تدعو اقاصيها
قد صار صهبانُ يبغينا بداهيةٍ من الامور التى لا شيء يفنيها
فاستجمعوا لنُوَلِّي منكم رجلاً أَعِنَّةَ الخيل يتلوها ويهديها

وجلس عمْرو فقام سويد بن عمرو العامرىّ وقال

تَجَافَى مِرفَقَاىَ عن الوسادِ وبعثُ النوم منى بالسهادِ
الا أَبلِغ ربيعة ان جيشًا يُجهّز مخلبًا فى كل وادِ
يريد بوارنا ان لم تعينوا بنصركُم على رغم الاعادى
نُذَكِّرُكم [قرابتنا وآلاً وارحامًا تدانت للولادِ
وان اخاكمُ لَأَخُو ابينا فشدُّوا عقدنا ببنى ايادِ
وولُّوا امرنا منكم رئيسًا طويل الباع مسترخى النجادِ

وجلس فقام عدس بن سُوَيد الحنظلى وقال

الا أَبلِغ ربيعة حيث حلُّوا على بعد الديار من الديارِ
نناشدكم بارحامٍ دوانٍ عواطف ليس بالبُعد الصوارى
فما الرحم التى اشتملت علينا احقُّ بنصركم لبنى نزارِ
فردُّوا الأَصرَ والارحام عينا لنسلم عند ذاك من البوارِ

ولما فرغوا من انشادهم قال كليبٌ مرحبًا بالاخوة والاحبة قدمتم على من يواسيكم بالانفس والاموال ومن لا يُحبُّ البقآء بعدكم وقد نقضت عهدى مع ملوك اليمن فليس لهم عندى عهدٌ ولا ذمّة ثم ان كليبًا اوفد رسولاً الى لبيد بن عنبسة يقول اننا قد عاهدناك وحالفناك فيما سبق بزعمنا انك نعم الصديق واما الان فقد تبيّن لنا جوركم وغدركم فنبذنا عهدك وذمتك ورفضنا محالفة قومك وانت فيما بيننا خليعٌ وقد انذرناك فكن من ذلك على يقينٍ فشقّ ذلك على لبيدٍ وغضب غضبًا شديدًا وكتب الى تُبَّع يخبره بان كليبًا قد خلع الذمام واجتمعت تحت لوايهِ كل قبايل نزار واقام ينتظر الجواب ثم اقبل لبيدٌ على شرابهِ ذات ليلةٍ فلما اخذت منهُ الخمر جعل يشتم بني ربيعة ويتهدّدهم فانكرت عليهِ ذلك زوجته الزهرآء فقال لها ما بال كليبٍ ينتصر لمُضَر ويتهدد الملوك كانهُ يعتزّ بغيرهم فقالت ما اعرف اعزّ منهُ وهو كفوٌ لما اراد فغضب لبيدٌ ولطمها على وجهها فاغشت عينها وخرجت باكيةً الى كليب بن ربيعة وهى تقول

ما كنت احسب والحوادث جمّةٌ انّا عبيد الحيّ من قحطانِ
حتى اتتنى من لبيدٍ لطمةٌ اغشت لها من وقعها العينانِ
ان ترضَ اسرة تغلب ابنة وائلٍ تلك الدنيَّة او بنو شيبانِ
لا يبرحوا الدهر الطويلَ أَذِلَّةً هُذلَ الاعنَّة عند كل رهانِ

فلما سمع كليبٌ قولها وراى ما بها من اثر اللطمة اخذتهُ الحميّة وثار الى ابيات لبيد حتى انتهى اليها واذا هو قد جلس ىدىاب

الخدر يتغنّى بهذه الابيات

طال ليلى فما احسُّ الهجودا ارقب النجم فى المغار عميدا

لحديثٍ مراوحٍ قد اتانى من كليبٍ فزاد عينى سهودا

نحن كُنّا الملوك من سالف الدهر وكنتم لنا قديمًا عبيدا

فاقبلوا اليوم ما اتاكم بهِ القَيلُ ولا تهلكوا هلاك ثمودا

فلما اتمَّ انشادهُ هجم عليهِ كليبٌ وعلا راسهُ بالسيف فقتلهُ وانشا يقول

ان يكن قتلنا الملوك خطآء او صوابًا فقد قتلنا لبيدا

وجعلنا مع الملوك ملوكًا بجيادٍ جُردٍ تقلُّ الحديدا

او تردُّوا لنا الاتاوة والفىء ولا نجعل الحروب وعيدا

ان تلمنى عجايزٌ من نزارٍ فارانى فيما فعلت مُجِيدا

ولما علمت ربيعة ان كليبًا قتل لبيدًا ايقنت بانتشاب الحروب وخرج اخٌ للبيد حتى اتى ابن عنق الحية فسجد لهُ وقال قتلت ربيعة لبيدًا فاما ان تدرك ثارك واما ان ترجع منهزمًا الى الملك فقال ابن عنق الحية اسكن فلن يضيع دم اخيك ثم كتب الى الملك صهبان بن محرث يخبرهُ بقتل لبيد فلما بلغ صهبان ذلك غضب غضبًا شديدًا وقال ان كليبًا قد ابدى لنا صفحته وتعرَّض للملوك وارسل الى سُلَيمة بن الحرث وعمرو بن عنق الحية قايدًا من قُوَّاده وضمَّ اليهِ رجلًا اخر من اكابر قومهِ وجهَّز معهما عشرين الفًا من الخيل فسارت جنود الملك صهبان حتى وردت على سليمة

وابن عنق الحية فنهضا معهم حتى قربوا من تهامة ولما بلغت كليبًا اخبار اهل اليمن نادى فى قومه بالغارة وعَقَد الالوية فاجابتهُ القبايل من ربيعة ومضر واياد وتتابعت اليهِ الرجال من كل جانبٍ وساروا وفى مقدَّمتهم كليب ورهطهُ الاراقم فالتقتهم جنود اليمن فى مكانٍ يقال لهُ السلاَّن من ارض تهامة فاقتتلوا قتالاً شديدًا وقُتِل من الفريقين خلقٌ كثيرٌ وقُتِل فى ذلك اليوم ربعية بن مرَّة ابو كليب صاحب لوآء ربيعة وفارسها وكانت الدايرة على اهل اليمن فانهزم ابن عنق الحية واسرت ربيعة منهم كثيرًا من الفرسان وانصرف كليب من السلاَّن بقومه ظافرًا منصورًا فعزَّتهُ قبايل عن ابيهِ ربيعة ودانت لهُ بالرياسة بعد ابيهِ وفى ذلك يقول كليب

دعانى داعيا مُضَرٍ جميعًا وانفسهم تدانت لاختناقِ
فكانت دعوةً جمعت نزارًا ولَمَّت شعثها بعد الفراقِ
اجبنا داعِيَىْ مضرٍ وسرنا الى الاملاك بالقُبِّ العتاقِ
عليها كل ابيض من نزارٍ يُسَاقِي الموت كرهًا من يُسَاقى
امامهُمْ عقاب الموت يهوى هوىَّ الدلو اسلمها العراقى
فاردينا الملوك بكل عضبٍ وطار هزيمهم حذر اللحاقِ
كانهم النعام غداة خافوا بذى السلاَّن قارعة التلاقى
فكم ملكٍ اذقناهُ المنايا وآخَرٍ قد جلبنا فى الوثاقِ

وبعد ذلك تجمعت قبايل اليمن وبلغ خبرهم بنى نزار فالتقوهم على مآءٍ يقال لهُ الكلاب واقتتلوا قتالاً شديدًا ثم شدَّ كليب على فارس

من لخم فطعنهُ طعنةً دقّ بها صلبهُ واستنزلهُ عن فرسه فاعترك عليهِ الحيّان وكثر القتل فانهزم ابن عنق الحية باصحابهِ وحامت بنو قابس من همدان عن لوآيها الى ان حجز الليل ولما اصبحوا اقبل عمرو بن بابل اللخميّ وكان من خواص صهبان وفرسانه فصاح فى آل ذى نواس وقبايل اليمن فاقبلوا عنقًا واحدًا وقاتل بهم حتى كثر القتل وحمل كليب على عمرو بن بابل وكان من الملوك فحالت اصحابهُ دونهُ بالرماح فشقّ كليبٌ رماحهم حتى طعنهُ فدقّ صلبهُ وحملت ربيعة فى اثرهِ حملة رجلٍ واحد فتفرّقَت عند ذلك جموع حمير واسرت ربيعة منهم اسارى كثيرة ومرّ عليهم كليب فاذا هو بالاسعد اللخمى يهجوابن عنق الحية ويمدح عمرو بن بابل حيث يقول

ان القتيل الذى جرّت مصيبتهُ يوم الكلاب على ابن الحية العارا
اهدى كليبٌ لهُ نجلاء فاغرةً تحكى القليب وما احكاهُ فرّارا
يدعون باسمك والخطّيّ شاجرةٌ لله درّك ان لم تحمِ عمّـــارا
هذا اعتذارك فى قومٍ قصدت بهم خوض المنيّة ايرادًا واصـــدارا
حتى اذا الخيل ابدت عن سرايحها الفيت نصلك بين القوم خـوّارا
ما كان والدك الادنى بذى فشلٍ بل كان يعتدّ للانصار انصــارا
غسّانُ صبرًا فحيّا وايلٍ صبـــرا كلٌّ يُجَـدّد انيابًا واظفـــارا
يكسون هام ملوك الناس ضاحيةً بيض الصفايح ضربًا يشعل النارا
ان الكلاب بها تَتْلَى مصرّعـــةٌ كانوا لنا سُبَّةً قد خلّدَت عارا
ياليت امك لم تقبل تنفّسَهـــا ايدى القوابل او لم تلقَ اطهارا

وقال مهلهل بن ربيعة فى ذلك

لو كان ناهٍ لابن حية زاجرٌ لنهاهُ عنا وقعة السلّان
يومٌ لنا كانت رياسة اهلهِ دون القبايل من بنى عدنانِ
غضبت مُعَدٌّ غَثُّها وسمينها فيهِ مبالاةً على غسّانِ
فازالهم عنا كليب بطعنةٍ فى عمرو بابلٍ من بنى قحطانِ
ولقد مضى عنها ابن حية مدبرًا تحت العجاجة والحتوف دوانِ
لما رآنا بالكلاب كأنّنا اسدٌ ملاويةٌ على خفّانِ
ترك التى سحبت عليهِ ذيولها تحت العجاج بذلّةٍ وهوانِ
ونجا بمهجتهِ واسلم قومهُ متسربلين رواعف المُرّانِ
يمشون فى حلق الحديد كانهم جُرب الجمال طُلِينَ بالقطرانِ
نعم الفوارس لا فوارس مذحجٍ يوم الهياج ولا بنو هَمَذانِ
نهضوا الغداة بكل اسمر مارنٍ ومهنّدٍ مثل الغدير يمانِ

ولم يزل ابن عنق الحية فى هزيمتهِ حتى دخل على الملك صهبان واخبرهُ بذلك فامتلأ غيظًا وغضبًا وبعث الى اليمن اقصاها وادناها وساق اليهِ الجيوش وسار الملك المقصور ابن آكل المرار فى قبايل اليمن حتى التقوا فى بطن ذى اراط فاقتتلوا سبعة ايامٍ تباعا حتى كثرت بينهم القتلى ولم يظفر بعضهم ببعضٍ حتى كان اليوم السابع فانهزمت قبايل اليمن وظفرت بها ربيعة فلما بلغ ذلك تُبّعًا ابرق وارعد ونادى فى الجيوش وامر بعقد الالوية وتجهيز العساكر الى نزار فالتقوا بثنيّة الجبلين واقتتلوا قتالاً شديدًا وكان ذلك اليوم على مقدّمة

نزار عتبة بن ربيعة بن زهير فلقى مقدّم جيش فقتلهُ وأُسِر فى ذلك اليوم النمر بن عثمان سيد اليمن فقال التُبّع اليمانى فى ذلك

ان بيتى الذى بنى لىَ قحطا ... نٌ طويل العماد صعب المراقى
هو سهلٌ علىَّ حزنٌ لغيرى ... مستظلٌ منطَّقٌ بنطاقِ
ليس حىٌّ يرومهُ ولهُ با ... بٌ من العزّ مرصدٌ بالوثاقِ
كل من رام فتحهُ او اذاهُ ... خرجت نفسهُ من الاشفاقِ
دونهُ عسكرٌ تضيق بهِ الار ... ضُ عظيمٌ مسوّرٌ برواقِ
ذاك بيتى واىُّ بيتٍ كبيتى ... او مذاقٍ فى الطعم مثل مذاقى
ذاقنى الناس فاحتسوا يوم سمٍّ ... سمَّ افعى يعيى بها كلُّ راقِ
سار شمرٌ من الاقاصى الى الار ... ضِ بخيلٍ تُقَاد فى الآفاقِ
لست بالتُبّع اليمانىّ ان لم ... تصبح الخيل فى سواد العراقِ
وعليها شباب صدقٍ كرامٌ ... يحسنون الطعان يوم التلاقى
انما النمر خيرنا وهو منّا ... انَّ فقد الكرام فى القلب باقِ
سرقوهُ منا وآباؤهُ الشُمُّ ... فعندى عقوبة السُرَّاقِ
سوف ارميهم بشُعثٍ ومُردٍ ... فوق جُردٍ مسوّماتٍ عتاقِ
واذا ما الحروب شبّت فكانت ... مُهَجات النفوس عند التراقى
لحوا نارها وشبّوا لظاها ... برماحٍ مسنونة الارواقِ
ليس حىٌّ مفاخرٌ لرجالى ... او مجارٍ لهم غداة السباقِ

فلما بلغت هذه الابيات كليبًا غضب من ذلك وقدّم النمر فضرب عنقهُ وانشا يقولُ

غضب التُبَّع اليمانيُّ جهــلا   اذ ثوى النمر عندنا فى الوثاقِ
برهةً ثم صار بعدُ قتيـــلاً   ليس حيٌّ على المنون بباقِ
ايها المُوعِد الذى ليس يُخشَى   قد نهيناك عن سواد العراقِ
أَبلغ التُبَّع اليمانيَّ انّـــــا   فوق جُردٍ مسوَّماتٍ عتـــاقِ
نضرب الهام بالمهنَّد ضربًا   ونسوم العدوَّ طول السبـاقِ
رُبَّ ملكٍ متوَّجٍ قد قتلنـــا   كان ذا عزَّةٍ عظيم الرواقِ
فسلبناهُ ملكهُ واستبحنـــا   دمهُ لا يقيهِ من ذاك واقِ

ولما انتهت هذه الابيات الى التُبَّع ثارت بهِ الحميَّة وسار فى قبايل اليمن ومعهُ تسعة اخوةٍ لهُ متوَّجون وهو العاشر كل واحدٍ منهم مقدَّمٌ على فرقةٍ من حمير واقبلوا وقد ضربت بين ايديهم الطبول وخفقت الرايات والبنود حتى نزلوا حزاز وبلغ ذلك كليبًا فالقى النفير فى قبايل ربيعة ومضر واياد وطى وقضاعة وكانوا جميعهم حلفآء لنزار فاقبلت عليه الجيوش من كل جانبٍ وامر كليب باحضار روسآء القبايل وقال يابنى الاعمام قد بلغكم مسير الملك تُبَّع الينا بجنودهِ ومعهُ قبايل اليمن وسادات العشاير وقد استعدوا لحربنا بكل عدَّةٍ وقادوا الينا كل صعبٍ وذلول وخرج الملك بنفسهِ الينا فى سبعة الوية غير الرايات وتحت كلٍّ منها عشرة آلاف مقاتل فهذه الوقعة ليست كغيرها من الوقايع واننا نخشى ان تكون الدايرة علينا فماذا ترون قالوا ذاك فما من يخلف لك امرًا فارسل كليب رجلاً يهوديًا يرصد الملك ويأتى بخبرهِ فسار اليهوديّ حتى اشرف على حقيقة امره وعلم

انه قد طلب وادى حزاز يريد ان ينزل على مآء الذنايب فرجع واخبر كليبًا فصاح فى قومهِ وتداعت احلاف ربيعة للرحيل وساروا طالبين مآء الذنايب وكان على كعب وغطفان الاخوص بن جعفر بن كلاب فسار فى مقدمة اصحابهِ وهو يقول

سارت نزار برايـــةٍ منصورةٍ عقد اللوآء لها كُلَيبٌ وائلُ
اسيافهم بيضٌ صوارمُ بُتَّـرٌ ورماحهم يوم النزال عواملُ
ودروعهم مسرودةٌ وخيولهم من تحتهم يوم اللقآء صواهلُ
وصوارمٌ واسنَّةٌ وقبايـــلٌ وذوابلٌ من دونهم وعواسلُ
وسواعدٌ مجدولةٌ وهياكلٌ وغلاصمٌ محزوزةٌ وكواهـــلُ

ولم يزل كليبٌ سايرًا واصحابهُ يتتابعون قبيلة بعد قبيلة حتى انتهوا الى الذنايب وكان اول من نزل عليهِ من ربيعة ابنآء وايل فحفظوا النهر والمرصد وكان قد سبقهم الى هناك طلايع وملوك من اهل اليمن فقتلوهم عن اخرهم وكان كليب قد قدَّم السفَّاح بن خالد بن ربيعة الى حزاز وامرهُ ان يوقد نارًا على الجبل ليهتدوا بها فان غَشِيَهُ العدو اوقد نارين فسار فلما اوقد حملت عليهِ اليمن فاوقد اخرى فاتته ربيعة وتتابعت نزار وفى ذلك يقول الفرزدق

لولا فوارس تغلب ابنة وايلٍ اخذ المليك عليك كل مكانِ
قتلوا الطلايع والملوك واوقدوا نارين قد عَلَتا على النيرانِ

وقال فى ذلك السفاح بن خالد

ولبلة ســتُّ اوقد فى حزارٍ هدبتُ كتايبـًا متحيّراتِ

ضللن من السهاد وهنّ لولا سهاد القوم امست هادياتِ

فكُنّ مع الصباح على جذامٍ ولخمٍ بالسيوف مشهّراتِ

فلما اصبحوا ظهرت جيوش اليمن فقدم كليب على كل قبيلة قايدًا قدَّم على بني ذهل وبني شيبان مرَّة بن ذهل ابا جسّاس وعلى بني ربيعة ذهل بن حارثة وعلى بني قيس طرفة بن العبد ونزل كليبٌ بمن معهُ على النهر فلما اقبل الملك رأوا اعلامهُ وجنودهُ فقام كليب وركض في ميمنة القوم وميسرتهم وهو يحرّضهم على القتال وقام بعدهُ همام بن مرّة والسفّاح بن خالد والأشوس العبديّ ومسعود بن عبد القيس وعمرو بن عثمان والحرث بن عبّاد وجعلوا يحثّونهم على الصبر والثبات ويحذّرونهم سوء العاقبة وبينما هم كذلك اقبل الملك بمواكبهِ وجنودهِ وقد ملأ الفضآء وسدَّ الوادي واحاطت عساكرهُ بكليب وقومهِ فعند ذلك صاح كليبٌ باعلى صوتهِ وقال يامعاشر نزار كونوا اليوم اعوانًا على كشف العار فقد اتتكم ملوك اليمن تريد قتلكم ونهب اموالكم وسبي نسآيكم فاياكم والجزع فلعبت بالقوم نخوة الجاهلية وشدّدوا عزايمهم ووطّنوا انفسهم على الموت وثاروا الى خيلهم وسلاحهم والتقوا بقبايل اليمن فاقتتلوا قتالًا شديدا وابلى كليبٌ في ذلك اليوم بلآءً عظيمًا فكان لا يبارز فارسًا منهم الا قتلهُ وما زالوا يومهم في اشدّ كفاحٍ حتى دفعت نزار حمير عن النهر ثلثة اميالٍ وباتوا تلك الليلة يتحارسون ثم تصابحوا في اليوم الثاني فاقتتلوا حتى حجز بينهم الليل وقد كثر القتل والجراح بين

الحيّين ثم تعاودوا في اليوم الثالث فتطاعنوا بالرماح ثم تجالدوا بالسيوف وصَمَدت مضر وعبد القيس لمذحج واقبل الافوه جريحًا حتى لحق بقومهِ وصابرت همذان الى المساء وحامت عن احسابها وثبتت قضاعة في عشايرها فقتلت بُجَير الشيباني في جماعةٍ من قومهِ ثم تعاودوا في اليوم الرابع وكان يومًا عظيمًا كثر فيهِ القتل والجراح وهلكت اكابر اليمن وكثيرٌ من سادة نزار وقُتِل عمرو بن مطاع الهمذاني واخوهُ حسّان في وجوه همذان وشدَّ كليبٌ بتغلب على حمير وقد صابرت على الموت وكثر القتل فيها واسر سبعةً من اقيالها فانهزمت وقد قتلت ربيعة منها خلقًا كثيرًا وفي ذلك يقول كليب

لقد عَرَفت قحطان صبري ونجدتي غداة حزاز والحتوف دوان
غداة شفيت النفس من حيّ حمْيَرٍ واورثتها ذلًّا بصدق طعانِ
زلفت اليهم بالصفايح والقنا على كل ليث من بني غَطَفانِ
ووائل قد جدَّت مقادم يعربٍ فصدَّقها في نحرها الثَقَلانِ

ولما رجع الأَفوَهْ الأَوديُّ الى ابنتهِ قالت اين اخوتي فقال قتلوا جميعًا قالت فابن الملوك قال قُتِلوا كذلك قالت فاين الاقيال من حمير قال هم اسارى في حوف كليب قالت فاين حقك ونصيبك قال هذه الجراحات وانشأ يقول

لما رات بشرى تغيّر لونهُ من بعد بهجتهِ فاقبل احمرا
الوت باصبعها وقالت انما يكفيك مما لا ارى ما قد ارى
عوِلي لمدحج عاودوا لدحولكم لو لم تجيبوا دعوتي خلتَ الصَرى

كان الفخار يمانيًا متقحطنًا فاراهُ اصبح شاميًا مـــتنزّرا
ما خير حميرَ ان تسلّم مذحجًا او خير مذحج ان تسلّم حميرا

فاجابهُ مرَّة بن ذهل الشيبانى يقول

شَفَتِ النفوس سيوفنا من مذحجٍ والحيّ همذانٍ وذروة حميـــرا
فالقوم بين مُجدَّلٍ ومصفَّـــدٍ بالقيد يختار التوارى بالثـــرى
ما انصفت احكامكم فاستنصفت منها الاسنة والسيوف بلا افترا

وكان ممن قتل فى تلك الوقايع الملك صهبان بن محرث وانتصرت نزار على قبايل اليمن ورجعت ظافرةً غانمة وانتشر ذكر كليب بن ربيعة وارتفع شانهُ ووقعت هيبتهُ فى قلوب العرب وتواردت اليهِ التهانى من كل جانبٍ وانفرد بالرياسة فى نزار ودانت له جميع القبايل وكان ذلك سنة اربعماية واحدى وثمانين للمسيح انتهى

فصـــل

فى حرب البسوس بين بنى بكر وتغلب

كان كليب بن ربيعة قد استطال على العرب بعد انفصال نوبة اليمن وعقدت لهُ نزار ولاتها وفوَّضت اليهِ امرها بعد ابيهِ وكان عزيز النفس شجاعًا مهيبًا ولهُ ثلثة اخوة وهم امرُ القيس وعبد الله وعديّ الملقَّب بالمهلهل لُقِّبَ بذلك لرقَّة شعرهِ من قولهم ثوبٌ مهلهل اذا كان رقيق النسج وقيل بل لقب بذلك لقولهِ

لما توغَّل فى الكراع هجينهم هلهلت أثأر مالكا اومسلا

وكانت بنو جُشَم رهط كليب من تغلب وهى الاراقم وكان لمرَّة بن ذهل عشرة اولاد منهم همّام وهو اكبرهم وكان سيد بكر وفارسها بعد ابيه وعمرو وهو الملقَّب بجسّاس وكان فارس شيبان ومفتاح الفتنة العظمى بين بكر وتغلب ومنهم ثعلبة ونضلة والحرث وجندب وشيبان وذُوَيب ونهشل وبُجَيره وكانوا فرسان وائل واشرافها وكانت الجليلة بنت مرَّة تحت كليب واختها ماوية بنت مرة تحت اخيه المهلهل وكانت دارهم ببطن شبيب مما يلى تهامة ولما عظم شان كليب بغى على قومه فصار يحمى عليهم المراعى ويجير الوحش فلا يُصَاد وكان قد حمى ارض العالية كما مرَّ فى ترجمتهِ فكان لا يدنو احدٌ من حماهُ حتى ضُرب بهِ المثل فيقال امنع من حمى كليب وكان كليب لا يزال يطوف بهذا الحمى فراى فيهِ ذات يومٍ قنبرةً على بيض لها فلما راته طارت فابتعد عنها كرمًا حتى عادت الى بيضها وانشا يقول

يالك من قنبرةٍ بمعجرٍ خلالكِ الجوُّ فبيضِى واصفرى
ونقّرى ما شئتِ ان تنقّرى لا ترهبى خوفًا ولا تستنكرى
انت جارى من صروف الحَذَرِ الى بلوغ يومك المقدَّرِ

وكان رجلٌ من جَرْم يقال لهُ سعد بن شمر بن قدامة قد نزل باهلهِ وماله على جساس وابيهِ واخوتهِ آل مرَّة بن ذهل بن شيبان وكان من اخوال جساس فاقام مع الهالة ام جسّاس واختها الهيلة ابنتى منقذ التميمى من سعد مناة بن تميم وكانت الهيلة تُلَّقب بالبسوس

فلما نزل الجرميّ بآل مرّة جاورها وكان له ناقة يقول لها سراب فخرجت مع ابل جسّاس ترعى فى حمى كليب وكان كليب لا ياذن فى دخول الحمى الا لإبل اولاد مرّة لما بينهم من المصاهرة ولما طافت الناقة بالحمى وطئت عشّ تلك القنبرة فشدخت ما فيه من البيض ووافق ذلك دخول كليب الى الحمى فرأى ذلك ولم يعرف الناقة فنادى بجسّاس وسالهُ عن خبرها فاعلمهُ بها فقال كليبْ أَولَى لها ثم أَولَى والله لقد هممت بقتلها فلا تَعُد هذه الناقة فى هذا الحمى ابدًا بعد اليوم فظنّ جساس انه قال ذلك ليخرج ابلهُ من الحمى فقال بالله لتعودَنّ مرّةً بعد مرّةٍ ولا تضع ابلى رؤوسها الا وهى معها قال كليب وانصاب وايل لئن عادت لأَضَعَنّ سهمى فى ضرعها وانشا يقول

انى وربّ القمر المنيرِ والحجر الاسود ذى الستورِ
لئن رَعَت فى البلد المحجورِ وافزعت جارى من الطيورِ
لاهتكنّ الضرع بالمطرورِ

فاجابهُ جساس يقول

انى وربّ الشاعر الغرورِ وباعث الموتى من القبورِ
وعالم المكنون فى الضميرِ ان رمت منها معقر الجزورِ
لَأَثْبَنّ وثبة المُغيرِ الذيب اوذى اللبدة الهصورِ
بصارمٍ ذى فَنَنٍ مشهورِ

فانصرف كليب الى اهلهِ مغضبًا حتى دخل على امرأته الجليلة اخت حساس فعرفت الغيظ فى وجهه وقالت يا ابن العم ما اغاظك قال

ويحك اترين احدًا من العرب مانعًا منى جارًا قالت لا اعلم الا ان يكون العمّ او بنيهِ تعنى اباها واخوتها فقال كليب

قد قال والقول هذارٌ زاهقٌ الا لمن كانت لهُ حقائقْ

فاتّصل قولهُ بجسّاس فاجابهُ يقول!

عند الزحام تُحمَد السوابقُ وفى الوعيد تُعرَف الحقائق

والناس منهم كاذبٌ وصادقُ

فلما بلغ قولهُ كليبًا خرج الى الحمى مغضبًا لا يلوى على احدٍ وتبعهُ اخوهُ المهلهل وقد علم بما كان من امره وامرِ جسّاس فوعظهُ وعظّم عليهِ الصهرِ والقرابة فاستشاط كليب وقال انما انت زيرُ نسآء والله لئِن قُتِلت انى اخاف ان لا تطلب دمى فانشا المهلهل يقول

اخٌ وحريمٌ سَيِّئٌ ان قطعتهُ وسنّة عزمٍ هدمها لك هادمُ

وقفت على ثِنتين احداهما دمٌ واخرى بها منا تُحَزُّ الغلاصمْ

فما انت الا بين هاتين غائصٌ وكلتاهما بحرٌ وذو الغيّ نادمُ

وكل حميمٍ او اخٍ ذى قرابةٍ لك اليوم حتى اخرِ الدهرِ لائمْ

فأَخِّرْ فان الشرّ يحسن آخرا وقَدِّم فان الحرَّ للغيظ كاظمْ

فعكر كليبٌ فى امرهِ عند ذلك وعاد الى ابياتهِ وخرجت الجليلة حتى دخلت على جسّاس ولامتهُ فى ما فعل فقال تبًّا لكِ ياجليلة انعدليننى فى منع جارى ان فعل ولم اقتلهُ فامّى مثل امّهِ وكانت ام كليب امهٔ قالت إذَنْ يسلّمك قومك ويخذلك ابوك قال وان

خُذِلتْ قالت لَأَظُنّك شرَّ مولودٍ في وائل قال نعم ان لم امنع جاري فان منعتهُ فخير مولودٍ من مَنَع من كُلَيبٍ فذهَبَت مثلاً فخرجت الجليلة مغضبةً وقالت تَعِسَ جسّاس فسالها كليب عن شانها واين خرجت فقالت خرجت لحاجتي فالحّ عليها حتى اعلمتهُ واتّصل بهِ قول جسّاس ان فعل ولم اقتلهُ فامي مثل امّهِ فخرج الى الحمى وترك قول المهلهل ورصد على المآء حتى وردت الابل وكانت سراب ناقة البسوس قد عُقِلَت خوف الفتنة فلا ترد المآء فلما مَرّت بها ابل كليب عركت العقال وتصرّعت فيهِ حتى حلّتهُ وتبعت ابل كليبٍ لِماَ عَلِم الله ولم تكن ابلٌ ترد المآء مع ابل كليب حتى تصدر فسارت الناقة حتى اختلطت بالابل ولا علم لاهلها بشيء فلما وردت المآء عرفها كليبٌ وظنّ ان جسّاسًا اطلقها كيدا لهُ فاتّبعها لما صدرت وتَعدّت الطريق حتى دخلت الحمى وهو يتلوها فرعت من شجرة القنبرة التي اهلكت اولادها اول مرّةٍ عن عشٍ قد عملتهُ ثانيًا لافراخٍ فيهِ فأَنفَ كليبٌ عند ذلك وغضب ورماها بسهم معتمدًا فاصاب ضرعها وردّت الناقة راسها الى مناخها مذعورة يشخب ضرعها دما ولبنا حتى انتهت الى مكانها بفناء البسوس ولها عجيج ورغآء شديدٌ واسعيا كليبٌ نظرهُ بعد ان رماها وانشأ يقول

ياطيرة بين نبات اخضرِ جاءَت عليها ناقةٌ بمنكرِ
انكِ في حمى كليب الازهرِ حسبه من مدج وحميَرِ
فكيف لا امنعهُ من معشري

ولما سمعت البسوس عجيج الناقة طرحت خمارها واقبلت اليها مسرعةً واذا السهم معتدلٌ في ضرعها وطرفاهُ بارزان من جانبيهِ وعيناها تبتدران دموعًا واخلافها تشخب دمًا ولبنًا فصكّت وجهها وصاحت واجوار جسّاس واجوار همّام واجوار مرّة واجوار بني ذهل بن شيبان فانتدرت اليها رجال الحيّ واقبل جارها الجرميّ صاحب الناقة ورای ما حلّ بها فصاح بالويل والثبور وكان قد اشرك البسوس فيها واقبل جسّاس على فرسهِ فقال ما دهاكِ ياخالة قالت هذا الباغي الذي حمى عليكم الماء والكلأ وسامكم الخسف عقر سراب وقلدكم بها قلايد الجوارى لا ينتشر نظامها ولا ينقص تمامها ثم جعلت تعنّف بنى مرة وتقول

لعمريَ لو اصبحت في دار منقرٍ لما ضِيمَ سعدٌ وهو جارٌ لابياتي
ولكنني اصبحت في دار غربةٍ متى يعدُ فيها الذيب يعدُ على شاتي
فيا سعدُ لا تغرر بنفسك وارتحل فانك في قومٍ عن الجار امواتِ
ودونك اذوادى اليك فانني محاذرةٌ ان يغدروا ببنيّاتي
وسر نحو جرم ان جرمًا اعزّةٌ ولا تك فينا لاهيًا بين نُسواتِ

ولما انشدت البسوس هذه الابيات اوغرت صدور القوم وكانت العرب تسمي ابياتها هذه بالموثبات وأُنف لذلك جسّاسٌ واخوتهُ وازدادوا غضبا وحميّة واقبل جسّاس على خالته وسكّن روعها وقال اقصرى باخالناه فسيقتل غدا جملٌ اعظم من ناقتك فسكتت وكان لكليب نعمٌ من كرام الابل يقال لهُ عُلَيّان فلما بلغهُ قول جسّاس ظنّ انهُ

يريد ان يعقر ذلك البعير فقال ما يتمنّى جسّاسْ عُلَيّان ودون عقرهِ خرط القتاد فى الليلة الظلمآء ولما ماتت ناقة الجرمىّ انشا يقول

جسّاسُ اين العهد والولآء جسّاسُ من شيمتك الوفآء

لبس انتهار الجار والجلآء كمنعهِ عمّا بهِ يُسَآء

تبًّا لمن قالَ هما سوآء

فقام جساس الى خالتهِ وجارها واقتطع لهما من ابلهِ قطيعًا يرضيهما وكان كليب قد استطال لما عقر الناقة وانشا يقول فى ذلك

ستعلم آل مرّة حين اضحت بان حماى ليس بمستباحِ

وان لقاح جارهِم ستغدو على الاقوام غدوة كالرواحِ

وتضحى بينهم لحمًا عبيطًا يقسّمهُ المقسّم بالقداحِ

وظنّوا اننى بالخير اولى وانى كنت اولى بالنجاحِ

اذا عجّت وقد جاشت عقيرًا تَبيَّنَتِ المراضُ من الصحاحِ

وما يُسرَى اليدين اذا أُضرّت بها اليُمنَى بمدركة الفلاحِ

بنى ذهل بن شيبان خذوها فما فى ضَرْبَتِيهَا من جُنَاحِ

فلما بلغ جسّاسًا قول كليب انشا يقول

انما جارى لعمرى فاعلموا ادنى عيالى

وارى للجار حقًّا كيمينى من شمالى

وارى ناقة جارى فاعلموا مثلَ جمالى

انما ناقة جارى فى جوارى وظلالى

ان للجار علينا دفع ضيم بالعوالى

فأقِلّي اللومَ مهــــلًا   دون عرض الجار مالي
سَأُوَدّي حــقّ جاري   ويدى رهنُ فعـــالي
أوْ أرَى الموتَ فيبقى   لُؤمهُ عند رجـــالي

واقام جسّاس بعد ذلك يتوقع خروج كليب الى الحمى حتى بلغهُ انهُ قد ركب اليهِ فخرج في طلبهِ وتبعهُ عمرو بن الحرث لينهاه عن التعرض لكليب فركض جسّاس وعمروٌ في اثرهِ حتى دنا من كليب وقد دخل الحمى فسمع كليب وقع الفرسين وكان لا يلتفت الى اقلّ من اربعين فارسًا لجرآتهِ ولا يبالي بما دون ذلك فاقتحمهُ جسّاس وعمروٌ يناشدهُ الله ان لا يفعل فلم يسمع لهُ وعرف كليبٌ هجوم جسّاس فقال يا ابن عمي قد علمت ما آلَيتُ بهِ على نفسي فان كنت من رجالي فأتِني من قدامي فقال جساس وددت ان اقتلك ولا اراك مدبرا فكيف مقبلًا ثم وضع سنانهُ في صلبهِ فصرعهُ ووقع كليب يفحص الارض برجله ونادى يا جسّاس اغثني بشربة مآءٍ قبل الموت قال هيهات تجاوزت شُبَيثًا والأَحَصّ يريد منهلين كانا لهم من المآء فذهب قولهُ مثلاً واراد عمرو بن الحرث ان يسقي كليبًا فمنعهُ جساسٌ ثم وقف جساسٌ على راس كليب وانشا يقول

أجَارنا تبغي كليب سفاهـــة   فاذهب بها نجلاء من جّســاسِ
قد رمت امرا كنت تضعف دونهُ   صعب المراقي ذاهبًا في النـــاسِ
فسقيت كاسا للمنيّـــة مـــرّة   فاشرب هُدِيتَ من المَنُون بكاس
واعلم بانّا لا نسلّم جارنـــا   فِعل اللئيم به ولا الانكـــاس

ولَنَحْنُ اصبر فى المواطن واللقا   فى كل يوم حفيظـــةٍ ومراسِ
نحمى الذمار فلا يُرَام جنابنـا   ونذبُّ عنــهُ ذوايب الابلاس
اعقرت ناقــة جارنا وزعمت ان   تبقى لها بحماقـــةٍ ومكاسِ
وسنان رمحى كالشهاب أُدِيــرُهُ   بيدى اغرَّ مهـــذَّبٍ ذى باسِ
اوريتهُ منك الغداة بطعنــةٍ   من بعد طول تجَهُّمٍ وعــباسِ

وانصرف جسَّاس وابن عمهِ عمرو بن الحرث عن كليب وتركاهُ مُجدَّلاً يجود بنفسهِ واقبل الرعاة بعد ذلك فكانوا كلما نظروا كليبًا على تلك الحال يهربون عنه وكليب يشير اليهم بيدهِ ان يسقوهُ فلم يسقهِ احدٌ منهم حتى مات وكان ذلك سنة اربعماية وتسعين للمسيح هذا وان جسَّاسًا لما انصرف هو وابن عمهِ عمرو بن الحرث الى اهلهما يركضان كان مرة بن ذهل ابو جسَّاس فى نادى قومهِ فنظر الى جساس يركض وقد بدت ركبتاهُ وكان فيهما بياضٌ من اثر السرج فقال لمن حولهُ ان لهذا الفارس شانًا وانى لَأَظُنُّهُ جسَّاسًا فان يكن كذلك فقد جاءكم بالداهية العظمى التى تذلُّ لها رقاب وايل قالوا من اين عرفت ذلك قال اراه قد بدت ركبتاهُ ولم يفعلها منذ ركب الخيل فلما انتهى اليهم قال ابوهُ ما وراءك ياجسَّاس قال شرٌّ عظيمٌ والله لقد طعنت اليوم طعنةً ترتص لها عجايز وائل قال وما هى لأمّك الويل قتلت كليبًا قال اى وانصاب وايل وايَّ قتلٍ قال إذَنْ نسلّمك بجريرتك ونريق دمك فى صلاح العشيرة لا ناقتى فيها ولا جملى ولا انا منك ولا انت منى والله لَبِئسَ ما فعلت فرّقت

جماعتك واظلت حربها وقتلت سيدها ورئيسها فى شارفٍ من الابل والله لا تجتمع وايل بعدها ابدًا ولايقوم لها عمادٌ فى العرب فقال لهُ قومهُ لا تقل هذا ولا تفعل فيخذلوهُ واياك فامسك مرّة وغمس يدهُ مع ابنهِ فى الحرب واستعدَّ لها وانشا جسّاس يقول

تأهّبْ مثل اهبة ذى كفاحٍ ... فان الامر جلَّ عن التلاحى

وانى قد جنيت عليك حربًا ... تُغِصُّ الشيخ بالمـآء القراحِ

مذكّرةٌ متى ما تصحُ منهـا ... تشبّ لها باخرى غير صاحِ

تسعّر نارهـا وهجًا وجاءت ... اذا خمدت كنيران الفصاحِ

وما تنفكُّ نائحـةٌ تعزّى ... لما نَدَبت وتعلـن بالنواحِ

تعَدَّت تغلبٌ ظلمًا علينـا ... بلاجرم يُعَـدُّ ولا جناحِ

سوى كلب عوى فى بطن قاعٍ ... ليمنع حميـة القاع المُبَاحِ

فلمّا ان رأينا واستَبنّـا ... عـقاب البغى رافعة الجناحِ

صرفت اليهِ نحسا يوم سوء ... لهُ كاسٌ من الموت المُتَـاحِ

تُـثكّل دانيات البغى قومًا ... وتدعو آخريـن الى الصلاحِ

ذرينى قد طَرِبتُ وحانَ منى ... طراد الخيل عارضـة الرماحِ

وما لى همّةٌ ارجو اخاهـا ... سوى الخطّىّ والفرس الوقاحِ

فاجابهُ ابوهُ مرة بن ذهل يقول

لئن تكُ يابنىَّ جنيت حربًا ... فلا وَكِلٌ ولا رِثُّ السـلاحِ

ولكنـى الى العلّات اجرى ... الى الموت المحيط مع الصباحِ

وانى حين تـشتجر العوالى ... اعيد الرمح فى اثر الجـراحِ

شديد الباس ليس بذى عياء   ولكنى أَبُوء الى الفلاحِ
سَأَلبِسُ ثوبها واذبُّ عنها   باطراف العوالى والصفاحِ
فما يبقى لعزّته ذليلٌ   فيمنعهُ من القَدَر المُتاحِ
واجمل من حيوة الذل موتٌ   وبعض العار لا يمحوهُ ماحِ

ثم قال مرّة لبنيهِ اظعنوا بنا عن مجاورة القوم حتى ننظر ما يصنعون فظعنوا   وكان همّام بن مرّة اخو جسّاس والمهلهل بن ربيعة اخو كليب متنادمين متصاحبين على اللهو والشراب لا يكتم احدهما عن صاحبهِ شيًا ولا تطيب نفسهُ بالانفراد عنهُ   فلما ظعن مرّة باهلهِ ارسل الى ابنه همام فرسهُ مع الجارية وامرهُ ان يظعن ويلحق اهلهُ   فلما انتهت الجارية بالفرس اليهما وهما معتزلان فى جانب الحى وثب همّام اليها وقال ما دهاكِ قالت شرٌّ طويلٌ قَتَل جساس كليبًا وقد ظعن ابوك واخوتك وارسلوا اليك الفرس لتلحق بهم فاخذ همام الفرس وربطهُ الى خيمتهِ ورجع الى مهلهل   فقال مهلهل ما شان الجارية والفرس وما بالك متغيرًا   قال اشرب ودع عنك الباطل   قال وما ذلك   قال زعمت ان جساسًا قتل كليبًا اخاك فضحك وقال يد جساس اقصر من ذلك ولكن اليوم خمرٌ وغدًا امرٌ فذهبت مثلا   ثم اقبلا على شرابهما فجعل مهلهل يشرب شرب الآمن وهمام يشرب شرب الخايف   فلما سكر المهلهل ركب همام ولحق باهلهِ فى اليمن   وشاع قتل كليبٍ فى الحىّ وقامت عليهِ النوايح وخرجت العواتق من الخدور وصكت عليهِ الوجوه وشقّت الجيوب

ورجع المهلهل بن ربيعة الى قومهِ سكران وهم يعقرون خيولهم ويكسرون رماحهم وسيوفهم فقال ويحكم ما الذى دهاكم فلما اخبروهُ الخبر قال لقد ذهبتم شرَّ مذهبٍ اتعقرون خيلكم حين احتجتم اليها وتكسرون سلاحكم حين افتقرتم اليهِ فانتهوا عن ذلك ورجع الى النسآء فنهاهنَّ عن البكآء وقال استبقين للبكآء عيونًا تبكى الى اخر الابد فظنَّ قومه ان ذلك على وجه السكر لانه لم يكن يُعرَف بالشجاعة فى الحرب وكان كليب قد كفاهُ الحروب والغزوات وكان يسمّيهِ زير النسآء اى جليسهنَّ لانه كان صاحب لهوٍ ونسآء وكان اصبح اهل زمانهِ وجهًا وافصحهم لسانًا وارقّهم شعرًا وحديثًا وبلغ الخبر الحرث بن عباد من بنى عكانة بن صعب بن علىّ بن بكر بن وايل وكان من اشدّ العرب باسًا ونجدةً فقال لا ناقتى فيها ولا جملى واعتزل بقومهِ بنى قيس بن ثعلبة ورجع المهلهل يومه الى شرابهِ وهو يقول

دعينى فما فى اليوم مَصحًى لشاربٍ ولا فى غدٍ ما اقرب اليوم من غدِ
دعينى فانى فى سماديرِ سكرةٍ بها جلَّ همّى واستبان تجلُّدى
فان يطلع الصبح المنير فاننى ساغدو الهُوَينا غير وانٍ مفرّدِ
وأُصبِح بكرًا غارةَ صيلميَّةً ينال لظاها كل شيخٍ وامردِ

ولما ناحت النسآء على كليب وخمشن الوجوه ونشرن الشعور خرجت البهنَّ الجليلة بنت مرَّة امرأة كليب تبكى معهنَّ فقلن لها ابعدى منا فانك شامتة وقد حرَّضتِ اخاكِ على قتل سيدنا فخرجت حتى لحقت باهلها وانشأت تقول

يابنة الاقوام ان لمتِ فلا　تعجلی باللوم حتی تسألی

فاذا انتِ تبيّنتِ التی　عندها اللوم فلومی واعذلی

جلّ عندی فعل جسّاس بنا　غمّةٌ للدهر ليست تنجلی

فِعلُ جسّاسٍ وما جآء بهِ　قاطعٌ ظهری ومُدنٍ أَجَلی

ياقتيلاً هدم الدهرُ بهِ　سقف بيتَیّ جميعًا من عَلِ

هدم البيت الذی استحدثتهُ　وبدا فی هدم بيتی الاولِ

ولما اصبح المهلهل غدا الى اخيهِ فدفنهُ وقام على قبرهِ يرثيهِ ويقول

اهاج قذآء عينی الاَذِكارُ　هُدُوًّا فالدموع لها انحدارُ

وصار الليل مشتملًا علينا　كأَنّ الليل ليس لهُ نهارُ

ارقت ونامت الشعرآء عنی　وللباقين بعدُ بنا اعتبارْ

وبتُّ اراقب الجوزآء حتی　تقارب من اوايلها انحدارْ

اصرّف مقلتی فی اثرِ قومٍ　تباينت البلاد بهم فغاروا

وابكی والنجوم مطلّعاتٌ　الى ان تَخْوِها عنی البحارْ

على من لو نُعِيتُ وكان حيًّا　لقاد الخيل يحجبها الغبارْ

دعوتك يا كليبُ فلم تجبنی　وكيف يجيبنی البلد القفارْ

أَجِبنی يا كليب خلاك ذمٌّ　ضنينات النفوس لها مدارْ

اجبنی يا كليب خلاك ذمٌّ　لقد فُجِعَت بفارسها نزارْ

سقاك الغيث انك كنت غيثًا　ويسرا حين يُلتَمس اليسارْ

أَبَت عيناى بعدك ان تكفّا　كأَنّ قِذَى القتاد لها شفارْ

وانك كنت تحلم عن رجال　ونعفو عنهُم ولك اقتدارْ

وتمنع ان يمسّهمْ لســانٌ مخافةَ من يجيــر ولا يُجَارُ
وكنت اعدُّ قربى منك ربحًا اذا ما عدَّت الربح التجارُ
فلا تبعد فكلٌّ سوف يلقى شَعُوبًا يستدير بها المدارُ
يعيش المرءُ عند بنى ابيهِ ويوشك ان يصير بحيث صاروا
ارى طول الحيوة وقد تولَّى كما قد يُسلَب الشيءُ المُعَارُ
كانى اذ نعى الناعى كليبًا تطاير بين جنبَىَّ الشرارُ
فدرت وقد غشى بصرى عليهِ كما دارت بشاربها العقــارُ
سألت الحىَّ ايــن دفنتموهُ فقالوا لى بسفح الحىّ دارُ
فسرت اليهِ من بلدى حثيثًا وطار النوم وامتنـــع القرارُ
وحادت ناقتى عن ظل قبرٍ ثوى فيهِ المكارم والفخارُ
لدى اوطان أروَعَ لم يشنهُ ولم يحدث لهُ فى الناس عارُ
ذَكرتَ فخفتُ اياما طوالا يخالطهـــنَّ آفاتٌ كبارُ
اتغدو يا كليب معى اذا ما جبان القوم انجــاهُ الفرارُ
اتغدو يا كليب معى اذا ما فسيل القوم شطَّ بهِ المزارُ
اتغدو يا كليب معى اذا ما حلوق القوم يشحذها الشفارُ
اقول لتغلبِ والعزُّ فيهــا اثيروها لذلكمْ انتصــارُ
تتابع اخوتى ومضوا لامرٍ عليهِ تتابع القوم الحسارُ
خذ العهد الاكيد علىَّ عمرى بتركى كلَّ ما حَوَتِ الديارُ
وهجرى الغانيات وشرب كاس ولبسى جبَّةً لا تستعــارُ
ولست بخالع درعى وسيفى الى ان يخلع الليل النهارُ

والّا ان تبيد سراة بكرٍ فلا يبقىٰ لهـا ابدًا إثارُ

فاجابهُ جساس بن مرة يقول

الا أَبلِغ مهلهل ما لدينا فادمعنا كادمعهِ غزارُ
بكينا وايل الباغى علينا وشرّ العيش ما فيهِ الغيارُ
ونحن مع المنايا كلَّ يومٍ ولا ينجى من الموت الفرارُ
وكلٌّ قد لقى ما قد لقينا وكلٌّ ليس منهُ لهُ اصطبارُ

وقال المهلهل يرثى اخاهُ ايضًا من ابياتٍ

كُلَيبُ لا خيرَ فى الدينا ومن فيها ان انت خلّيتها فى من يخلّيها
كليب اىُّ فتى عزٍّ ومكرمةٍ تحت الصفاة التى يعلوك سانيها
نعى النُعَاة كليبًا لى فقلت لهم مادت بنا الارض ام مادت رواسيها
ليت السمآء على من تحتها وقعت وحالت الارض فانجابت بمن فيها
الناحر الكُوم ما ينفكُّ يطعمها والواهب المِئة الحمرا براعيها
الحلم والجود كانا من طبايعهِ ما كل آلآئهِ ياقوم نحصيها
اضحت منازل بالسلّان قد دُرِسَت تبكى كليبًا ولم تفزع افاصيها
قد كان يصبحها شعوآء مشعلةً تحت العجاجة معقودًا نواصيها
من خيل تغلب ما تلقى اسنّتها الا وقد خضبتها من اعاديها
كليب اىُّ فتى زينٍ ومكرمةٍ تقود خيلاً الى خبلٍ تلاقيها
تكون اولها فى حين كرّتها وانت بالكرّ يوم الكرّ حاميها
حتى تكسّر شزرًا فى نحورهمِ زرق الاسنّة اذ تروى صواديها
امست وقد اوحشت جردآء بلقعة للوحش منها مقيلٌ فى مراعيها

ينفرن عن امّ هامات الرجال بها والحرب يفترس الاقران صاليها
يا رُبَّ يومٍ يكون الناس فى رَهَجٍ به جعلت على نفسى مكاويها
مستقدمًا غصصًا للحرب مقتحما نارًا اهيّجها حينًا واطفيها
لا اصلح الله منا من يصالحكم حتى يصالح ذيب المعز راعيها
فاجابهُ جساس بن مرة يقول
أُبلغ مهلهل عن بكرٍ مغلغلةً مَنَّتك نفسك من غيٍّ امانيها
تبكي كليبًا وقد شالت نعامتهُ حقًا وتضمر اشياءَ ترجّيها
فاصبر لبكرٍ فان الحرب قد لقحت وعَزِّ نفسك عمّن لا يواليها
فقد قتلنا كليبًا لم نُبَال بهِ بناب جارٍ ودون القتل يكفيها
نحمى الذمار ونحمى كل ارملةٍ حقًا وندفع عنها من يعاديها
وقال المهلهل يرثى اخاهُ ايضا

ان تحت الاحجار حزمًا وعزمًا وقتيلاً من الاراقم كهلا
قتلتهُ ذهلٌ فلست براضٍ او نبيد الحيّين قيسًا وذهلا
ويطير الحريق منا شرارًا فينال الشرار بكرًا وعجلا
قد قتلنا به ولا نار فيهِ او تعمّ السيوف شيبان قتلا
ذهب الصلح او تردّوا كليبًا او تحلّوا على الحكومة حلّا
ذهب الصلح او تردّوا كليبا او أُذِيق العداة شيبان ثكلا
ذهب الصلح او تردّوا كليبًا او تنال العداة هونًا وذلّا
ذهب الصلح او تردّوا كليبًا او تذوقوا الوبال وِردًا ونهلا
ذهب الصلح او تردّوا كليبا او تميلوا عن الحلايل عزلا

اوارى القتل قد تقاضى رجالا　لم يميلوا عن السفاهة جهلا
ان تحت الاحجار والترب منهُ　لدفينًا علا علآء وجـــلّا
عزّ والله يا كليب علينا　ان ترى هامتي دهانًا وكحلا

وما زال المهلهل يبكي اخاهُ ويندبهُ ويرثيهِ بالاشعار ولا يفعل شيًا سوى الوعيد في اشعارهِ حتى يَئِس قومه منهُ وقالوا انهُ زير النسآء وسخرت منه بكر وقالوا انما المهلهل نايحةٌ ليس عندهُ خيرٌ ولا شرٌ وهمَّ آل مرّة بالرجوع الى الحمى وبلغ المهلهل ذلك فانتبه للحرب وشمّر ذراعيهِ وتوسّط نادى قومه وآلَى على نفسهِ ان لا يقرب النسآء ولا يشمّ الطيب ولا يشرب الخمر حتى يقتل بكل عضوٍ من كليب رجلاً من بني بكر بن وايل فقال لهُ اكابر قومهِ اننا نرى ان لا تعجل بالحرب حتى نُعذَر الى اخواننا فبالله ما تجدع بحرب قومك الا انفك ولا تقطع الا كفك فقال جدَعهُ الله انفًا وقطعها كفًا والله لا تحدَّثَت نسآء تغلب انى اكلت لكليبٍ ثمنًا ولا اخذت لهُ دِيَةً فقالوا لهُ لا بد ان تغضّ طرفك وتخفض جناحك لنا ولهم فكره المهلهل ان يخالفهم فيغضبوا عليهِ وقال دونكم ما اردتم فانطلقوا في جماعة من اشراف تغلب حتى دخلوا على مرة بن ذهل وجماعة قومهِ واولادهِ فقالوا ياقوم قد جنيتم امرًا عظيمًا وقتلتم رئسنا ورئسكم في نابٍ من الابل وقطعتم الرحم والحرمة بيننا وبينكم ونحن نكره العجلة عليكم دون الاعدار واننا نعرض عليكم احدى ثلث لكم فيها مخرجٌ ولنا مرضاةٌ قال مرة وما هي قالوا تدفعون الينا جساسا

قاتل كليبٍ فلنقتلهُ بهِ فانهُ لا يُوتَرِ قومٌ قتلوا قاتل صاحبهم او تدفعون الينا اخاهُ همّامًا فانهُ ندٌّ لكليب او تُقِيدنا انت من نفسك يامرّة فانك رِضىً للقوم فقال لهم مرّة اما جسّاسٌ فغلامٌ مابقٌ طعن طعنةً ثم ركب فرسهُ هاربًا فوالله ما ادرى اىّ البلاد انطوت عليهِ واما همّامٌ فحاله ما قد علمتم وهو ابو عشرة واخو عشرة وعمُّ عشرة وخال عشرة فلا تقيدونهُ بجريرة غيرهِ ولو اردت ان اتيدهُ كرهوا ذلك ومنعونى ولو قلتها هرّوا فى وجهى هرير الكلاب النوابح واما انا فوالله ما هو الّا ان تجول الخيل جولةً فاكون اول قتيل لكبرى وضعفى ولكنى اعرض عليكم غير هذا قالوا وما ذلك قال اعطيكم الف ناقةٍ سود المُقَل تضمنها لكم بكر ابنة وائل والّا فهولآء بنىّ فاقتلوا ايّهم شئتم فقال التغلبيون والله ما جئنا نساومكم بكليب ولا نطلب منكم ثمنهُ اما بنوك هولآء فبنو عمنا ولا نرضى بكليب جميعهم ولا نطلب الا مثلهُ او دونهُ بقليلٍ ثم انصرفوا عنه وقد ايقنوا بالحرب والهلَكَة واخبروا المهلهل بذلك فقال والله ما كان كليب بجزور ناكل لهُ ثمنًا وتعاظمت الامور بين الحيّين وآذن بعضهم بعضًا بالحرب وغضبت قبايل ربيعة لقتل كليب وراوا ان بنى شيبان قد ظلموهم اذ قتلوهُ فى شارفٍ من الابل فظعنت النمر بن قاسط وعقيل بن قاسط حتى انضمّوا الى تغلب فصاروا يدا واحدة على بنى شيبان واعتزلت عن حرب التغلبيين قبايل من بكر منها يشكر وعجل وقيس بن ثعلبة وراسها الحرث بن

عباد بن ضبيعة فارس النعامة وكان فارس ربيعة وشاعرها في زمانهِ وكان من شجاعتهِ اذا دخل بين الصفوف وتمنّى عليهِ قومهُ فارسًا من الاعدآء حمل عليهِ فلم يَعُد حتى ياتيهم بهِ فاعتزل الحرث في من اطاعهُ من قبايل بكر ونزع سنان رمحهِ ووتر قوسهِ ولما اعتزلت هذه القبايل عن الحرب اتتهم شيبان تستنصرهم فقالوا لهم يابنى شيبان ظلمتم قومكم وقتلتم سيدكم وهدمتم عزكم ونزعتم ملككم فوالله لا نساعدكم على ذلك ابدًا فانصرفوا خايبين ولم يحارب احدٌ منهم مع شيبان حتى اسرف المهلهل في القتل واما المهلهل فاغار بتغلب الى الذنايب وهى اول وقعةٍ فالتقتهُ شيبان واقتتلوا قتالاً شديدًا وكثر بينهم سفك الدمآء فانهزمت بنو شيبان وكثر القتل فيهم وكان يومًا عبوسًا على القوم واشتهر المهلهل ذلك اليوم بالبأس ووقعت هيبته في قلوب البكريين وقال في ذلــــك

مَن مُبلِغٌ بكرا وآل ابيهِمِ عنى مُغلغلة الرديّ الانفسِ
وقصيــدةً شعوآء باقٍ نورها تبلى الجبال واثرها لم يُطمسِ
اكليبُ ان النار بعدك اخمدت ونسيت بعدك طيّبات المجلسِ
اكليب من يحمى العشيرة كلها اومن يكرّ على الخميس الأشوسِ
من للارامل واليتامى والحمى والسيف والرمح الدقيق الاملسِ
ولقد شفيت النفس من سرواتهم بالسيف في يوم الذنَيب الاغبس
ان القبايل اضرمت من جمعنا يوم الذنايب حرّ موت احمس

فالانس قد ذلّت لنا وتقاصرت   والجنّ من وقع الحديد الملبسِ

وفي هذا اليوم لبس مهلهل لأمتهُ من الدرع والبيضة العاديّة والجوشن وآلى على نفسهِ لا ينزع البيضة عن راسهِ والدرع عن جسدهِ حتى يموت فيلحق بكليبِ اخيهِ ثم اغار المهلهل ثانيةً فكانت بينهم وقعةٌ بجانب اليمن ادار بها رحى الموت على بنى ذهل بن شيبان وقتل فرسانهم مبارزةً ثم كثرت بينهم الوقايع والغارات واشتعلت نار الحرب وكثر بينهم القتل والسبي حتى التقوا يوم عُنَيزة فدنا بعضهم من بعضٍ واشتبك الجمعان فتجالدوا بالسيوف وبرز مهلهل يهدر كالفنبق ويقول واكليباه قتيل الجزور ثم حمل على مرّة بن ذهل وضرب هامتهُ بالسيف فنفذ السيف من البيضة الى دماغهِ وصرعهُ قتيلا وحملت اولادهُ دونهُ فقتل منهم ثلثة وانهزم عنه همّام وجساس ثم اغارت بنو تغلب فالتقوا في واردات وكان مقدم التغلبيين ناشرة بن اغواث من بنى غنم وهو فارس تغلب وفاتكها وكانت امهُ مولاة لهمّام بن مرّة ولدتهُ في سنةٍ شديدة عثر بها همّام حين وضعتهُ وهي تقول للقابلة اقتليهِ فقال لها ويحك لماذا تقتلين ولدك قالت انى اخاف عليهِ الجوع فاستبقاهُ وامر لها بناقة حلوب وجمل ذلول ونشا الغلام حتى بلغ فكان فارسًا من الفرسان المعدودين في ربيعة ودخل مع قومهِ بنى تغلب في الحرب فلما كان يوم واردات خرج همّام بن مرة يسقى الناس اللبن فراهُ ناشرة فقصد اليه فقتلهُ فقالت ام ناشرة في ذلك

أَلاَ ضيَّع الايتام طعنة ناشره   أَناشِرَ لا زالت يمينك واتره
قتلت رئيس الناس بعد رئيسهم   كليبٍ ولم تشكر وانى لشاكره

وعظمت مصيبة همَّام فى بنى ذهل فحمل عباد بن الجهم اليشكرى على ناشرة فقتلهُ بين الصفَّين وكان بنو يشكر معتزلين الحرب فحمل المهلهل على اليشكرى فقتلهُ وتجالد الحيَّان الى المسآء ثم افترقوا وانصرف المهلهل يقول

لما نعى الناعى كليبًا اظلمت   شمس النهار فما تريد طلوعا
قتلوا كليبًا ثم قالوا ارتعوا   كذبوا لقد منعوا الجياد رتوعا
كَلَّا وانصابٍ لنا عاديَّةٍ   معبودةٍ قد قُطِّعت تقطيعا
حتى ابيد قبيلةً وقبيلةً   وقبيلةً وقبيلتين جميعا
وتذوق حتفًا آل بكرٍ كلها   ونهدَّ منها سمكها المرفوعا
حتى ترى اوصالهم وجماجمًا   منهم عليها الخامعات وقوعا
وترى سباع الطير تنقر اعينًا   وتجرُّ اعضآء لهم وضلوعا
والمشرفية لا تعرّج عنهمُ   ضربًا يقدُّ مغافرًا ودروعا
والخيل تقتحم الغبار عوابسًا   يوم الكريهة ما يردن رجوعا

ومرَّ المهلهل فى طريقه بهمَّام بن مرَّة وهو قتيلٌ وكان صهرهُ ونديمهُ وصفيَّهُ فارتجع لهُ وبكى ثم قال والله ما قُتِل فى وائل بعد كليبٍ احدٌ اعزُّ على منك ولا اعظم فقدا والله لا تجتمع وايل على خير بعدكما ابدًا وقُتِل فى ذلك اليوم عمرو بن السدوس الذهلىّ سيد بنى ذهل عثرت به فرسهُ فادركهُ الماروت بن عمرو التغلبىّ وطعنهُ

فقتلهُ وقتل المهلهل الشعثمين ابنى معوية وكانا من سادات بنى ذهل وفرسانهم واسر ثعلبة بن عوف والمرقش الاكبر وهو عمرو بن سعد بن مالك فقتل ثعلبة واطلق المرقش فطلب المرقش بدم ثعلبة حتى قتل رجلاً من بنى تغلب يقال لهُ عمرو بن عوف وقُتل ذلك اليوم الحرث بن مرة اخو جساس واصاب المهلهل منهم جماعة اسرى وقتلى فخمد بعض ما عنده من الغليل وقال قصيدةَ يذكر فيها اخاه كليبًا وغدر بنى شيبان ويحرّض قومهُ على طلب دم كليب وكانت العرب تسمى هذه القصيدة بالداهية وكانوا يتناشدونها اذا ارادوا حربا او محالفة او ضرب قداحٍ واذا ارادوا انشادها اغتسلوا لها وهى القصيدة التى يقول فيها

جارت بنو بكرٍ فلم يعدلوا   والمرءُ قد يعرف قصد الطريق
حلّت وكان البغى من وايل   فى رهط جسّاس ثقال الوسوق
يا ايها الجانى على قومه   ما لم يكن كان له بالخليق
خيانةً لم يدرِ ما كُنْهُهَا   جانٍ ولم يصبح لها بالمطيق
كقاذف يوما باجرامهِ   فى هُوّةٍ ليس لها من طريق
من شآء ولّى النفس فى مَهْمَه   ضنكٍ ولكن من له بالمضيق
ان ركوب البحر ما لم يكن   ذا مصدرٍ من مهلكات الغريق
انى رئيس الناس والمرتجى   العاقد الشدّ ورتق الفتوق
من عرفت يوم حزازى لهُ   عليا معدٍّ عند اخذ الحقوق
اذ اقبلت حمير فى جمعها   ومذحجٌ كالعارض المستحيق

وجمع همدان لهُ لجبةٌ ورايةٌ تهوي هوىَّ الانوق
يلمع لمع الطير عقبانها على اواذى لجّ بحرٍ عميق
فاحتــــلّ اوزارهُم ازرةٌ براى محمودٍ عليهم شفيق
وقد علتهم للقـــا هبوةٌ ذات جناحٍ كلهيب الحريق
يقلّد الامر بنو هاجـــرٍ منهم رئسًا كالحسام الفتيق
مضطلعًا بالامر يسمو لــهُ فى يوم لا ينساق حَلقٌ بريق
ذاك وقد عنّ لهم عارض فى جنح ليلٍ فى سمآء بَرُوق
فذاك لا يُدنَى بــهِ غيرهُ وليس يُلفَى مثلهُ فى فريق
فل لبنى ذُهلٍ يردّونــهُ اويصبروا للصيلم الخنفقيق
فقـــد تَروّوا من دمٍ محرمٍ وانتهكوا حرمتهُ من عقوق
ان آمرًا ضرّجتمُ ثوبـــه بعاتكٍ من دمهِ كالخلوق
سيّد ساداتٍ اذا ضمّهـــم معظم امرٍ يوم بُؤس وضيق
لم يَكُ كالسيد فى قومـهِ بل ملكٌ دِينَ له بالحقوق
ان نحن لم نثأر بهِ فاشحذوا شفاركم منا لحزّ الحلوق
ذبحًا كذبح الشاة لا يتّقى ذابحها الا بشخب العروق
اصبح ما بين بنى وائـلٍ منقطع الحبل بعيد الصديق
غدًا نساقى فاعلموا بيننا رماحنا من قانئٍ كالرحيق
بكل مغوار الضحى فاتــكٍ شمردلٍ فوق طرفٍ عتيق
ليسَ اخوهُ تاركـــا وِترهُ وليس عن تطلابكم بالمفيق

فاجابهُ جسّاس بن مرة يقول

انّا على ما كان من حادثٍ لم نبدأ القوم بذات العقوق
قد جرّبت تغلبُ ارماحنا بالطعن اذ جاروا وحزّ الحلوق
لم ينههم ذلك عن بغيهم يومًا ولم يعترفوا بالحقوق
واسعروا للحرب نيرانها للظلم فينا باديًا والفسوق
اليس من اردى كليبًا لمن دون كليبٍ منكمُ بالمطيق
من شَرَع العدوان فى وائلٍ اقترف الظلمَ وضنك المضيق
بدأتمْ بالظلم فى قومكم وكنتم مثل العدوّ الحنيق
والظلم حوضٌ ليس يُسقَى بهِ ذو منعةٍ فى كل امرٍ يطيق
فان ابيتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروق

ولما قتل المهلهل بنى بكر يوم واردات حميت لذلك قبايل وائل واخطهم ما بلغهم من قول المهلهل وتولّى امرهم حينئذٍ الحرث بن همّام بن مرّة وكان شجاعًا كريمًا ونهض سعد بن مالك بن ضبيعة جدّ طرفة بن العبد الشاعر وكان من فرسان ربيعة وجعل يحرّض من اعتزل من قبايل بكر حتى اجتمعوا على حرب تغلب الا الحرث بن عباد فانه لم يزل معتزلاً بقومهِ واهل بيتهِ فاقبل سعد بن مالك يحرّضه على حرب تغلب فلم يجبهُ الحرث الى ذلك ولبث معتزلا بقومهِ عن حرب التغلبيين واتفق بعد ذلك ان ابلاً للحرث ضلّت من المراعى فخرج ابنهُ بُجَير فى طلبها وكانت امهُ ابنة ربيعة بن مرة اخت كليب والمهلهل وكان المهلهل يومئذٍ قد خرج فى كتيبة من تغلب يطلب غرّةً من بنى بكر بن وائل

فصادف بُجَيراً فى بعض الطريق فصاح باصحابه فاخذوا الغلام واتوهُ بهِ ولم يكن خالهُ المهلهل رآهُ قبل ذلك لانهُ ولد بعد قتل خالهِ كليب فلما رآهُ اعجبهُ ما راى من جماله وهيئتهِ فقال لهُ من انت ياغلام قال انا بُجَير بن الحرث بن عباد قال فمن امك قال امُّ الاغرّ بنت ربيعة بن مرة قال فمن خالك قال مهلهل بن ربيعة سيد بني تغلب فاهوى اليهِ بالرمح فقال الغلام لماذا تقتلنى ولا ذنب لى وقد اعتزل ابى حربكم وكفَّ يدهُ فى من اطاعهُ من قومهِ وكان مع المهلهل امرء القيس بن ابان بن زهير بن جُشَم وهوفارس تغلب وشاعرها بعد المهلهل فقال ويحك يا مهلهل اتريد ان تهلك نفسك وقومك وتعين اعداءك بنى شيبان بالحرث بن عباد وقد علمت مكانهُ فى نزار وبطشهُ فى الحرب وطاعة قومه لهُ وهو لم يتعرض لنا بسوء فخلّ سبيل الغلام فقال المهلهل يا ابن ابان اذا لم اقتل ابن الحرث فمن اقتل والله لا تركتهُ ابدا علينا وعليهم الصبر وعلى نسايناآ ونسآيهم البكآء ثم قام لبُجير بن الحرث فضرب عنقهُ واخذ راسهُ فعلّقهُ على ناقتهِ ومضت الناقة حتى اتت اهلها فلما راها الحرث بن عباد وراس بجير معلّقٌ بها عرف قاتلهُ فقال نفسى الفدآء لقتيلٍ بين قومه واجتمع اليهِ قومهُ وخرجت النسآء صايحاتٍ فاسكتهنّ الحرث وقال خير مولود فى وايل من اصلح امرها وكفَّ حربها وحبس دمآءها وكان الحرث سيدا شريفًا حليمًا وقورًا كريمًا شديد الباس والنجدة فاراد ان يصلح عشيرتهُ

ندم ولدهِ حتى بلغهُ ان المهلهل لما قتل بُجَيرًا قال بشسع نعل كليبٍ فغضب الحرث واخذتهُ حميَّةُ الجاهليّة وبلغ ذلك قومهُ فطرقوهُ ليلًا على خيولهم مستلثمين للحرب وقالوا ارضيت ان يكون ولدك بشسع نعل كليب وهو ليس بدون كليب وانت سيد ربيعة وفارس نزار فقال لا تعجلوا عليَّ فقد ياتي الحديث عن غير اهلهِ وارسل الى مهلهل يقول ان كنت قتلت بجيرًا بخالهِ كليب وطابت نفسك بثارك وقطعت الحرب عن بني عمك فما ارضاني بذلك واطيب نفسي بهِ ونعم القتيل من ارضاك واصلح امر وائل فارسل اليهِ المهلهل انما ولدك بشسع نعل كليب فاصنع ما بدا لك فلما انتهى ذلك الى الحرث قام بهِ الغضب وكانت الجارية حينئذٍ قد سرحت بابلهِ فقال ويحك ردّي جمالك فما لى اليوم من حمل فذهبت مثلًا ونادى في قومهِ بالحرب وانشأ يقول

كل شيءٍ مصيرهُ للزوال غير ربـي وصالح الاعمالِ
وترى الناس ينظرون جميعًا ليس فيهم لذاك بعض احتيالِ
قل لامّ الاغرّ تبكـي بُجَيرا حيلَ بين الرجال والاموالِ
ولعمري لابكيَنّ بُجَيرًا ما اتى الماءُ من رؤوس الجبال
لهف نفسي على بُجَيرٍ اذا ما جالت الخيل يوم حربٍ عضال
وتساقَى الكماة سمّا نقيعا وبدا البيض من قباب الحِجال
وسعت كل حرّة الوجه تدعو يا لبكرٍ غرّاء كالتمثالِ
ب بُجَير الخيرات لا صلحَ حتى نملأ البيد من رؤوس الرجال

وتقرَّ العيون بعد بكاها حين تسقى الدما صدور العوالى
اصبحت وايلٌ تعجّ من الحرب عجيج الجمال بالاثقال
لم اكن من جُناتها عَلِمَ اللّه وانى لحرّها اليوم صالِ
قد تجنّبت وايلاً كى يفيقوا فأبَت تغلبٌ علىَّ اعتزالى
واشابوا ذؤابتى بُجَير قتلوهُ ظلمًا بغير قتالِ
قتلوهُ بشسع نعل كليبٍ ان قتل الكريم بالشسع غالِ
يابنى تغلبٍ خذوا الحذر انّا قد شربنا بكاس موتٍ زلالِ
يابنى تغلبٍ قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثله فى الخوالى
قرّبا مربط النعامة منى لقحت حرب وايلٍ عن حيالِ
قربا مربط النعامة منى ليس قولى يراد لكن فعالى
قربا مربط النعامة منى جدّ نوح النسآء بالاعوالِ
قربا مربط النعامة منى شاب راسى وانكرتنى القوالى
قرّبا مربط النعامة منى للسُرَى والغدوّ والآصالِ
قرّبا مربط النعامة منى طال ليلى على الليالى الطوالِ
قرّبا مربط النعامة منى لاعتناق الابطال بالابطالِ
قرّبا مربط النعامة منى واعدلا عن مقالة الجُهّالِ
قرّبا مربط النعامة منى ليس قلبى عن القتال بسالِ
قرّبا مربط النعامة منى كلما هب ريح ذيل الشمالِ
قرّبا مربط النعامة منى لبَجير مفكّك الاغلالِ
قرّبا مربط النعامة منى لكريم متوّج بالجمالِ

قرّبا مربط النعامة منـــى لا تباع الرجال بيع النعالِ

قرّبا مربط النعامة منـــى لُبَجَيـر فداهُ عمى وخالى

قرّباها لحيّ تغلب شوسـًا لاعتناق الكماة يوم القتالِ

قرّباها وقرّبـــا لامتى در عا دلاصًا تردّ حدَّ النبالِ

قرّباهـــا بمرهفات حداد لقراع الابطال يوم النزالِ

رُبّ جيش لقيتهُ يمطر المو تَ على هيكلٍ خفيف الجلالِ

سائلوا كندة الكرام وبكرًا واسألوا مذحجا وحيَّ هلالِ

اذ اتونا بعسكر ذى رهآء مكفهرّ الاذى شديد المصالِ

فقريناهُ حين رام قرانـــا كل ماضى الذباب عضب الصقالِ

وهى طويلة اقتصرنا منها على هذه الابيات فاجابهُ المهلهل يقول

هل عرفت الغداة من اطلالِ دهن ريحٍ وديمـــةٍ مهطالِ

يستبين الحليم فيها رسوما دارساتٍ كصنعـــة العُمَّالِ

قد رآها واهلها اهل صدق لا يريدون نيَّـــة الارتحالِ

يا لقومى للوعـــة البلبالِ ولقتـــل الكماة والابطالِ

ولعينٍ تَبادَرَ الدمع منها لكليب اذ فاتها بانهمالِ

لكليب اذ الرياح عليه ناسفات التراب بالاذيـــالِ

انني زايرٌ جموعا لبكر بينهم حارثٌ يريد نضالى

قد شفيت الغليل من آل بكر آل شيبان بين عمٍّ وخالِ

كيف صبرى وقد قتلتم كليبًا وشقيتم بقتلـــه فى الخوالى

فلعمرى لأَقتُلَنّ بكليب كل قَيل يُسمَى من الاقيالِ

ولعمرى لقد وطئت بنى بكرٍ   بما قد جنوه وطئ النعالِ
لم أَدَعْ غير أَكلُبٍ ونساءٍ   واماء حواطــــبٍ وعيالِ
فاشربوا ما وردتم اليوم منا   واصدروا خاسرين عن شرّ حالِ
زعم القوم اننــا جار سوء   كذب القوم عندنا فى المقالِ
لم يرَ الناس مثلنا يوم سرنا   نسلب الملك بالرماح الطوالِ
يوم سرنا الى قبايل عوفٍ   بجموعٍ زهاؤهــا كالجبالِ
بينهم مالكٌ وعمْرو وعوفٌ   وعقيــلٌ وصالح بن هلالِ
لم يَقُم سيف حارثٍ بقتالِ   اسلم الوالدات فى الاثقالِ
صدق الجار اننا قد قتلنا   بقبال النعال رهط الرجالِ
لا تملَّ القتال يا ابن عبادٍ   صبّر النفس اننى غير سالِ
ياخليلىَّ قرّبا اليوم منــى   كل ورد وادهــمٍ صهّالِ
قرّبا مربط المشهّر منــى   لكليب الذى اشاب قذالى
قرّبا مربط المشهّر منــى   واسألانى ولا تطيلا سوالى
قرّبا مربط المشهّر منــى   سوف تبدو لنا ذوات الحجالِ
قرّبا مربط المشهّر منــى   ان قولى مطابــقٌ لفعالى
قرّبا مربط المشهّر منــى   لكليب فداهُ عمى وخالى
قرّبا مربط المشهّر منــى   لاعتناق الكماة والابطالِ
قرّبا مربط المشهّر منــى   سوف اصلى نيران آل بلالِ
قرّبا مربط المشهّر منــى   ان تلاقت رجالهم ورجالى
قرّبا مربط المشهّر منــى   طال ليلى واقصرت عذّالى

قرّبا مربط المشهّر منى　يا لبكرٍ واين منكم وصالى

قرّبا مربط المشهّر منى　لنضالٍ اذا ارادوا نضالى

قرّبا مربط المشهّر منى　لقتيلٍ سَفَتهُ ريح الشمالِ

قرّبا مربط المشهّر منى　مَعَ رمحٍ مثقّفٍ عسّالِ

قرّبا مربط المشهّر منى　قرّباهُ وقرّبا سربالى

ثم قولا لكل كهلٍ وناشٍ　من بنى بكرٍ جرّدوا للقتالِ

وخذوا حذركم وشدّوا وجدّوا　واصبروا للنزال بعد النزالِ

قد ملكناكمُ فكونوا عبيدًا　ما لكم عن ملاكنا من مجالِ

يا كليب الخيرات لاصلحَ حتى　اسكن اللحد فى التراب المُهَالِ

فلقد اصبحت جماجم بكرٍ　مثل عادٍ اذ مُزّقت فى الرمالِ

يا كليبًا اجب لدعوة داع　موجع القلب دايم البلبالِ

فلقد كنت غير نكس لدى البأ　سِ ولا واهنٍ ولا مكسالِ

قد ذبحنا الاطفال من آل بكر　وقهرنا كماتهم بالنصالِ

وكررنا عليهمِ وانثنينا　بسيوفٍ تقدُّ فى الاوصالِ

اسلموا كل ذات بعلٍ واخرى　ذات خدرٍ غرّآء مثل الهلالِ

يا لبكرٍ فاوعدوا ما اردتم　واستطعتم فما لذا من زوالِ

وهى طويلةٌ اثبتنا منها هذه الابيات　واما الحرث بن عباد فانهُ دعا بفرسهِ النعامة وكانت اكرم خيل الجاهلية فجآءوهُ بها فجزَّ ناصيتها وقطع ذنبها وكان اول من فعل ذلك من العرب　فاتخذتهُ العرب سنّة اذا قُتِل لاحدهم عزيزٌ واراد ان يطلب ثارهُ　ولما بلغ

المهلهل ذلك دعا بفرسهِ المشهّر ففعل بهِ كذلك وارتحل الحرث ببنيهِ وبنى اخيه وقومهِ فضمّهم الى قبايل بكرٍ فسرّوا بهم سرورًا عظيما وقراهم الحرث بن همّام بن مرّة وكانت بكر قد قلّدتهُ رياستها بعد ابيهِ واشتهر بالفراسة والكرم والشعر ولمّا اجتمعت قبايل بكر اغارت بكتايب جمّة وخرج المهلهل بن ربيعة بقومهِ التغلبيين فالتقى الفريقان بعُوَيرض واقتتلوا قتالاً شديداً لم يَرَهُ احدٌ قبل ذلك اليوم وصافح الحرث بن عباد القتال بنفسهِ وقتل من التغلبيين خلقًا كثيرًا فانهزموا وكان يومًا عظيمًا وهو اول يوم هزمت بكرٌ فيهِ تغلب وقصد الحرث مهلهلاً فصدّ عنـــه الى عبرهِ وقتل كلٌّ منهم جماعةً من اعدآيهِ وقال الحرث بن عباد فى ذلك اليوم

كأنّا غدوةَ وبنى ابينـــا غداة الخيل تقرع بالذكورِ
ضراغم ساوَرَت فى الحى يحمى عليها كل ذى لَبَدٍ هصورِ
تجالد فى كتايب من علىٍّ بفتيانٍ كامثال الصقور
بجنب عُوَيرضٍ لما التقينا ونار الحرب ساطعة السعير
فدانت تغلبٌ فى الحرب لما نزلتْ نداهيات فى الامور
تحامَ مهلهلٌ لما التقينــا وعرّد حين ملَّ من الهرير
فلو نشر المقابر عن كليبٍ لَخَبَّر فى الحفاظ بشـــرّ زير
ولو قُتِلوا جميعًا فى بُجَـيرٍ لكانوا فيهِ كالشىء اليسير
قتلنا الحىّ من جُشَم بن بكر وادبر جمعهم عند النفير

بشوسٍ من بنى بكرٍ عليهم ... دلاص السابغات من الحريرِ
واهلكنا بنى غنمٍ جميعـــًا ... مع القمقام ذى الشرف الخطيرِ
وجالوا من سعير الحرب حتى ... بدت اقدام ربّات الخدورِ
غـداة اصبنهم شعوآء تردى ... بأُسْدٍ ما تملُّ من الزئيرِ
حماة من بنى الريسآء غُشْر ... اليهم منتهى العافى الضريرِ
ومن ذهل بن شيبانٍ وقيس ... ليوث الحرب فى اليوم العسيرِ
ومن ابنآء تيم اللات محدٌ ... توارثهُ الصغير عن الكبيرِ
وعنْزٍ فى الوغى لبّات حرب ... كأنَّ رماحهم اشطان بير
ومن عجل كتائبُ بالمذاكى ... ترى فى كل يومٍ قمطريرِ
ومن اولاد يشكر كل شهم ... طويل الباع كالقمر المنيرِ
فما فى الناس حيٌّ مثل بكر ... اذا افتخر المفاخر بالعشير

فاجابهُ المهلهل بن ربيعة يقول

اليلتنا بذى حسم انيرى ... اذا انتِ انقضيتِ فلا تحورى
فان يك بالذنايب طال ليلى ... فقد يُبكى على الليل القصيرِ
ارقت وصاحبى بجنوب شعب ... لبرقٍ فى تهامـــة مستطيرِ
ولو نشر المقابر عن كليب ... لاخبـــر بالذنايب اىُّ زيرِ
ويوم الشعثمين لقر عينا ... وكيف لقآء من تحت القبورِ
على انى تركت بواردات ... بُجَيَرًا فى دم مثـــل العبيرِ
وهمّام بن مرّه قد تركنا ... عليهِ القشعمان من النسورِ
هتكت به بيوت بنى عباد ... وبعض الفتل اشفى للصدورِ

على ان ليس عدلا من كليبٍ اذا خاف المغار من المغيرِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا طُرِد اليتيم عن الجزور
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا ما ضِيم جار المستجيرِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا ضاقت رحيبات الصدورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا خاف المخوف من الثغورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا طالت مقاساة الامورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا هبّت رياح الزمهريرِ
على ان ليس عدلا من كليبٍ اذا وثب المثار على المثيرِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا عجز الغنيّ عن الفقيرِ
على ان ليس عدلا من كليبٍ اذا خرجت مخبّأة الخدورِ
على ان ليس عدلاً من كليبٍ اذا هتف المثوّب بالعشيرِ
تسايلني أُميمة عن ابيها وما تدري اميمة عن ضميري
فلا وابي اميمة ما ابوها من النعم المؤثّل والجزورِ
ولكنّا طعنّا القوم طعنا على الاثباج منهم والنحورِ
نُكِبّ القوم للاذقان صرعى وناخذ بالترايب والصدورِ
غدى لبني شقيقٍ حين جاءوا كأُسد الغاب تُلحِب بالزئيرِ
غداة كاننا وبني ابينا بجنب عُنَيزة رحيا مديرِ
فلولا الريح اسمع من بحُجْرٍ صليل البيض تقرع بالذكورِ
وكانوا قومنا فبغوا علينا فسقناهم الى لحج السعيرِ
تظلّ الطير عاكفة عليهم كأنّ الخيل تنضح بالعبيرِ

وما تنكي عدوك اذ تعادى ... بمثل الصبر في ضنك الوعورِ

وهي طويلة اقتصرنا منها على هذه الابيات ثم التقى القوم بعويرض نوبةً اخرى فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى هجم الليل وجال التغلبيون جولةً على بكر فاستظهروا عليهم وهزموهم في العشآء وقد كثر القتل فيهم والجراح وباشر المهلهل القتال بنفسهِ وقتل جمهورًا من الفرسان وراح ظافرًا منصورًا وجعل بعد ذلك يجرد لهم فرسان قومه وابطالهم وامدّهم بالخيل والعدد واخذ يكمن لبني بكر على ديارهم ومياههم فلا يلقى شيخًا ولا صبيًا الا قتلهُ ولا مالاً الا اغتنمهُ حتى درسهم بنفسهِ وقومهِ واذاقهم البلآء الشديد ولما الحّ المهلهل على بكر واهلكهم ارسلوا الى من باليمامة من بكر بن وابل يستنجدونهم فامدّوهم بجماعة تحت راية الفند بن سهل البكرى وكان شجاعًا لا يطاق فالتقوا بالعقبة وعلى بني تغلب مهلهل بن ربيعة وعلى بني بكر الحرث بن همام بن مرة فلما ترآءى الجمعان قال الحرث بن عباد للحرث بن همّام هل تطيعني فيما اشير به عليك قال نعم قال تعطون كل امراة فارهة من نسآيكم هراوةً وقربة ماء وتجعلونهنّ خلفكم اذا اصطَفَفْتُم للحرب وتحلقون رووسكم علامةً لهنّ فاذا خرج منكم رجلٌ عرفنه بتلك العلامة فاقبلن عليه يسقينه وياخذن بيده واذا مررن بجريحٍ من اعدايكم ضربنه بالخشب فقتلنه ففعل الحرث بن همام ما امرهُ بهِ وانتشب القتال بين القوم واجتلدوا بالسيوف صدر يومهم ذلك ثم جالت بكر على تغلب

فاستهزموا لهم حتى استمكنوا منهم فاطبقوا عليهم واذاقوهم البلآء ونظر الحرث بن عباد الى فارسٍ من تغلب لا يدنو من كتيبة الا مزّقها فدعا بعمامةٍ وشدَّ حاجبيهِ ووثب بالنعامة على ذلك الفارس فاحتضنهُ واتى بهِ الى قومهِ وهو يقول شعرًا

انى ارى ذا جَلَدٍ وباسِ تخالهُ النَّجِيرِ اذ تقاسى

فهو بهِ الوفآء دون الناسِ

وكان ذلك الفارس هو المهلهل بن ربيعة الا ان الحرث لم يكن يعرفهُ لطول العهد بينهما وكان المهلهل ذا رأيٍ ومكيدةٍ فلما ايقن بالهلكة استنزل عن فرسهِ وتنكّر وقصد شيخًا كبيرًا من ذهل بن شيبان يقال لهُ عوف بن محلم فجعل يدانيهِ حتى استجار بالخبآء ومكر بالحرث بن عباد فقال له هل ادلُّك على المهلهل فتقتله وتؤمننى قال وكيف لى بذلك قال أَعطِنى ضمينًا بالامان قال اختر لك ضمينًا من بكرٍ ترضى بهِ قال اريد عوف بن محلم فقال الحرث اضمن لهُ ياعوف فضمن وكانت العرب ترى الموت قبل نقض الذمة فلما اعطاهُ الحرث ذمته قال انا المهلهل فندم الحرث على اجارتهِ لكنهُ لم يستطع ان يغدر بهِ لما اعطاهُ من الذمّة فاطلقهُ ولما رجع المهلهل الى قومهِ عطفوا على البكريين وقاتلوا قتالاً شديدًا حتى كان اخر النهار فكانت الدايرة على تغلب فانهزموا بعد قتلِ كثيرٍ وتقاعدوا عن الحرب زمانًا ونزل المهلهل بواردات وارسل الى بكر يطلب جساسًا قاتل كليب وكانت اخوال جسّاس بالشام فلحق بهم فى نفرٍ

قليلٍ من قومهِ ولما بلغ المهلهل ذلك ارسل في طلبهِ ثلثين نفرًا فادركوهُ في الطريق واقتتلوا فلم يسلم من الفريقين الا قليلٌ وانجرح جساس جرحًا شديدًا فمات منهُ وقيل لم يمت من ذلك لكن قتلهُ الهجرس بن كليب بن ربيعة وذلك ان امرأة كليب الجليلة اخت جساس كانت حاملاً لما قُتِل كليب فولدت غلامًا سمَّتهُ الهجرس وكانت حينئذٍ قد لحقت بقومها فنشا الغلام مع اخوالهِ بني مرة واولادهم وكان خالهُ جسَّاس يحسن اليهِ وكان الغلام يحبُّ جسَّاسًا دون سائر اخوالهِ ويدعوهُ اباهُ فلما شبَّ الغلام زوَّجهُ جسَّاس بابنتهِ سُعاد ومكث الغلام على ذلك ما شآء الله الى ان وقعت فتنةٌ بينهُ وبين رجلٍ من آل مرّة فقال له الرجل ما اراك تهدأ حتى نلحقك بابيك وكان الهجرس قد نسي امر ابيهِ لطول العهد وعدم معرفتهِ بهِ فلما قال لهُ ذلك هاجت الضغينة في قلبهِ واتى منزلهُ كئيبًا فسالتهُ امراتهُ عن حالهِ فاخبرها ولما امسى أوى الى فراشه فتوقّح ولم ياخذهُ نومٌ فاجفلت المراة من ذلك وانطلقت الى ابيها فاخبرتهُ فاتاهُ جساس وقال له انت ولدي وابن اختي وقد زوجتك ابنتي رغبةً مني فيك وقد علمت ما كان بيني وبين قومك من الفتنة ثم اصطلحنا واريد ان تنطلق معي اليهم لندخل فيما دخلوا فيهِ من الصلح قال نعم واخذ الهجرس لامتهُ وانطلق على جوادهِ حتى اتى نادي قومهِ ومنهم جسَّاس يخاطبهم في ذلك فحمل عليهِ الهجرس وهو يقول ومهري وأُذنيه ورمحي وطَرَفيه لا يدع المرء قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم

طعنهُ بالرمح فدق صلبهُ وركض بجوادهِ يريد عمهُ المهلهل وهو يقول

تبيَّن خليلي اين صارت ديارنا   واين لنا من آل مرَّة ناصرُ
وقد يُجبَر العظم الكسير فيستوي   ويُولَد بعد المرء ياسْعدَ ثائرُ

ففرح بهِ عمهُ والطفهُ وقرَّبهُ واعطاهُ رياسة قومهِ مكان ابيهِ كليب وزوَّجهُ بابنتهِ سُلَيمَى واقام في قومهِ عزيزًا كريمًا   ثم انبعثت الحرب بين الفريقين وتواعدوا للقتال واجتمعت قبايل النمر بن قاسط مع بني تغلب وسيدهم سالم بن يزيد النمريّ فاقتتل القوم قتالاً شديدًا وكثرت القتلى بينهم وكانت الهزيمة على بني تغلب والنمر بن قاسط وقُتِل في ذلك اليوم الهجرس بن كليب   ومضى المهلهل وقومهُ حتى اتوا بني كلب بن وبرة فمكثوا عندهم زمانًا والمهلهل يغير على اطراف بكر فيقتل ويأسر حتى ظفر بهِ يومًا عوف بن مالك وكان من سادات بني بكر فمكث في اسرهِ ما شآء الله ثم ادركهُ الموت واختلفوا في موتهِ فقيل مات في اسر عوف البكري جوعًا وعطشًا   وقيل بل فدى نفسهُ بمايةٍ من الابل ومضى باهله الى بني مدحج فقدَّمهم بين يديهِ في اول النهار وتخلَّف بعبدين لهُ يريد غرّة عوف بن مالك ليقتلهُ فلما لم يصادف غرّةً له سار في اثر اهلهِ حتى اذا كان في بعض الفلوات نزل في ظل شجرةٍ فنام   وكان العبدان قد ضجرا منهُ لطول بلآيهِ لانهُ كان قد غزا بهما غلامين حتى وخطهما الشيب ولم يزل على عزمه   فوثبا عليهِ واخذا بيديه فانتبه وقال ما بالكما فالا نذيقك ما اذقت العرب   قال ان لم يكن بدٌّ من ذلك فاذا

اتيتمـا ابنتى فخصاهما عنى بالسلام وقولا لهما هذا البيـــت

من مُبلِغُ الاقوام ان مهلهلاً   لله درّكما ودرّ ابيكمـــا

قالا نعم ثم طعنهٔ احدهما فقال المهلهل ثكلتك امك لو اخذت البيضة عن راسى لكفاك اخذها دون ان تضع يدك فى سيدك   فاخذا البيضة فامتنعت عليهما فاقتلعاها فخرجت ام راسِهِ وبقى الدماغ ينتفض من تحتها   فقال احدهما لله درك من قتيلٍ وفى لاخيهِ حتى اجابهُ بمصرعه كريمًا ثم دفناهُ ولحقا باهلهما يبكيان ويقولان وامهلهلاه واسيدنا وافارس العرب   فلما سمعتهما ابنتهُ سُلَيمى وهى امراة الكجرس بن كليب قالت ما ورآءكما فقالا مات ابوك المهلهل وتركنا عيلةً على القوم قالت فهل اوصاكما بشيء قالا لا والله غير اننا سمعناهُ وهو يجود بنفسهِ يقول

مَن مُبلِغ الاقوام ان مهلهلاً   لله درّكما ودرّ ابيكمـا

ففكرت سليمى ومن حولها فلم يجدوا مخرجًا لذلك واذا ابنتهُ الصغيرة تبكى وتقول واثكلاه قتيلٌ ورب الكعبة اوثقوا العبدين   فاوثقهما فتيانٌ من تغلب فاختلط كلامهما   فقالت اتدرون ما اراد ابى قالوا لا فماذا اراد ياابنة تغلب قالت ما اراد الا ان يقول

من مُبلِغُ الا قوام ان مهلهلا   اضحـــى قتيلاً فى الفلاة مُجَدَّلا

لله درّكما ودرّ ابيكـــما   لا يبرح العبدان حتى يُقتَلا

فامروا بالعبدين فضربت اعناقهما ورجع بنو تغلب الى ارضهم واحتسب بكر وتغلب فى القتلى واعطوا عن كليب عشر دياتٍ وارتفع السيف

من بينهم وطالت المناح على المهلهل وكثرت المراثى واعولت عليهِ تغلب كما يليق بمثلهِ وخمدت بعدهُ نار الحرب بعد اشتعالها بينهم مدة اربعين سنة واقام كل فريقٍ منهم فى ارضهِ الى ما شآء الله انتهى

حرب سباق الخيل

كان ذلك بين بنى عبس وبنى فزارة بسبب داحس فرس قيس بن زُهَير بن جذيمة العبسى والغبرآء فرس حُذَيفة بن بدر الفزارىّ وذلك ان رجلاً من بنى عبس يقال له قرواش بن هانئٍ كان يناظر حَمَل بن بدر اخا حذيفة فى داحس والغبرآء فقال حَمَل الغبرآء اجود وقال قرواش داحس اجود فتراهنا عليهما بعشرةٍ من الابل واتى قرواش الى قيس بن زهير فاخبرهُ فقال له قيس راهن من شئت ودعنى من بنى بدر فانهم قومٌ يظلمون لقدرتهم على الناس فى انفسهم وانا أَبيٌّ عزيز النفس فقال قرواش انى قد اوجبت الرهان فقال قيس ويلك قد اخترت اشأم اهل بيت والله لتضرمَنّ علينا نارًا ثم ان قيسًا اتى حمل بن بدر وقال انى قد اتيتك لأُواضعك الرهان فقال لا اواضعك او تجئَ بالعشرة فان اخذتها اخذت سبقى وان تركتها رددتُ حقًا قد عرفتهُ لى فأَنِفَ قيسٌ وقال هى عشرون قال حَمَل هى ثلثون وتمادى بينهما اللحاج والتزايد حتى بلغ به

قيس الى المائة ووضع السبق على يد غلاق احد بنى ثعلبة بن سعد وجعل الغاية مائة غلوةٍ فضمّروا الفرسين اربعين ليلة وعطّشوهما وجعلوا السابق منهما الذى يرد غدير ذات الاصاد وهو غاية المضمار فلما ارادوا السباق اكمن حَمَلٌ فى حفرةٍ على طريق الفرسين فتيانًا منهم رجلٌ يقال لهُ دُهَير بن عمرو وامرهم ان جاء داحس سابقًا ان يردُّوا وجههُ عن الغاية ثم ارسلوهما يجريان فلما امعنا فى جريهما برَّز داحس حتى انتهى الى الكمين فوثب اليهِ دهيرٌ ولطم وجههُ فردَّهُ عن الغاية وفى ذلك يقول قيس

كما لاقيت من حمل بن بدرٍ واخوتـــــهِ على ذات الاصادِ
همُ فخــروا علَّى بــغير فخــرٍ وردُّوا دون غايتـــهِ جوادى

وطلب عبس السبق من حذيفة فانكر عليهِ فقال الذى وضعا السبق على يديهِ لحذيفة ان قيسًا قد سبق وانما اردت ان يقال سبق حذيفة وقد قيل ذلك فادفع اليهِ سبقه قال نعم ودفع اليهِ الابل التى عُقِد الرهان عليها ثم ان عركى بن عُمَيرة وابن عمٍّ لهُ من فزارة اقبلا على حذيفة يندّمانهِ وقالا ان الناس قد رأوا سبق جوادك وليس كل الناس رآوا لطم جواد قيس فاعطآوك السبق تحقيقًا لدعوى العبسيين فاطلب السبق فانهم اقصر باعًا من ان يردُّوك فأبى حذيفة وانف من ذلك وما زالا بهِ حتى ندم واجابهما فنهاهُ حميصة بن عمرو وقال لهُ ان قيسًا لم يسبقك الى مكرمةٍ بنفسه وانما فرسٌ سبق آخر فما فى هذا حتى تُدعَى فى العرب

ظلومًا قال اما اذا تكلمت فلا بد من اخذهِ ثم بعث ابنهُ ابا قرفة الى قيس يطلب السبق فلم يصادفهُ فقالت لهُ امراتهُ ما احبُّ انك صادفت قيسًا فرجع الى ابيهِ واخبرهُ بما قالت امراة قيس فقال والله لتعودَنَّ اليهِ ورجع قيسٌ الى بيتهِ فاخبرتهُ امراتهُ فاخذتهُ زفرات الغضب ولم يلبث ابن حذيفة ان رجع اليهِ وقال يقول ابي اعطني السبق فتناول قيس الرمح فطعنهُ فدق صلبهُ ورجعت فرسهُ غايرةً فاجتمع الناس على قيس واحتملوا دية ابن حذيفةماية عشرآء فقبضها حذيفة وانزلها على النفيرة حتى تنتج ما في بطونها ثم ان مالك بن زهير اخا قيس نزل اللقاطة وهي بالقرب من حيّ فزارة وكان قد اتخذ امراةً من بني فزارة فاتاها فبنى بها هناك وأُخبِر حذيفة بمكانهِ فعدا عليهِ فقتلهُ وفي ذلك يقول عنترة

ولله عنا من راى مثل مالكٍ عقيرة قومٍ ان جرى فرَسَانِ
فليتهما لم يجريا نصف غلوةٍ وليتهما لم يُرسلا لرهــانِ

واتى بنو جذيمة الى حذيفة فقالوا قد قتلتم لنا كما قتلنا لكم فردُّوا علينا الدية فاشار سنان بن ابي حارثة المزني على حذيفة ان لا يرد النتاج معها فقال حذيفة اردُّ الابل باعيانها ولا ارد اولادها معها فأبوا ان يقبلوا ذلك فقال قيس بن زهير

يودُّ سنانٌ لو يحارب قومنـــا وفي الحرب تفريق الجماعة والقتلُ
يدبُّ ولا يخفى ليفسد بيننــا دبيبًا كما دبّت الى جحرها النملُ
فيا آبنَي بغيض راجعا السلم تسلما ولا تشمتا الاعدآء يفترق الشملُ

وان سبيل الحرب وعرٌ مضلّةٌ   وان سبيل السلم آمنةٌ سهلُ

وكان الربيع بن زياد العبسي يومئذٍ مجاورًا بني فزارة لمشاحنةٍ جرت بينه وبين قيس بن زهير فلما قتلوا مالك بن زهير قال الربيع بئسما فعلتم يابني فزارة قبلتم الدية ورضيتم ثم عدوتم على ابن عمكم وصهركم وجاركم فقتلتموهُ وغدرتم بقومكم قالوا لولا انك جارٌ لنا لقتلناك فاخرج عنا ولك ثلثة ايامٍ فخرج الربيع واتّبعوهُ فلم يدركوهُ حتى لحق بقومهِ واتاهُ قيس بن زهير فصالحهُ ونزل معهُ ثم دسّ امةً لهُ يقال لها رعيّة الى الربيع تنظر ما يعمل فدخلت بين ابياتهِ واذا امرأةٌ قد عرضت لهُ فدفعها وقال لجاريتهِ اسقيني فلما شرب انشا يقول

منع الرقاد فما أُغمّض حارِ   من حادث النبَأ العظيم السارى

افبعد مقتل مالك بن زهيرٍ   ترجو النسآء عواقب الاطهارِ

ما ان ارى في قتلهِ لذوى النُهى   الا المطيَّ تشدُّ بالاكوارِ

ومساعرًا صَدِىَ الحديد عليهِم   فكانما تُطلَى الوجوه بقارِ

من كان مسرورًا بمقتل مالكِ   فليأتِ نسوتنا بصدر نهارِ

يجد النسآء حواسرًا يندبنهُ   يلطمن اوجههنَّ في الاسحارِ

قد كُنَّ يخبأْن الوجوه تستُّرًا   فالان حين بَدَونَ للنُظّارِ

يضربن حُرَّ وجوههنَّ على فتى   عفّ الشمايل طيّب الاخبارِ

فاتت رعيّة قيسًا فاخبرتهُ خبر الربيع فقال انتِ حرّةٌ فاعتقها وقال قد وثقت بابي المنصور ثم انشا يقول

فان تكُ حربكم امست عوانًا فانى لم اكن ممّن جناهــا
ولكن ولْدُ سودة أرّثوهـــا وحثّوا نارها لمن اصطلاهـــا
وانى غير خاذلكم ولكن سأسعى الان اذ بلغت مداها

ثم قاد قيس بنى عبس وحلفآءهم بنى عبد الله بن غطفان الى بنى فزارة ورئيسهم اذ ذاك حذيفة بن بدر فالتقوا بذى المُرَيقِب وانتشب بينهم القتال فقتل ارطاة احد بنى عبس مالك بن عوف بن بدر وقتل عنترة بن شداد ضمضمًا ونفرًا ممن لا تعرف اسمآؤهم وفى ذلك يقول عنترة

ولقد خشيت بان اموت ولم يكن للحرب دايرةٌ على ٱبنـــى ضمضم
الشاتمَى عرضى ولم اشتمهمـــا والنادرين اذا لم ٱلقَهُما دمـــى
ان يفعلا فلقد تركت اباهمـــا جزر السباع وكل نسر قشعـــمِ

وقـــــال

ولقد علمت اذ التقت فرساننا بلِوَى المُرَيقِب ان ظنّك احمقُ

ثم ان بنى ذبيان تجمعوا لما اصاب منهم بنو عبس من اصابوا فغزوا بنى عبس ورئيسهم حذيفة بن بدر ورئس بنى عبس وحلفآيهم الربيع بن زياد فالتقوا بذى حسى وهو واد فى اعلاة الهباة فانهزمت بنو عبس وتبعهم بنو ذبيان حتى لحقوهم بالفيقة فاشار قيس على الربيع بن زياد ان يباكرهم وخاف الربيع ان قاتلوهم ان لا يقوموا لهم فقال انهم لا يجتمعون كل حين هذا الاجتماع فأرى ان نعطيهم رهاين من ابنآينا فندفع حدّهم عنا الآن وهم لا يقتلون الصبيان

ولا يصلون الى ذلك وان تقتلوهم فهو ايسر من قتل الآبآء فانصاغ قيس الى رايهِ وقال يابنى ذبيان خذوا منا رهاين ما تطلبون الى ان تنظروا فيما بيننا ولا تعجلوا الى الحرب فليس كل كثيرٍ غالبًا وضعوا الرهاين عند من نتراضى عليهِ فقبلوا ذلك وتراضوا ان تكون الرهاين عند سُبَيع بن عمرو التغلبى فدفعوا اليهِ عدةً من صبيانهم وكفَّ الفريقان عن القتال فمكثت الصبيان عند سبيع حتى حضرته الوفاة فقال لابنهِ مالك ان عندك مكرمةً لا تبيد ان احتفظت بهولآء الغلمان واخشى اذا متُّ ان ياتيك خالك حذيفة فيخدعك عنهم حتى تدفعهم اليهِ فيقتلهم ويغشاك عارهم الى الابد فلما توفى سبيع اتى حذيفة الى ابنهِ مالك وقال انا خالك واكبر منك سنًّا فادفع اليَّ هولآء الصبيان يكونون عندى الى ان ننظر فى امرنا ولم يزل بهِ حتى دفعهم اليهِ فلما صاروا عنده اتى بهم الى اليعمرية وهى وادٍ هناك واحصر اهل القتلى من فزارة وجعل يُبرِز كل غلامٍ منهم فيصبه غرضا ويقول لهُ نادِ اباك فينادى اباهُ فيرميهِ بالسهام حتى يحرقهُ فان مات من يومه داك والا تركه الى الغد ثم عاد يرميهِ حتى يموت وبلغ دلك بنى عبس فاتوهم باليعمرّية وقتلوا منهم اثنى عشر رجلا منهم عركى بن عميرة الذى اشار على حذيفة باسترداد السبق من قيس بن زهير ومالك بن سبيع الذى سلَّم الغلمان الى حذيفة واخوه يزيد بن سبيع وفى ذلك يقول عنترة

سائل حذيفة حين اضرم بيننا   حربا ذوائبها بموت تخفقُ

واسأل عُمَيرة حين اجلت خيلها منصاغرين باىّ حيٍّ تلحق

ثم انهم تجمَّعوا فالتقوا الى جانب الهبآة فى يوم شديد القيظ فاقتتلوا
حتى انتصف النهار وحجز بينهم الحر وكان حذيفة ناعم البدن يحرق
الركوب فخذيهِ فلما تحاجزوا اقبل حذيفة واصحابهُ الى جفر الهبآة
وهو مُستنقَع مآء هناك يريدون ان يتبردوا بهِ فقال قيس لاصحابهِ
ان حذيفة رجلٌ يحرق فخذيهِ ركوب الخيل وانهُ الان فى جفر الهبآة
هو واخوته فانهضوا اليهم فنهضوا حتى اقبلوا على المكان ونظر حصن
بن حذيفة الى الخيل فانحدر فى الجفر واذا قيس واصحابهُ قد وقفوا
على شفير الجفر وقيس يقول لُبَّيكم لُبَّيكم يعنى ندآء الصبيان حين
كانوا يامرونهم ان ينادوا ابآءهم باليعمرية وكان فى الجفر حُذَيفة
ومالك وحَمَل ابنآء بدر فقال حمل نشدتك الرحم ياقيس فقال لُبَّيك
لُبَّيك وقال حذيفة بنو مالك بمالك وبنو حمل بالصبيان ونردُّ السبق
فقال قيس لُبَّيكم لبيكم قال حذيفة والله لئن قتلتنى لا تصطلح
غطفان ابدًا قال قيس قتلك خيرٌ لغطفان سيربع على قدرهِ كلُّ
سيّدٍ ظلوم وجآء قرواش بن هانئ من حلف حذيفة فقال لهُ بعض
اصحابهِ احذر قرواشًا قال خلّوا بين قرواشٍ وظهرى وكان حذيفة قد
ربّاهُ فظن انهُ سيشكر لهُ فرماهُ قرواش بحربةٍ كانت فى يدهِ فقصم بها
صلبهُ وابتدرهُ الحرث بن زهير وعمرو بن الاسلع فضرباهُ بسيفيهما
حتى قطّعاهُ وكان مع حذيفة سيفهُ ذو النون ويقال انهُ كان سيف
مالك بن زهير اخذهُ حذيفة يوم قتل مالك فاخذهُ الحرث بن

زهير ورمى جندب بن زيد العبسي مالك بن بدر بسهمٍ فقتلهُ
وقتل مالك بن الاسلع الحرث بن عوف بن بدر وقتل الربيع بن
زياد حَمَل بن بدر فقال قيس يرثيهِ

تعلَّمْ ان خير الناس طرًّا على جفر الهبآءة ما يريمْ
ولولا ظلمهُ ما زلت ابكي عليهِ الدهر ما طلع النجومْ
ولكنَّ الفتى حمل بن بدر بَغَى والبغي مرتعهُ وخيمْ
اظنُّ الحلم دل عليهِ قومي وقد يستجهل الرجل الحليمْ
الاقى من رجالٍ منكرات فانكرها ولست انا الظلومْ
ومارست الرجال ومارسوني فمعوجٌّ عليَّ ومستقيمْ

وقال زبان بن زياد العبسي يذكر حذيفة وكان حاسدًا لهُ

وان قتيلا بالهبآءة في آستهِ صحيفتهُ ان عاد للظلم ظالمُ
متى تقرأوها تهدكم من ضلالكم وتُعرَف اذا ما فُضَّ عنها الخواتمُ
فان تسألوا عنها فوارس داحس ينبّيك عنها من رواحة عالمُ

وقالت بنت مالك بن بدر الذي قتلهُ الجُنَيدِب وكان قد نذر ان
يقتل بابنهِ رجلا من بني بدر فاحلَّ نذرهُ بقتلهِ

اذا هتفت بالرقمتين حمامةٌ او الراس فابكي فارس الكتفانِ
احلّ به امس الجُنَيدِب نذرهُ وايَّ قتيلٍ كان في غَطَفانِ

ولما اصبح القوم يوم الهبآة استعظمت غطفان قتل حذيفة وكبر
ذلك عندهم فتجمعوا وعرف بنو عبس ان لا مقام لهم بارض غطفان
فخرجوا الى نحو اليمامه يطلبون اخونهم فنزلوا على قتادة بن مسلمة

ثم حدثت مغاضبة بينهُ وبين قيس بن زهير فارتحلوا حتى نزلوا فى هَجَر ببنى سعد بن زيد مناة بن تميم فمكثوا عندهم حينًا من الدهر ثم ان بنى سعد تقدموا الى الجون ملك هجر فقالوا هل لك فى مهرة شوهآ وناقةٍ حمرآ وفتاةٍ عذرآ قال نعم فما ذلك قالوا بنو عبس نغير عليهم مع جندك وتسهم لنا من غنايمك فاجابهم وكان فى بنى عبس امراةٌ من بنى سعد فاتى اهلها ليضمُّوها اليهم واخبروها الخبر فانذرت بهِ زوجها فاتى قيسًا فاخبره فاجمعوا ان يرتحلوا بالظعاين وما قوى من الاموال من اول الليل ويتركوا النار فى البرية فلا يُنكَر عليهم وتقدَّم الفرسان الى الفروق فوقفوا دون الظعن بين الفَرْوق وسوق هَجَر على نصف يوم فلما شعر القوم بارتحالهم اغاروا مع جنود الملك فى وجه الصبح فوجدوا المنزل خلآء فتبعوا القوم حتى انتهوا الى الخيل بالفروق فقاتلوهم ولم ينتصفوا منهم فمضوا حتى لحقوا بالظعن وساروا ثلثة ايامٍ بلياليها حتى قالت ابنة قيس بن زهير لابيها ياابتاه هل تسير الارض فعلم انهُ قد بلغ منها الجهد فقال انيخوا فاناخوا ثم ارتحلوا وفى ذلك يقول عنترة

ونحن منعنا بالفروق نسآءنا نصرّف عنها مشعلات عواشيا
حلفت لها والخيل تُدمَى نحورها نفارقكم حتى يهزّوا العواليا
الم تعلموا ان الاسنّة احرزت بقيّتنا لو ان للدهر باقيا
ونحفظ عورات النسآء ونتّقى عليهنّ ان يلقَين يومًا مخازيا

فمضى القوم حتى نزلوا ببنى عامر ثم اتوا ربيعة بن قرط احد بنى

بكر بن كلاب فحالفوه واقاموا هناك ما شآء الله وفى ذلك يقول قيس بن زهيـــر

احاول ما احاول ثـم آوِى الى جارٍ كجار ابـــى دُؤادِ
منيعٌ وسط عكرمة بن قيسٍ وهوبٌ للطريـــف وللتلادِ
كفانى ما خشيت ابو هلالٍ ربيعة فانتهيت عن الاعادى
تظلُّ جيادهُ يسرين حولى بذات الرمث كالحدَأ الغوادى

ثم ان بنى ذبيان غزوا بنى عامر وعندهم بنو عبس فاسر طلحة بن سنان الفزارى قرواش بن هانى العبسى فاستنسبه فكنى عن نفسهِ وقال انا ابو ثور بن عاصم الكلابى فخرج بهِ طلحة الى اهلهِ فلما انتهى الى ادنى البيوت عرفتهُ امرأةٌ من بنى اشجع امُّها عبسية كانت تحت رجلٍ من فزارة فقالت لزوجها انى ارى ابا شريح قال ومن ابو شريح قالت قرواش بن هانى ابو الاضياف مع طلحة بن سنان قال ومن اين تعرفينهُ قالت يتمت انا وهو من ابوينا فربَّانا حذيفة فى ايتام غطفان فخرج زوجها حتى اتى خزيم بن سنان فقال اخبرتنى امراتى ان اسير اخيك طلحة قرواش بن هانى العبسىّ فاتى خزيم اخاهُ طلحة فاخبرهُ فاتى طلحة بالمرأة وقال ما اعلمك انهُ قرواش قالت هو هو وبهِ شامةٌ فى موضع كذا فافتقدوه فاحضروا الرجل ونظروا اليهِ فاذا الشامة كما ذكرت فقال قرواش من عرفنى قالوا علانة الاشجعيَّة بنت علانة العبسيَّة قال رُبَّ شرٍّ حملتهُ عبسيَّةٌ فذهبت مثلا ودفع قرواش الى حصن فقتلهُ واقامت بنو عبس فى بنى عامر

حتى قُتِل اسيرٌ منهم عند بني ذبيان فقاموا يطلبون الدية من بنى عبس فقال قيس ان يدى مع ايديكم على بنى ذبيان وانتم تعلمون ما بيننا وبين القوم فقال اخوهُ واللهِ لو قتلتهُ الربيع لوجبت عليكم الدية فقال قيس لقومهِ اعطوهم الدية والحقوا بقومكم فالموت في غطفان خيرٌ من الحيوة في بني عامرٍ وقال

لحى الله قومًا اضرموا الحرب بيننا سقونا بها مرًّا من الماء آجنا
فهلَّا بني ذبيان امُّك ثاكلٌ رهنت نفيف الريح ان كنت راهنا

وخرجت بنو عبس حتى نزلت بالحرث بن عوف بن ابي حارثة الذبياني وكان حينئذٍ عند حصن بن حذيفة فلما جآء بعد ساعة من الليل قيل لهُ هولآء اضيافك ينتظرونك قال بل انا ضيفهم فحيَّاهم وهشَّ اليهم وقال مَن القوم قالوا اخوانكم بنو عبس وذكروا ما لقوا من البلآء واعترفوا بالذنب فقال حبًا وكرامةً انا اكلّم لكم حصن بن حذيفة وهو سيّدٌ حليم فرجع اليهِ وقال طرقتك في حاجةٍ يااباا قُبَيس قال أُعطِيتَها فما هي قال وجدت وفود بنى عبس في منزلى قال صالحوا قومكم كما شئتم فتصالحوا على حمالة وكان اول من سعى في الحمالة حرملة بن الاشعر فمات فسعى فيها ابنه هاشم بن حرملة الذى يقول فيهِ الشاعر

احيى اباهُ هاشم بن حرملة يوم الهباتين ويوم اليعملة
ترى الملوك حولهُ مُغربَلة يقتل ذا الذنب ومن لا ذنبَ لهُ

ولما حُمِلَت الحمالة وتراضي القوم احتمعت عبس وذبيان بقطن وهو

موضعٌ من الشَرَبَّة فخرج حُصَين بن ضمضم على فرسهِ فقال الربيع بن زياد ليس لى عهدٌ بحُصَين بن ضمضم منذ عشرين سنة وانى لاحسبهُ هذا ثم يابيحان فادنُ منهُ وكلّمهُ فان فى لسانهِ حُبسةً فقام فكلّمهُ فجعل حُصَين يدنو منهُ ولا يكلّمهُ حتى اذا امكنهُ جال فى متن فرسهِ ووثب اليهِ فادركهُ قبل ان ياتى قومه وقتلهُ بابيهِ ضمضم الذى قتله عنترة فهاجت عبس وحلفآوها وتناهض الحيَّان ونادى الربيع بن زياد من يبارز فقال سنان بن ابى حارثة ادعوا الىَّ ابنى فاتاهُ ابنهُ هَرِم بن سنان فقال لا فاتاهُ ابنهُ خارجة قال لا وكان ابنه يزيد يحزم فرسه فاتاه وبرز للربيع بن زياد فدخلت بينهم الناس واتى خارجة بن سنان بابنهِ الى ابى بيحان فدفعه اليهِ وقال هذا وفآء من ابنك قال اللهمَّ نعَم فكان عنده اياما ثم حمل خارجة لابى بيحان مايتى بعيرٍ فدآء ابنهِ وتولَّى الصلح بينهم عوف ومعقل ابنا سُبَيع بن عمرو من بنى ثعلبة فاصطلحوا وتعاقدوا فقال عوف بن خارجة بن سنان اما اذ سبقنى هذان الشيخان الى الحمالة فهلم الى الظلّ والطعام فنصب الخيام ونحروا طعم وصدر القوم على الصلح بعد ما امتدت الحرب بينهم سنين كثيرة وكان ابتدآوها سنة خمساية وثمان وستين للمسيح

انتهى

حرب ذي قار بين العرب والعجم

كان السبب في ذلك ان رجلاً من اهل الحيرة يقال لهُ عَدِيّ بن زيد العبّاديّ وهو من ولد زيد مناة بن تميم كان شاعرًا اديبًا يتكلم بالفارسية ويكتب بها فاتصل بخدمة ابرويز كسرى وكان ترجمانًا بينهُ وبين العرب فكان يقيم بباب كسرى تسعة اشهر ويأتى اهلهُ بالحيرة فيقيم عندهم ثلثة اشهرٍ وهو الذى اشار على كسرى بتولية النعمان امر العراق فكان فى اعلى منزلةٍ عندهُ يكرمهُ اذا حضر ويثنى عليهِ اذا غاب وكان بين عدى بن زيد ورجلٍ من بنى نفيلة يقال لهُ عدىّ بن اوس عداوةٌ قديمة وكان عدى بن اوس صاحب مكرٍ ودهآءٍ فكان اذا خلا بالنعمان يرمي عدىّ بن زيد بما يوغر صدرهُ عليهِ ثم كتب كتابًا عن لسان عدى بن زيد الى كسرى ينتقص النعمان فيه ويذكر معايبهُ ودسَّ الكتاب الى من يوصله الى النعمان فلما قرأهُ النعمان غضب على عدىّ بن زيد واضمر لهُ السوءَ فى نفسهِ وكان عدىٌّ يومئذٍ فى اهلهِ فامر النعمان بحبسه فكتب عدى الى النعمان يقول

ابا منذرٍ كافيت بالود سخطةً ... فماذا جزآء المجرم المتبغّضِ

فان جزآء الخير منك كرامةٌ ... ولست لنصحٍ فيك بالمتعرّضِ

فلم يحفل النعمان بكلامه وتمادى على حبسه وفى ذلك يقول

ان للدهر صولةً فاحذرنها لا تنامنّ قد امنت الدهورا
قد يبيت الفتى صحيحًا فيُردَى بعد ما كان آمنـًا مسرورا
انما الدهـر ليّنٌ ونطوحٌ يترك العظم واهيـًا مكسورا
فسل الناس ايـن آل قُبَيسٍ طحطح الدهر قبلهم سابُورا
خطفتـه منيـةٌ فتردّى وهو فى الملك يأمل التعميرا
وبنو الاصفر الملوك كذا لم يترك الدهر منهمُ مذكورا

وكان لعديّ اخٌ يقال لهُ أُبَيٌّ وكان يخلفهُ عند كسرى اذا غاب وكان يومئذ بباب كسرى فى المداين فكتب اليهِ عديٌّ يقول

يحنُّ اليـك شقيق الفُؤا د يكاد لبعدك ان يخترم
لدى ملكٍ موثقٍ بالحديد اما لحقّ واما ظُلـم
فلا تُلفَيَنَّ كثير الرقاد بل احزم برايك لى واعتزم

فلما وصلت رسالة عديّ الى اخيهِ دخل اخوهُ على كسرى فاخبرهُ بما كان من النعمان فعصب كسرى على النعمان وكتب اليهِ مع رجلٍ من مرازبتهِ يامرهُ باطلاق عديّ فى الحال فاقبل الرسول الى الحيرة وبدا بعديّ فدخل عليهِ فى محبسهِ واخبرهُ بما قَدُمَ بهِ فقال عديٌّ انك ان خرجت من عندى اخاف ان يدسَّ اليَّ النعمان من يقتلنى قال ذلك لا يكون ولا بُدَّ لى من الدخول عليه لابلاغ الكتاب وعلم النعمان بقدوم رسول كسرى اليهِ فى امر عديّ فعلم انهُ ان اطلقـهُ فصار الى كسرى افسد عليهِ امرهُ فلما خرج الرسول من عند عديّ ارسل النعمان ثلثة نفر وامرهم ان باخذوا نفس عديّ فى السجن ففعلوا

قبل ان يدخل الرسول على النعمان ثم دخل عليهِ الرسول بكتاب الملك فلما قراهُ قال للرسول انطلق اليهِ فاخرجهُ فان حبسي لهُ كان مداعبةً على سبيل المزاح فذهب الرسول الى السجن فوجدهُ ميتًا فرجع الى النعمان وقال ما قتلهُ غيرك واني لَمُخبِرٌ كسرى بذلك فاعطاهُ النعمان الف دينارٍ وسأَلهُ ان يُجمل امرهُ عند كسرى ويخبرهُ ان عديًّا مات حتف انفهِ فانصرف الرسول وفعل كذلك ولما قُتِل عديٌّ خاف ابنهُ زيد على نفسهِ فخرج من الحيرة هاربًا الى المداين حتى دخل على كسرى واخبرهُ بخبر ابيهِ فقرَّبهُ كسرى واحسن اليهِ واقامه مكان ابيهِ وكان يعرف الفارسية عن ابيهِ فجعلهُ ترجمان العرب مكانهُ وكان لملوك العجم اصطلاحٌ على صفاتٍ معلومة للنسآء التي يختارونها لانفسهم فاذا ارادوا امراةً ارسلوا من يعتمدونهُ بتلك الصفات لياتي بمن وجدهُ عليها من النسآء وان كسرى عند قدوم زيد بن عدى اراد ان يرسل خصيًا لهُ في اختيار جوارٍ لفراشه فقال لهُ زيد ان لعبدك النعمان بن المنذر ابنةً تُسمَّى حريقة واختًا تُسمَّى سعدى وابنة عمّ تسمى لباب وكلهنّ على وفق الصفة التي يريدها الملك قال كسرى فاكتب كتابًا مني الى النعمان ان يبعث لي بهنّ ان كُنَّ على ما ذكرت فكتب زيدٌ الكتاب وامر كسرى ذلك الخادم ان يقصد في ذلك الى النعمان فقال زيد ان رايت ايها الملك فابعث بي معهُ ترجمانا بينهُ وبين النعمان قال نعم فانطلق ان شئت فخرجا جميعًا حتى قدما الحيرة فدخلا على النعمان ودفعا اليه

الكتاب فانكر النعمان ذلك وشقّ عليهِ لان العرب لا يختلطون بالعجم وجعل زيد بن عدى يحرّف الترجمة بين النعمان والخصىّ حتى خرج الخصىُّ مغضبًا وانصرف الى المداين وزيد معه حتى دخلا على كسرى واخبرهُ الخصىُّ بما كان من كلام النعمان وقال لهُ ياسيدى ان الكلب الذى بعثت اليهِ قد سمن فتعدى طورهُ فوقع ذلك فى قلب كسرى واستشاط منهُ غضبًا ودعا اياس بن قبيصة الطآءى واقامهُ على اربعة الاف فارس من طى وبهرآء والعباد واياد وولّاهُ مكان النعمان وامرهُ ان يسير الى الحيرة ويبعث اليهِ النعمان مصفّدًا بالحديد وبلغ النعمان ذلك فاستودع اهلهُ وخيلهُ وسلاحهُ عند هانى بن مسعود بن ربيعة بن شيبان الذى يُعرَف بالمزدلف وخرج هاربًا من الحيرة حتى قدم على احيآء طىّ فاجتمع اليهِ عظمآوهم وقالوا ايها الرجل اننا لا نأمن ان يغزونا كسرى لاجلك فيوقع بنا ما لا نطيق دفعهُ وينال حاجتهُ منك على رغمنا فاخرج عنا غير مطرودٍ فخرج الى بنى عبس فكرهوا نزوله عليهم ولم يقبلوهُ فعزم على الانتقال من عندهم الى قبيلةٍ اخرى وكانت قد خرجت معه امراتهُ المتجردة التى كان يشبّب بها نابغة بنى ذبيان فقالت والله ان الموت خيرٌ مما انت فيه فاذهب الى كسرى واعتذر اليهِ فانهُ يصفح عنك فانصرف حتى اتى المداين فاستقبلهُ زيد بن عدىّ فقال له النعمان يا ابن الخنآء لئن بقيت لالحقنّك بابيك فقال زيدٌ اما والله لقد بنبت لك بيتًا لا تخرج منهُ ابدًا ثم دخل

على كسرى فقال ايها الملك ان زيد بن عديّ قد ترجم كلامي للخصيّ على التحريف وابلغهُ ما لم انطق بكلمة منهُ ودخل زيدٌ في اثرهِ فقال يا مولاي ان هذا العبد اذا جلس على سريرهِ ووضع التاج على راسهِ ودعا بشرابهِ وندمآيه لا يظنّ ان لك يدًا عليهِ فاوغر ذلك قلب كسرى على النعمان وامر بهِ فأُلقِي في بيت الافيال فوطئتهُ حتى مات وقيل بل امر بحبسهِ فمات في السجن وعلى ذلك قول شبيب بن عامر اللخميّ

تولّت ليالي آل منذر بعد ما ثووا بدمشقٍ اعصرًا وزمانــا
وكانوا يفيدون العفاة نوالهم وقد منحوا اهل الزمان امانــا
فعادهم في السجن كسرى ببغيهم وقلّدهم بعد العلوّ هوانـــا

ثم ان كسرى بعد ذلك كتب الى اياس يامرهُ ان يبعث اليهِ اولاد النعمان وتركته من الخيل والابل والسلاح فارسل اياس الى هاني بن مسعود يامرهُ بذلك فابى ان يسلّم شئًا من ذلك وقال

آلَيتُ ان لا أُسلِمَ الحلقَــه ولا سُعادَ واختها حَرِقَــه
حتى يظلّ الريش منجدلاً اوتكدم البيض من الدَرَقه

فكتب اياس الى كسرى يعلمهُ بذلك فآلَى على نفسهِ ان يستأصل بكر بن وايل وكتب الى اياس يامرهُ بالمسير اليهم في من معه من طيّ وبهرآء والعباد واياد وكتب ايضًا الى قيس بن مسعود الشيباني المعروف بذي الجدَّين وكان عاملا لهُ على بعض الاقطاع يامرهُ ان يمنع العرب من دخول السواد وان يسير بمن معهُ لنجدة اياس على

بكر بن وايل   ثم عقد كسرى لقايدٍ من قوّادهِ يسمى الهامرز على اثنى عشر الفًا من ابطال اساورتهِ وارسله الى اياس   ثم عقد لقايدٍ اخر يُسمّى هرمزد على اثنى عشر الفًا اخرى وامرهُ ان يقفوا اثر الهامرز حتى يقدم على اياس بن قبيصة   فسارت الجيوش الى بني بكر بن وايل وكانوا بمكانٍ يُعرَف بذى قار وهو على خمس مراحل من مدينة الرسول مما يلى طريق البصرة   واقبلت الجيوش حتى اناخت على بكر بن وايل واحاطت بهم فقالت حرقة بنت النعمان

تسربلنا الحديد غداة بُؤسٍ   لحربٍ بالدوائر قمطريرِ
وما تحت الحديد اشدُّ منهُ   من الاعداَء من غلل الصدورِ
كأنَّ الناس وافونا جميعًا   بذى قارٍ لتحليل النذورِ
محيّتنا المنيّة حين جاءت   ودارت كاسها بيد المديرِ

ثم ان عظماَء بكر بن وايل اجتمعوا الى المزدلف الشيبانى وقالوا ان هذا الجيش قد احدق بنا من كل جانبٍ فما ترى   قال ارى ان تجعلوا حصونكم سيوفكم ورماحكم وتوطّنوا انفسكم على الموت   قالوا نعم والله ليس لنا الا ذلك فاما ان ندفع عن احسابنا او نموت كرامًا ثم ان قيس بن مسعود الشيبانى اقبل فى سواد الليل من عسكر اياس بن قبيصة حتى وقف على هانى ابن عمهِ فقال يا ابن العم انهُ قد حلّ بكم من الامر ما ترون فأرَى ان تفرّق خيل النعمان وسلاحهُ على اشدّاء قومك ليستعينوا بذلك على القتال فان سلموا امرتهم بردّوا ما احذوهُ عليك والا فهو ماخوذٌ لا محالة   وعليكم

بالصبر واياكم ان تخفروا ذمة النعمان حتى تموتوا فى الحرب فتكون لكم المعذرة بين الناس   قال قد اوصيت سميعًا وارجو ان لا ترى منا قصورًا فى ذلك ولا فتورًا   فانصرف ذو الجدين باكيًا حزينًا مخافة ان ينكر عليهِ كسرى فيقتلهُ   ولما اصبح المزدلف دعا بخيل النعمان وسلاحهِ ففرّقها على ابطال قومهِ فركبوا تلك الخيول وكانت ستماية فرسٍ ولبسوا تلك الدروع وهى ستماية ايضًا واستلموا تلك الرماح والسيوف فكانت عددًا كثيرًا   وقطع سبعماية رجلٍ منهم اكمام اقبيتهم من لدن مناكبهم لتخفَّ ايديهم على ضرب السيوف وعمد رجلٌ من اشراف بنى عجل يقال له حنظلة بن يسار الى حُزم رحال النسآء فقطعها يريد بذلك ان يمنع القوم من الهرب اذا كانت الدايرة عليهم فسُمِّى مقطّع الوضين   وارسل اياس الى بكر بن وايل يخيّرهم احدى ثلث خصالٍ ان يسلّموا تركة النعمان واهله فيسلموا   او يسيروا ليلاً فى البرارى فيعتلّ لكسرى انهم هربوا او يبرزوا للحرب   وكان اياس لا يريد قتالهم وانما اضطرّ اليه بامر الملك   فتوامروا بينهم وقالوا اما ان نسلّم خفارتنا فلا يكون ذلك ابدًا   واما ان نسير فى البرارى فذلك اضرُّ علينا من الحرب   فليس لنا الا المقام والثبات لقتال الاعجام   ثم اختاروا من ابطالهم خمسماية فارسٍ واقاموا عليهم زيد بن حماد اليشكرى وامروهم ان يسيروا فيكمنوا للعجم واصحاب اياس فى بعض مكامن الطريق   فساروا وكمنوا لهم بمكان يقال لهُ الحرثم   ثم زحف الفريقان وعلى ميمنة

بكر بن وايل حنظلة بن يسار العجلي وعلى ميسرتهم بشر بن شريك وسار المزدلف في القلب بابطال بني شيبان وعلى ميمنة عسكر اياس الهامرز وعلى ميسرته هرمزد واياس في القلب بمن معهُ من العرب ولما التقى الجيش بالجيش حمل بعضهم على بعضٍ وتقدم بشر بن شريك امام اصحابهِ وهو يرتجز ويقول

قد جدَّ اعدآؤكم فجدُّوا ما علّتي وانا صلبٌ جلدُ
والقوس فيها وترٌ عِردٌّ مثل ذراع البكر او اشدُّ
قد جعلت اخبار قومي تبدو ان المنايا ليس منها بدُّ

وتقدم الهامرز حتى وقف بين الصفين ونادى بالفارسية مَرْدَ مَرْدَ فقال زيد بن حماد اليشكري ما يقول هذا قيل يدعو الى البراز رجلاً لرجلٍ قال وابيكم لقد انصف وخرج اليهِ فاختلفت بينهما ضربتان وكان السابق بالضرب زيد بن حماد فوقعت الضربة على منكب الهامرز فقطعت درعهُ ولباسهُ حتى افضت الى منكبهِ فابانتهُ فسقط ميتًا وكان هذا اول قتيل قُتِل بين الصفَّين فتباشرت بكر بن وايل بذلك ورجوا ان يكون آية النصر ثم اشتعلت نار الحرب بينهم وصبرت بكر بن وايل صبرًا صادقًا وانتشب القتال بين الصفَّين اشدَّ ما يكون وتمادَوا على ذلك حتى هجم حرُّ الظهيرة فعطشت العجم عطشًا شديدًا وضعفت عن الكفاح فمالت الى جبٍّ هناك بين الخوس وذي قار فلم تجد مآء وحال بينهم الليل فبات كل فريقٍ في مكانه وجاءت روايا المآء الى العجم فشربوا تلك الليلة ولما

اصبحوا ارسلت طي وبهرآء والعباد واياد وبقية العرب من اصحاب اياس الى بكر بن وايل يقولون لهم ان ظفرتم فذلك احبُّ الينا من ظفر العجم فنحن نعتزل الحرب فلا يكون لنا ولا علينا او ننهزم اذا التحم القتال بينكم فقالت بكر بن وايل بل تنهزمون عند ذلك وتخلّون بيننا وبينهم ولما تضاحى النهار زحف الفريقان على بعضهم فالتقوا واقتتلوا اشدَّ القتال حتى توسَّط النهار فنفد ما كان مع العجم من المآء واصابهم الحرُّ والعطش وكانت العرب لا تبالى بذلك لاعتيادها عليهِ وخرج كمين العرب زيد بن حماد واصحابهُ من ورآء العجم والهبوهم بالسيوف والرماح فوقع الرعب فى قلوبهم واجفلوا هاربين واتَّبعهم سرهان بكر بن وايل فقتلوا منهم عددًا كثيرًا ولحق حنظلة بن يسار العجلىّ بهرمزد قايد العجم وكان على ميسرتهم فادركهُ بطعنةٍ سقط منها ميتًا ودفع المزدلف فرسهُ فى طلب اياس بن قبيصة حتى ادركهُ ومعهُ قيس بن مسعود فاراد قتلهُ فمنعهُ قيس وحال بينهما فنجا واتَّبع العجم خمسماية فارسٍ من بنى شيبان وبنى عجل وجعلوا يقتلون من ادركوا منهم ولا يلتفتون الى سَلب ولا غنيمةٍ حتى جَنَّهم الليل وبلغت اخبارهم كسرى فغضب من ذلك غضبًا شديدًا ووقعت الزلزلة والعويل فى المداين وكان ذلك سنة ستماية واحدى عشرة للمسيح وهو اول يومٍ انتصفت فيهِ العرب من العجم وتطاولت اعناق العرب فى ذلك اليوم وهو من اعظم ايامهم واكثرت شعرآوهم من ذكره قال عمرو بن ثعلبة

يا يوم ذى قارٍ سُقِيتَ من الحيا   غيثًا يغسّل من دم الحيّين
عمرى لقد عطفت علينا تغلبٌ   وشهابها اللمّاع ذو الرمحين
فانجابت الظلماء بابن نُوَيرةٍ   وتجلّت الغمّاء عن ظَفَرين
وظليم لا انسى هناك مقامهُ   وجدابةٌ ومُعَمر بن قُرَين
تلك الفوارس ليس يجحد فضلها   الا ذميم العرض والأَبَوين
هم وازرونا بالصوارم والقنا   وصلوا لهيب النار فى الصَدَفين

وقال ظليم بن الحرث بن حلّزة اليشكرى

اهاجك طيفٌ زار من ام تغلب   ففاض بدمع الواله المتصبّبِ
وما زلت عصرًا فى حبايل زينبٍ   الى ان كسانى الدهر حلّة أَشيبِ
واقصرت عن وصل الحسان مُوَلّيًا   الى صَهَواتٍ من سوابق شُزَّبِ
الى كل صنديدٍ يسابق ظلّهُ   وكل رقيق الشفرتين مشطَّبِ
اغادر أُسد الحرب صَرْعَى بعاملٍ   وابيض قطّاع بكف مرسّب
الى ان لقيت العُجَم والقوم سادةٌ   وفتيان بكرٍ كالسعير الملّهبِ
فلله قومٌ تغلبيون شمّروا   لقد ذهبوا فى يوم ذى قار مذهبى

وقال نُكَير بن الاصمّ

هم يوم ذى قار وقد حمس الوغى   خلطوا لهامًا جحفلاً بلهامِ
ضربوا بنى الاحرار يوم لَقُوهُمْ   بالمشرقىّ على صميم الهامِ

وهى قصايد طويلة اقتصرنا منها على هذه الابيات التى ذكرناها لجريانها على الاسلوب المألوف كما اقتصرنا من وقايع العرب

على هذه الوقايع التى شرحناها لشهرتها وصحة الرواية فيها عن المورخين الذين تداولوها والله اعلم

فصل

فى ذكر طرفٍ من اخبار فصحآء العرب المشاهير

قيل ان اشعر الناس من اهل الوبر امرؤ القيس بن حجر الكندىّ وزُهَير بن ابى سُلَمى المُزَنىّ والنابغة الذبيانىّ وعنترة بن شداد العبسىّ ثم لبيد بن ربيعة العامرىّ وطَرَفة بن العبد البكرىّ والاعشى ميمون بن جندل الاسدىّ واجود الشعرآء قصيدةً واحدة طويلة ثلثة نفرٍ وهم عمرو بن كلثوم التغلبىّ والحرث بن حِلِّزة اليشكرىّ وطرفة بن العبد المذكور اولاً قيل ان الحرث بن حلّزة قال قصيدته التى مطلعها

اذنتنا ببينها اسمآء رُبّ ثاو يملُّ منه الثوآء

وهو يومئذ قد اتت عليه ماية وخمسٌ وثلثون من السنين ثم قدم بها على عمرو بن هند وانشده اياها وهو من ورآء سبعة ستور وهند تسمع فلما سمعتها هند قالت والله ما رايت مذ اليوم رجلا يقول مثل هذا الكلام وتُضرَب دونه سبعة استار فقال الملك ارفعوا سترًا فدنا الحرث وما زالت تقول كذلك ويُرفَع سترٌ فسترٌ حتى صار مع الملك فى مجلسه ثم اطعمه من جفنته وامرة ان لا ينشد قصيدته

الا متوضئًا وللعرب قصايد منتخبة شهيرة يعدّونها افضل الشعر
وهى سبعة اسابيع منها المعلّقات وهى التى يسمّونها بالسموط
ويقال لها السبع الطُوَل ايضًا واصحابها امرء القيس وزهير بن ابى
سُلَمى والاعشى ميمون ولبيد العامرى وعمرو بن كلثوم وطَرَفة بن
العبد وعنترة بن شداد وهى الطبقة الاولى ثم الجمهرات واصحابها
النابغة الذبيانى وعُبَيد بن الابرص وعَدِىّ بن زيد وبشر بن حازم
وأُمَيَّة بن ابى الصلت وخداش بن زهير والنمر بن تولب وهى
الطبقة الثانية ثم المنتقيات واصحابها المسيب بن علس والمرقش
بن جرير وعروة بن الورد والمهلهل بن ربيعة ودُرَيد بن الصِمَّة
والمنتخل بن عُوَيمر وهى الطبقة الثالثة ثم المذهبات واصحابها
حسّان بن ثابت وعبد الله بن رواحة ومالك بن العجلان وقيس بن
الحطيم وأُحَيحة بن الجلّاح وابو قيس بن الاسلب وعمرو بن امرء القيس
وهى الطبقة الرابعة ثم المراثى واصحابها ابو ذُؤَيب الهُذَلىّ ومحمد
بن كعب الغَنَوىّ والاعشى الباهلى وعلقمة المطموس وابو زبيد الطاءى
ومالك بن الريب النهشلى ومتمّم بن نُوَيرة التميمىّ وهى الطبقة
الخامسة ثم المشوبات واصحابها كعب بن زهير وتابعة بن جعدة
والقطامىّ والحطئة والشمّاخ بن ضرارة وعمرو بن احمد وتميم بن
مقبل وهى الطبقة السادسة ثم الملحمات واصحابها الفرزدق
التميمىّ وجرير الخَطَفىّ والاخطل التغلبىّ وعُبَيد الراعى وذو الرمّة
والكميت بن زيد والطرماح وهى الطبقة السابعة وهذه التسع

والاربعون قصيدة هى عيون اشعار العرب واصحابها فحول الشعرآء الذين مدحوا وذمّوا وذهبوا فى الشعر كل مذهبٍ واختلف الناس فى من قال الشعر ابتدآء فمنهم من قال عاد ومنهم من قال ثمود ومنهم من قال حِمْيَر ومنهم من قال ربيعة ومنهم من قال مُضَر واختلفوا فى تفاضل الشعرآء فقال قومٌ افضلهم امرء القيس وقيل زهير بن ابى سلمى وقيل عنترة بن شداد وقيل غير ذلك قيل وسُئل الاصمعىّ من اشعر العرب فقال عنترة اذا ركب وزهير اذا رغب والنابغة اذا طرب والاعشى اذا رهب وقال الذين يقدمون زهيرًا انهُ كان شاعرًا فصيحًا اديبًا لا يخالف بين الكلامين ولا يتبع وحشىّ الكلام ولا يمتدح رجلاً بغير ما فيه ومن شعره قوله يمدح سنان بن هرم وقومهُ بنى مُرّة

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ بآبآيهم او مجدهم قعدوا
قومٌ ابوهم سنانٌ حين تنسبهم طابوا وطاب من الاولاد ما ولدوا
جنٌّ اذا فزعوا انسٌ اذا امنوا ممّردون بهاليلٌ اذا جهدوا
لو يُعدَلون بوزنٍ او مكايلهِ مالوا برضوَى ولم يُعدَل بهم أُحُدُ
مُحَسَّدون على ما كان من شرفٍ لاينزع الله منهم ما بهِ حُسِدوا

وكانت وفاته سنة احدى وثلثين وستماية للمسيح وقال الذين يقدمون الاعشى انهُ كان زاهدًا ورعًا متواضعًا طلق الوجه حسن المجالسة وكان طيب الحديث رقيق الشعر سهل الالفاظ وكان امدح الشعرآء للملوك واوصفهم للنسآء واغزرهم شعرًا واحسنهم

انشادًا وكانت وفاته سنة تسع وعشرين وستماية للمسيح وقال الذين يقدمون لبيدًا انهُ كان شريفًا فى الجاهلية والاسلام شاعرًا فاضلاً مجيدًا وكان اعرب فصحآء العرب واقلّهم لغوًا فى شعرهِ وعاش عمرًا طويلاً حتى ادرك الاسلام وعلى ذلك قولهُ

ولقد سَئِمتُ من الحيوة وطولها وسُؤَال هذا الناس كيف لبيدُ

ومن شعرهِ قولـــــهُ

ذهب الذين يُعَاش فى اكنافهم وبقيت فى خلقٍ كجلد الاجربِ

لا ينفعون ولا يُرَجَّى خيرهم ويعاب قايلهم وان لم يشغبِ

وتوفى فى خلافة عثمان بن عفّان وقيل فى اول خلافة معوية بن ابى سفيان وقال الذين يقدمون عمرو بن كلثوم لله درّهُ لو انهُ رغب فيما رغب فيهِ اصحابهُ من كثرة الشعر ولكن واحدتهُ اجود من مايتهم وقيل ان قصيدة عمرو بن كلثوم كانت تزيد على الف بيتٍ لكنها فى ايدى الناس غير كاملة وانما فى ايديهم ما حفظوهُ منها وقال الذين يقدمون طرفة بن العبد هو اشعر العرب لانه بلغ فى حداثة سنّهِ ما بلغ القوم فى طول اعمارهم وذلك انهُ كان قد بلغ من العمر ما ينيف عن العشرين سنة قليلاً ثم اتّصل بملوك الحيرة فهجا عمرو بن هند بقولهِ

فيا عجبا من غى عمرٍو وبغيه لقد رام ظلمى عمرو هندٍ فانعما

ولا عيب فيهِ غير ان لهُ غنى وان لهُ كشحًا اذا قام اهضما

ولما بلغ قولهُ عمرا امر بقتله وهو اذ ذاك لم يبلغ من العمر خمسا

وعشرين سنة   وقال الذين يقدمون عنترة انهُ كان حسن الشيم شديد النخوة كريمًا مضيافًا وذلك قولهُ اني لا اهلك الا عن ثلثةٍ لاني من قومٍ يجيرون الصايح ويكرمون المادح ويطعمون الغادى والرايح وكانت امهُ امةً حبشية اسمها زبيبة سباها ابوهُ شداد في بعض الغزوات   فذلك قولهُ من ابياتٍ يقول في مطلعها

طال الثوآء على رسوم المنزلِ   بين الكليل وبين ذات الحومل

الى ان يقول

انى امرؤٌ من خير عبسٍ منصبًا   شطرى واحمى سائرى بالمنصل

واذا الكتيبة احجمت وتلاحظت   أُلفِيتُ خيرًا من مُعِمٍّ مُخْوِلِ

وكان عنترة فصيح الكلام رقيق الشعر سهل العبارة لا ياخذ مأخذ الجاهلية في ضخامة الالفاظ ونفورها ومن ذلك قولهُ

اذا ريح الصبا هبَّت اصيلا   شفت بهبوبها قلبًا عليلا

وجاءتنى تخبّر ان قومى   بمن اهواهُ قد جدُّوا الرحيلا

وما عنُّوا على من خلَّفوهُ   بوادى الرمل منطرحًا جديلا

يحنّ صبابةً ويهيم وجدًا   اليهم كلَّما ساقوا الحمولا

الا ياعبل ان خانوا عهودى   وكان ابوكِ لا يرعى الجميلا

حملت الضيم والهجران جهدى   على دهرى وخالفت العدولا

أَلِفتُ السقم حتى صار جسمى   اذا فقد الضنى امسى عليلا

وعادانى غراب البين حتى   كانى قد قتلتُ لهُ قتيلا

وقد غنى على الاغصان طيرٌ   بصوت حنينه [illegible]

بكى فاعرتهُ اجفان عينى   وناح فزاد اعوالى عويلا

فقلت له جرحت صميم قلبى   وابدى نوحك الداء الدخيلا
وما ابقيت فى جفنى دموعًا   ولا جسمًا اعيش بهِ نحيلا
ولا ابقى لى الهجران صبرًا   لكى القى المنازل والطلولا
ولو انى كشفت الدرع عنى   رايت وراءهُ رسمًا محيلا
أَلِفتُ نوايب الايام حتى   رايت كثيرها عندى قليلا

وكان بصيرًا باساليب الشعر وفنونهِ حسن التصرف فى المعانى ومن ذلك قوله من معلقتهِ

ولقد شربت من المدامة بعد ما   ركد الهواجر بالمَشُوف المُعلَمِ
بزجاجةٍ صفراء ذات أَسِرَّةٍ   قُرِنَت بأَزهَرَ فى الشمال مُفَدَّمِ
واذا شربت فاننى مستهلكٌ   مالى وعرضى وافرٌ لم يُكلَمِ
واذا صحوت فما اقصّر عن ندى   وكما علمت شمايلى وتكرُّمى

وقولهُ من ابيات

احبك ياظلومُ فانت عندى   مكان الروح من جسد الجبانِ
ولو انى اقول مكان روحى   خشيت عليك بادرة الطعانِ

ولهُ اليد الطولى فى الحماسة وهى اليق بهِ ومن ذلك قولهُ

فاعمل ان كان ظلُّ القسطل الحَلِكِ   اخفى عليك قتالى يوم مُعتَرَكى
فسائلى فرسى هل كنت اطلقهُ   الا على موكبٍ كالليل محتبكِ
وسائلى السيف عنى هل ضربت بهِ   يوم الكريهة الّا هامة الملكِ
وسائلى الرمح عنى هل طعنت بهِ   الا المُدَّرع بين النحر والحنكِ
اسقى الحسام واسقى الرمح نهلتهُ   وانبع القرن لا اخشى من الدَّرَكِ

لولا الذى ترهب الاملاك قدرتهٔ جعلت متن جوادى قبّة الفلك

وامثال ذلك فى شعرهِ كثيرةٌ لا تُحصَى وكانت وفاته سنة خمس عشرة وستماية للمسيح قيل ان عبد الملك بن مروان سأل يومًا عن اشجع العرب شعرًا فقيل عمرو بن معدى كرب الزبيدى فقال كيف وهو الذى يقول

وجاشت الىّ النفس اول مرّةٍ ورُدّت على مكروهها فاستقرّتِ

قالوا فعمرو بن الاطنابة قال كيف وهو الذى يقول

وقولى كلما جَشَأت وجاشت مكانك تحمدى او تستريحى

قالوا فعامر بن الطُفَيل قال كيف وهو الذى يقول

اقول لنفسٍ لا يُجَاد بمثلها أَقِلّى مزاحًا اننى غير مدبرِ

قالوا فمن اشجعهم عند امير المومنين قال اربعة عبّاس بن مرداس وقيس بن الحطيم وعنترة بن شداد ورجلٌ من مُزَينة اما عبّاسٌ فلقولهِ

اشد على الكتيبة لا ابالى أَفيها كان حتفى ام سواها

واما قيس فلقولهِ

وانى لدى الحرب العوان مُوَكَّلٌ بتقديم نفس لااريد بقاهـــا

واما عنترة فلقولهِ

اذا يتّقُون بىَ الاسنّة لم أَخِم عنها ولكنى تَضايقَ مقدمى

واما المُزَنىّ فلقولهِ

دعوت بنى قُحَافة فاستجابوا فقلتُ رِدُوا فقد طاب الورودا

ومن فصحآء العرب وشعرآيهم سُلَيك بن السَلَكة واسمهُ الحرث بن عمرو بن زيد مناة التميميّ وكانت العرب تسميهِ سُلَيك المقانب والسلكة امه وكانت سودآء واليها يُنسَب وكان انكد العرب واشعرهم وادلّ الناس في الارض واعداهم على رجلهِ لا تلحق بهِ الخيل ومن حديثهِ انهُ راتهُ طلايع جيشٍ لبكر بن وائل جآءوا متجردين ليغيروا على تميم فقالوا ان علم السُلَيك بنا انذر قومهُ فبعثوا اليهِ فارسين فلما هايجاهُ خرج يعدو كانه ظبيٌ فطارداهُ سحابة يومه ثم قالا اذا كان الليل اعيى فسقط فياخذانهِ فلما اصبحا وجدا اثرهُ وتحقّقا انهما لا يقدران ان يدركاهُ فانصرفا عنهُ فقدم السُلَيك على قومهِ فكذبوهُ فانشا يقول

يكذّبني العمران عمرو بن جندبٍ وعمرو بن سعدٍ والمكذّب اكذبُ
ثكلتهما ان لم اكن قد رايتها كراديس يهديها الى الحيّ موكبُ
كراديس فيها الحوفزان وتومهُ فوارس هُمَّامٌ متى يدعُ يركبوا
سعيت لعمرى سعى غير مقصّرٍ ولا عاجزٍ لو انني لا أُكذَّبُ

ولهُ في امراةٍ يقال لها فكهة من بني عوارة وهم بطنٌ من مالك بن صعصعة وكانت قد اجارتهُ من القتل

لعمر ابيك والانبآء تنمى لنعم الجار اخت بني عوارا
من الخفرات لم تفضح اباها ولم تدفع لاخوتها شنارا
كانّ مجامع الارداف منها نقًا دَرَجت عليهِ الريح هارا
يعاف وصال ذات البذل قلبي ويتّبع الممنّعة النوارا

وما عجزت فُكَيهة يوم قامت   بنصل السيف وانتضت الخمارا

ومات السُلَيك قتيلاً فى بعض الغارات قتلهُ انس بن مدرك الخثعميّ وكان ذلك سنة خمس وستماية للمسيح   ومن شعرآء العرب المشهورين فى الجاهلية عمرو بن معدى كرب الزبيديّ   وكان جوادًا شريفًا فى قومهِ مشهورًا بالشجاعة وشدة الباس وهو الذى تقول فيهِ بعض نسآء العرب

ايا ليت جارى لجار الحُصَين   وبعلىَ عمرو بن معدى كَرِب

ومن شعرهِ المشهور الذى يُتمثَّل بهِ قولهُ فى اختهِ ريحانة وقد سباها بعض العرب

امن ريحانة الداعى السميعُ   يُؤرّقنى واصحابى هُجُوعُ
سباها الصِمّة الحسبىُّ غصبا   كأَنّ بياض غُرّتها صديعُ
وحالت دونها فرسان قيسٍ   تُكَشّف عن سواعدها الدروعُ
اذا لم تَستطع شيا فدَعْهُ   وجاوزهُ الى ما تستطيعُ
وكيف تريد ان تُدعَى حكيمًا   وانت لكل ما تهوى تبوعُ

وكانت وفاتهُ سنة اثنتين واربعين وستماية للمسيح   ومن شعرآء العرب الذين سارت اشعارهم فى الآفاق السَمَوْأَل بن عاديآء الغسّانيّ واشهر شعرهِ قصيدتهُ اللامية التى يقول فيها

اذا المرء لم يدنس من اللّوم عرضهُ   فكلّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وان هو لم يحمل على النفس ضيمها   فليس الى حسن الثناء سبيلُ
تعيّرنا انّا قليلٌ عديدنا   فقلت لها ان الكرام قليلُ

وما قلَّ من كانت بقاياهُ مثلنا   شبابٌ تسامى للعُلَى وكهولُ
وما ضرَّنا انَّا قليـــلٌ وجارنـــا   عزيزٌ وجار الاكثرين ذليلُ
لنا جبل يحتلُّـــهُ من نجيرهُ   منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلُ
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما به   الى النجم فرعٌ لا يُنَال طويلُ
هو الابلق الفرد الذى شاع ذكرهُ   يعزُّ على من رامـــهُ ويطولُ
وانَّا لقومٌ لا نرى الموت سُبَّةً   اذا ما رأتهُ عامـــرٌ وسلولُ
يُقرّب حبُّ الموت آجالنا لنا   وتكرههُ آجالهـــم فتطولُ
وما مات منا سيّدٌ حتف انفهِ   ولا طُلَّ منا حيث كان قتيلُ
تسيل على حدّ الظبآء نفوسنا   وليس على غير الظبآء تسيلُ
صفونا فلم نكدر واخلص سرَّنا   اناثٌ اطابت حملنـــا وفحولُ
علونا الى خير الظهور وحطَّنا   لوقتٍ الى خير البطون نزول
فنحن كمآء المزن ما فى نصابنا   كهامٌ ولا فينـــا يُعَدُّ بخيلُ
وننكر ان شئنا على الناس قولهم   ولا ينكرون القول حين نقولُ
وما خمدت نارٌ لنا دون طارق   ولا ذمَّنا فى النازليـــن نزيلُ
وايامنا مشهورةٌ فى عدوّنـــــا   لها غُرَرٌ معلومـــــةٌ وحجولُ
واسيافنا فى كل شرق ومغربٍ   بها من قراع الدارعين فلولُ
معوَّدةٌ ان لا تُسَلَّ نصالهـــــا   فتُغمَد حتى يُستَباحَ قتيلُ
سلى ان جهلت الناس عنا وعنهمُ   فليس سوآء عالـــمٌ وجهولُ
فان بنى الريَّان قطبٌ لقومهم   تدور رحاهم حولـــهُ فتحولُ

والسموأل نضرب به المثل فى الوفآء . وكان من وفآيه ان امرء القيس

لما اراد الخروج الى قيصر استودعهُ دروعًا فلما مات امرؤ القيس غزاهُ ملك من ملوك الشام وكان من عشيرة امرئ القيس وطلب الدروع منهُ فابى ان يسلّمها وتحصّن منهُ فحاصرهُ ايامًا ثم ظفر بابنه خارج الحصن فصاح بالسموأل وقال هذا ابنك في يدي فان دفعت اليّ الدروع والا قتلتهُ قال لا سبيل الى ذلك فاصنع ما انت صانعٌ فقتلهُ وانصرف بالخيبة وفي ذلك يقول السموأل

وفيتُ بأدرُع الكنديّ انى اذا ما خان اقوامٌ وفيتُ
وقالوا انهُ كنزٌ رغيبٌ ولا والله اغدر ما مشيتُ
بَنى لى عاديا حصنًا حصينًا وبيرًا كلما شئتُ استقيتُ

واما المعلّقات فاولها معلقة امرئ القيس بن حجر الكنديّ قال

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ بسقط اللوى بين الدخول فحومل
فتوضِحَ فالمقراة لم يعفُ رسمها لما نسجتهُ من جنوب وشمأل
وقوفًا بها صحبى عليّ مطيّهمُ يقولون لا تهلك اسًى وتجمّل
وان شفآءى عبرة مُهَراقةٌ فهل عند رسم دارس من مُعوّل
كدأبك من امّ الحُوَيرث قبلها وجارتها ام الرباب بمأسل
اذا قامتا تضوّع المسك منهما نسيم الصبا جآءت بريّا القرنفل
كاني غداة البين يوم تحمّلوا لدى سَمُرات الحيّ ناقف حنظل
ففاضت دموع العين منى صبابة على النحر حتى بلّ دمعى محملى
الا رُبّ يوم صالح لك منهما ولاسيّما يومٌ بدارة جلجل
ويوم عقرتُ للعذارى مطيتى فيا عجبا من رحلها المتحمّل

فظلَّ العذارى يرتمين بلحمها   وشحمٍ كهدّاب الدِمَقْس المُفتَّلِ

ويوم دخلت الخدر خدرَ عُنَيزةٍ   فقالت لك الويلات انك مُرجِلى

تقول وقد مال الغبيط بنا معًا   عقرت بعيرى يا آمرَّ القيس فانزلِ

فقلتُ لها سيرى وارخى زمامهُ   ولا تبعدينى من جناك المعللِ

فمثلكِ حُبلَى قد طرقتُ ومرضعٍ   فالهيتها عن ذى تمايم مُحوِلِ

اذاما بكى من خلفها انصرفت لهُ   بشقٍّ وتحتى شِقُّها لم يُحَوَّلِ

ويومًا على ظهر الكثيب تعذَّرت   على وآلت حلفــةً لم تُحَلَّلِ

أَفاطِمَ مهلاَ بعضَ هذا التدللِ   وان كنتِ قد ازمعتِ صرمى فأَجملى

اغرَّكِ منى ان حبَّكِ قاتــلى   وانكِ مهما تامرى القلب يفعلِ

وان تكُ قد سأتك منى خليقةٌ   فسُلّى ثيابى من ثيابك تنسلِ

وما ذرفت عيناكِ الا لتضربى   بسهميكِ فى اعشار قلبٍ مقتَّلِ

وبيضة خِدرٍ لايرام خبآؤُهــا   تمتعت من لهوى بها غير معجلِ

تجاوزت احراسًا اليها ومعشرًا   علىَّ حراصًا لو يُسِرُّون مقتلى

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت   تعرُّضَ اثنآء الوشاح المفصَّلِ

فجئتُ وقد نضّت لنوم ثيابها   لدى الستر الآ لبسة المتفضَّل

فقالت يمين الله مالك حيلةٌ   وما ان ارى عنك الغواية تنجلى

خرجتُ بها امشى تجرُّ ورآءنا   على أثرَينا ذيل مرطٍ مرجّلِ

فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى   بنا بطن خبتٍ ذى حقافٍ عقنقل

هصرت بفودى راسها فتمايلت   علىّ هضيم الكشح ريّا المخلخل

مهفهفةٌ بيضآء غير مفاضــة   ترائبها مصقولةٌ كالسجنجل

كبكر المُقَاناة البياض بصفرةٍ   غزاها نمير الماء غير محلّلِ

تصدّ وتبدى عن اسيل وتتّقى   بناظرةٍ من وحش وجرة مطفلِ

وجيدٍ كجيد الريم ليسَ بفاحشٍ   اذا هى نَصَّتـــهُ ولا بمعطّل

وفرعٍ يزين المتن اسود فاحمٍ   اثيثٍ كقِنْوِ النخلة المتعثكلِ

غدائرهُ مستشزراتٌ الى العُلَى   تضلّ العقاص فى مثنّى ومرسلِ

وكشحٍ لطيفٍ كالجديل مخصَّرٍ   وساقٍ كانبوب السقىّ المذلّل

ويضحى فتيت المسك فوق فراشها   نؤومُ الضحى لم تنتطق عن تفضل

وتعطو برخصٍ غير شثنٍ كانهُ   اساريع ظبىٍ او مساويك اسحل

تضئُ الظلام بالعشىّ كانهـــا   منارة ممسى راهبٍ متبتّـــل

الى مثلها يرنو الحليم صبابةً   اذا ما اسبكرّت بين درع ومجول

تسلّت عمايات الرجال عن الصبا   وليس فوادى عن هواك بمنسل

الا رُبَّ خصمٍ فيكِ أَلْوَى رددتهُ   نصيحٍ على تعذالهِ غير مؤتل

وليلٍ كموج البحر ارخى سدولهُ   علىّ بانواع الهموم ليبتـــلى

فقلت لهُ لما تمطّى بصلبـــه   واردف اعجازًا وناء بكلكـل

الا ايها الليل الطويل الا انجلى   بصبحٍ وما الاصباح منك بامثل

فيا لك من ليلٍ كان نجومهُ   بكل مغار الفتل شُدّت بيذبل

كان الثريا عُلّقت فى مصامها   بامراس كتّان الى صُمّ جندل

وقربة اقوامٍ جعلت عصامها   على كاهلٍ منى ذلول مرحّل

ووادٍ كجوف العير قفرٍ قطعتهُ   به الذيب يعوى كالخليع المُعيّل

فقلت له لمّا عوى ان شاننا   قليل الغنى ان كنت لما تموّل

كلانا اذا ما نال شياء افاتهُ ... ومن يحترث حرثى وحرثك يُهزَلِ

وقد أغتدِى والطير فى وكَناتها ... بمُنجرِدٍ قيد الاوابد هيكلِ

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معًا ... كجلمود صخرٍ حطّهُ السيَل من عَلِ

كُمَيتٍ يذل اللبد عن حال متنهِ ... كما ذلّت الصفواء بالمتنزّلِ

على الذبل جيّاشٍ كان اهتزامهُ ... اذا جاش فيه حميه غَلْيَ مِرجلِ

مسحٍ اذا ما السابحات على الونى ... اثرن الغبار بالكديد المركّلِ

بذل الغلام الخِفَّ عن صهواتهِ ... ويلوى باثواب العنيف المثقّل :.

دربرٍ كخدروف الوليد أمَرّهُ ... تتابُعُ كفّيهِ بخيطٍ موصّلِ

له أيطلا ظبىٍ وساقا نعامةٍ ... وارخآء سرحانٍ وتقريب تنقل

ضليعٍ اذا استدبرتهُ سد فرجهُ ... بضافٍ فُويق الارض ليس باعزلِ

كأنّ على المتنين منه اذا انتحى ... مداك عروس او صلاية حنظلِ

كانّ دمآ الهاديّات بنحرهِ ... عصارة حِنّآء بشيبٍ مرجّل

فعنّ لنا سربٌ كأنّ نعاجهُ ... عذارى دوارٍ فى ملآءٍ مذيّلِ

فادبرن كالجزع المفصّل بينهُ ... بجيدٍ مُعَمٍّ فى العشيرة مُخولِ

فالحقنا بالهاديات ودونهُ ... جواحرها فى صَرّةٍ لم تزيّلِ

فعادَى عِداء بين ثورٍ ونعجةٍ ... دراكًا ولم ينضح بماءٍ فيُغسلِ

فظل طهاة اللحم ما بين منضجٍ ... صفيف شواءٍ او قديرٍ معجّلِ

ورحنا يكاد الطرف يقصر دونهُ ... متى ما ترقّ العين فيه تسهّلِ

فبات عليه سرجهُ ولجامهُ ... وبات بعينى قايمًا غير مرسل

اصاحِ ترى برقا اريك وميضهُ ... كلمع اليدين فى حبىّ مكلّل

يضئُ سناهُ او مصابيح راهبٍ اهال السليط بالذبال المفتّلِ
قعدتُ له وصحبتى بين ضارجٍ وبين العذيب بعد ما متامّلى
على قطنٍ بالشيم ايمن صوبهِ وايسرهُ على الستار فيذبلِ
فاضحى يسح الماء حول كُتيفةٍ يكبُّ على الاذقان دوح الكنهبلِ
ومرَّ على القنان من نفيانهِ فانزل منه العصم من كل منزلِ
وتيماء لم يترك بها جذع نخلةٍ ولا أُطُمًا الا مشيدًا بجندلِ
كأنَّ ثبيرًا فى عرانين وبلهِ كبير اناسٍ فى بجادٍ مزمّلِ
كأنَّ ذُرى راس الجُبيمر غدوةً من السيل والاغثاء فلكة مغزلِ
والقى بصحراء الغبيط بعاعهُ نزول اليمانى ذى العياب المحمّلِ
كأنَّ مكاكىَّ الجواء غُديّةً صبحن سلافًا من رحيقٍ مفلفلِ
كان السباع فيهِ غرقى عشيّةً بارجآيهِ القصوى انابيش عنصلِ

وقال زهير بن ابى سلمى المزنى

أمِن أُمّ اوفى دِمنةٌ لم تكلّمِ بحومانةِ الدّراج فالمتثلّمِ
ودارٌ لها بالرقمتين كانها مراجيع وشمٍ فى نواشرِ معصمِ
بها العِين والآرام يمشين خلفةً واطلآؤها ينهضن من كل مجثمِ
وقفت بها من بعد عشرين حجّةً فلأيًا عرفت الدار بعد توهّمِ
اثافىَّ سفعًا فى معرّس مرجلٍ ونؤيًا كجذم الحوض لم يتثلّمِ
فلما عرفت الدار قلت لربعها الا أنعم صباحا ايها الربع واسلمِ
تبصّر خليلى هل ترىَ من ظعاينٍ تحمّلن بالعلياء من فوق جُرثمِ

علون بانماطٍ عتاقٍ وكِلّةٍ ورادٍ حواشيها مشاكهة الدمِ
ووركن فى السوبان يعلون متنهُ عليهن دلُّ الناعم المتنعمِ
بكرن بكورًا واستحرن بسحرةٍ فهن ووادى الرسّ كاليد فى الفمِ
وفيهن ملهًى لِلَّطِيف ومنظرٌ انيقٌ لعين الناظر المتوسمِ
كان فتات العهن فى كل منزلٍ نزلن بهِ حَبُّ الفنا لم يُحَطَّمِ
فلما وردن الماء زرقًا حمامهُ وضعن عُصيّ الحاضر المتخيمِ
جعلن القنان عن يمينٍ وحزنهُ وكم بالقنان من محلٍ ومحرمِ
ظهرت من السوبان ثم جزعنهُ على كل قَينىّ قشيب ومُفأَّمِ
فاقسمت بالبيت الذى طاف حولهُ رجالٌ بنوهُ من قريش وجُرهُمِ
يمينا لنعم اليَدّانِ وجدتما على كل حال من سحيلٍ ومبرمِ
سعى ساعيًا غيظ بن مرة بعدما تبزَّل ما بين العشيرة بالدمِ
تداركتما عبسًا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشمِ
وقد قلتما ان ندرك السلم بعدها بمالٍ ومعروفٍ من القول نسلمِ
فاصبحتما منها على خير موطنٍ بعيدين فيها من عقوقٍ ومأثمِ
عظيمين فى عليا معدّ هديتما ومن يستبح كنزًا من المجد يعظمِ
تعفى الكلوم بالمئين فاصبحت ينجّمها من ليس فيها بمجرمِ
ينجّمها قومٌ لقوم غرامةً ولم يهرقوا ما بينهم ملأ محجمِ
فاصبح يجرى فيهِم من تلادكم مغانم شتّى من أفالٍ مُزَنّمِ
الا أبلِغ الاحلاف عنى رِسَالةً وذبيان هل اقسمتم كل مقسمِ
فلا نكتمن اللّه ما فى صدوركم ليخفى ومهما يُكتَم اللّه يعلمِ

يُؤَخَّر فيوضع فى كتابٍ فيُدَّخَر ليوم الحساب او يُعَجَّل فيُنقَمِ

وما الحرب الّا ما علمتم وذقتمُ وما هو عنها بالحديث المرجَّمِ

متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتضرَ اذا اضريتموها فتَضرمِ

فتعرككُم عرك الرحَى بثفالها وتلقح كشافًا ثم تنتج فتُتئمِ

فتنتج لكم غلمان اشام كلهمُ كاحمرِ عادٍ ثم ترضع فتفطمِ

فتغلل لكم ما لم تغلّ لاهلها قُرًى بالعراق من قفيز ودرهمِ

لعمرى لنعم الحىّ جرّ عليهمِ بما لا يُؤاتيهم حُصَين بن ضمضمِ

وكان طوى كشحًا على مستكنّةٍ فلا هُوَ ابداها ولم يتقدمِ

وقال ساقضى حاجتى ثم اتّقى عدوى بالفٍ من ورآى ملجمِ

فشدّ ولم يفزع بيوتًا كثيرةً لدى حيث القت رحلها أُمّ قشعمِ

لدى اسدٍ شاك السلاح مقذّفٍ لهُ لبدٌ اظفارهُ لم تُقَلَّمِ

جرىٍّ متى يُظلَم يُعاقِب بظلمهِ سريعا والّا يُبدَ بالظلم يظلمِ

رعوا ظِمْأهم حتى اذا تمّ اوردوا غمارًا تفرّى بالسلاح وبالدمِ

فقضّوا منايا بينهم ثم اصدروا الى كَلَاءٍ مستوبلٍ متوخمِ

لعمرك ماجرّت عليهم رماحهم دم ابن نهيك او قتيل المُثلّمِ

ولا شاركت فى الموت فى دم نوفل ولا وهَب منها ولا ابن المُخزَّمِ

فكلّا اراهم اصبحوا يعقلونهُ صحيحات مال طالعات بمخرمِ

لِحَىٍّ حِلالٍ يعصم الناسَ امرهم اذا طرقت احدى الليالى بمعظمِ

كرام فلا ذو الضغن يدرك تَبلَهُ لديهم ولا الجانى عليهم بمُسلمِ

سئمتُ تكاليف الحيوة ومن يعش ثمانين حولاً لا ابالك يسأمِ

واعلم ما فى اليوم والامس قبلهُ ولكننى عن علم ما فى غدٍ عمِ
رايت المنايا خبط عشواء من تصب تمتهُ ومن تخطى يُعمّر فيهرمِ
ومن لا يصانع فى امورٍ كثيرةٍ يَعُزْها ومن لا يتّق الشتم يُشتَمِ
ومن يكُ ذا فضل فيبخل بفضلهِ على قومه يُستغنَ عنه ويُذمَمِ
ومن يوفِ لا يُذمَمْ ومن يُهدَ قلبهُ الى مطمئنّ البرِّ لا يتجمجمِ
ومن هاب اسباب المنايا ينلنهُ وان يَرقَ اسباب السماء بسُلَّمِ
ومن يجعل المعروف فى غير اهلهِ يكن حمده ذمًّا عليه ويندمِ
ومن يعص اطراف الزجاج فانهُ يطيع العوالى رُكِّبت كل لهذَمِ
ومن لا يَذُد عن حوضهِ بسلاحهِ يُهَدَّم ومن لا يظلم الناسَ يُظلَمِ
ومن يغترب يحسب عدوًّا صديقهُ ومن لا يُكرِّم نفسهُ لا يُكرَّمِ
ومهما يكن عند آمرءٍ من خليقةٍ وان خالها تخفى على الناس تُعلَمِ
وكأيّنْ ترى من صامت لك معجبٍ زيادتهُ او نقصهُ فى التكلمِ
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فوادهُ فلم يبقَ الا صورة اللحم والدمِ
وان سفاه الشيخ لا حلمَ بعدهُ وان الفتى بعد السَفاهة يحلمِ
سالنا فاعطيتم وعدنا فعدتمْ ومن اكثر التسآل يومًا سيحرمِ

وقال الاعشى ميمون بن جندل الاسدى

ودّع هُرَيرة ان الركب مرتحلُ وهل تطيقُ وداعًا ايها الرجلُ
غرّاء فرعاء مصقولٌ عوارضها تمشى الهُوينا كما يمشى الوجى الوحِلُ
كأنّ مشيتها من بيت جارتها مرُّ السحابة لا ريثٌ ولا عجلُ

تسمعُ للحَلْي وسواسا اذا انصرفت كما استعان بريح عشرقٌ زجلُ
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختتلُ
يكاد يصرعها لولا تشدّدها اذا تقوم الى جاراتها الكسلُ
اذا تلاعب قرنًا ساعةً فترت وارتجّ منها ذنوب المتن والكفلُ
صفر الوشاح وملُ الدرع بهكنةٌ اذا تأتّى يكاد الخصر ينخزلُ
نعم الضجيع غداة الدجن يصرعها للذة المرء لاجاف ولا تفلُ
هركولةٌ فنقٌ درمٌ مرافقها كأنّ اخمصها بالسوك منتعلُ
اذا تقوم يضوع المسك اصورةً والزنبق الورد من اردانها شملُ
ما روضةٌ من رياض الحزن معشبةٌ خضراء جاد عليها مسبل هطلُ
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شرقٌ مؤزّرٌ بعميم النبت مكتهلُ
يومًا باطيب منها نشر رائحة ولا باحسن منها اذ دنا الأُصُلُ
عُلِّقتها عَرَضًا وعُلِّقَت رجلا غيري وعُلِّق اخرى غيرها الرجلُ
وعلّقته فتاةٌ ما يحاولها ومن بني عمها ميتٌ بها وَهِلُ
وعلّقتنيَ اخرى ما تلائمني فاجتمع الحب حبٌ كله تبلُ
فكلنا مغرمٌ يهذي بصاحبه ناءٍ ودانٍ ومحبول ومحتبلُ
صدّت هُرَيرة عنا ما تكلمنا جهلا بام خُلَيد حبل من تصلُ
أأن رأت رجلا اعشى اضرّ به ريب المنون ودهرٌ مفندٌ خبلُ
قالت هريرة لما جئت زائرها ويلٌ عليك وويلٌ منك يارجلُ
اما ترينا حفاة لا نعال لنا انا كذلك ما نحفى وننتعلُ
وقد اخالس رب البيت غفلتهُ وقد يحاذر مني ثم ما يئلُ

وقد اقود الصبى يوما فيتبعنى ... وقد يصاحبنى ذو الشدة الغزلُ
وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى ... شاوٍ مشلٌّ شلولٌ شلشلٌ شللُ
فى فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... ان هالكٌ كل من يحفى وينتعلُ
نازعتهم قضب الريحان متكيًّا ... وقهوة مزّةً راووقها خضــــلُ
لا يستفيقون منها وهى راهنةٌ ... الّا بهاتِ وان عُلّوا وان نهلوا
يسعى بها ذو زجاجات لهُ نطفٌ ... مقلّقٌ اسفل السربال معتملُ
ومستجيب تخال الصنج يسمعهُ ... اذا ترجّع فيه القينة الفضلُ
والساحبات ذيول الريط آونةً ... والرافلات على اعجازها العجلُ
من كل ذلك يومٌ قد لهوت بهِ ... وفى التجارب طول اللهو والغزلُ
وبلدة مثل ظهر الترس موحشةٍ ... للجنّ بالليل فى حافاتها زجلُ
لا يتمنّى لها بالقيظ يركبها ... الا الذين لهم فى ما اتوا مهلُ
جاوزتها بطليح جسرة سرحٍ ... فى مرفقيها اذا استعرضتها فتلُ
بل هل ترى عارضا قد بتّ ارمقهُ ... كانما البرق فى حافاته شعلُ
لــــهُ رداف وجوزٌ مفأمٌ عملٌ ... منطّقٌ بسجال الماء متصـــلُ
لم يلهنى اللهو عنه حين ارقبه ... ولا اللذاذة من كاسٍ ولا شغلُ
فقلت للشرب فى دُرّنا وقد ثملوا ... شيموا وكيف يشيم الشارب الثملُ
قالوا نمارٌ فبطن الخال جادهما ... فالعسجديــة فالأبلاءُ فالرجلُ
فالسفح يجرى فخنزيرٌ فبرقتــهُ ... حتى تدافع منه الربو فالجبلُ
حتى تحمّل منهُ الماءَ تكلفةً ... روض القطا فكثيب الغينة السَهلُ
يسقى ديارًا لها قد اصبحت غرضًا ... زورا تجانف عنها القود والرسلُ

ابلغ يزيد بني شيبان مالكة — ابا ثُبيت اما تنفك تأتكلُ
الست منتهيا عن نحت اثلتنا — ولست ضايرها ما أطّت الابلُ
كناطح صخرةً يومًا ليفلقها — فلم يضرها واوهى قرنه الوعلُ
تغرى بها رهط مسعودٍ واخوته — عند اللقآء فتردى ثم تعتزلُ
لا اعرفنّك ان جدّت عداوتنا — وراية النصر منكم عوض تحتملُ
تلزم ارماح ذي الجدّين سورتنا — عند اللقآء فترديهم وتعتزلُ
لا تقعدن وقد اكلتها حطبًا — تعوذ من شرها يوما وتبتهلُ
سائل بني اسد عنا فقد علموا — ان سوف ياتيك من انبآينا شكلُ
واسال قُشيرًا وعبد الله كلهمُ — واسال ربيعة عنا كيف نفتعلُ
انا نقاتلهم حتى نقتّلهم — عند اللقآء وان جاروا وان جهلوا
قد كان في ال كهف ان هم احتربوا — والجاشريّة ما تسعى وتنتضلُ
اني لعمرو الذي حطت مناسمها — تخدى وسيق اليه الباقر الغيلُ
لئن قتلتم عبيدا لم يكن صددًا — لنقتلَنْ مثلهُ منكم فنمتثلُ
لئن منيت بنا عن غب معركةٍ — لا تلفنا عن دمآء القوم ننتفلُ
لا تنتهون ولن ينهى ذوي شطط — كالطعن يهلك فيه الزيت والفتُلُ
حتى يظل عميد القوم مرتفقًا — يدفع بالراح عنه نسوةٌ عجلُ
اصابهُ هندوانيٌّ فاقصدهُ — او ذابلٌ من رماح الخط معتدلُ
كلاّ زعمتم بانا لا نقاتلكم — انّا لامثالكم ياقومنا قتلُ
نحن الفوارس يوم الحنو ضاحيةً — جنبي فطيمة لا ميلٌ ولا عُزُلُ
قالوا الطراد فقلنا تلك عادتنا — او تنزلون فانّا معشرٌ نُزُلُ

قد تخضب العير من مكنون فايلة وقد يشيط على ارماحنا البطلُ

وقال لبيد بن ربيعة العامرى

عَفَت الديار محلُّها فمقامها بمنىً تابَّد غولُها فرجامُهَا
فمدافع الريان عُرّى رسمها خلقًا كما ضمن الوحىّ سلامها
دمنٌ تجرَّم بعد عهد انيسها حججٌ خلون حلالها وحرامها
رُزِقت مرابيع النجوم وصابَها وَدْقُ الرواعد جَودُها فرِهامها
من كل سَارية وغاد مدجنٍ وعشيَّةٍ متجاوبٍ ارزامها
فعلا فروع الايهقان واطفلت بالجهلتين ظبآؤها ونعامها
والعين ساكنةٌ على اطلائها عوذًا تأجّل بالفضآ بهامها
وجلا السيول عن الطلول كانها زُبُرٌ تجدّ متونها اقلامها
او رجع واشمةٍ أُسِفَّ نُؤورها كِفَفًا تعرّض فوقهنّ وشامها
فوقفت اسألها وكيف سؤالنا صُمّا خوالد ما يبين كلامها
عريت وكان بها الجميع فابكروا منها وغودِر نُؤيُها وثُمَامها
شاقتك ظعن الحىّ حين تحمّلوا فتكنّسوا قُطُنًا تصِرّ خيامها
من كل محفوف يُظِلّ عِصيَّهُ زوجٌ عليه كِلَّةٌ وقِرامها
حُفِزت وزايلها السراب كانها اجزاع بيشة أثلُها ورِضامها
بل ما تذكّر من نُوارَ وقد نأت وتقطّعت اسبابها ورمامها
مُرِّيّةٌ حلّت بفَيْدَ وجاورت اهل الحجاز فاين منك مرامها
بمشارق الجبلين او بمحجّر فتضمّنتها فردةٌ فرخامها

فضوايقٌ ان ايمنت فمظنّةٌ منها وحاف القهر او طلخامها

فاقطع لبانة من تعرض وصلهُ ولَشَرُّ واصل خلّةٍ صَرّامها

واحب المجامل بالجميل وصرمهُ باقٍ اذا اظلعت وزاغ قوامها

بطليح اسفارٍ تركن بقيّةً منها فاحنق صلبها وسنامها

واذا تعالى لحمها وتحسّرت وتقطعت بعد الكلال خدامها

فلها هبابٌ فى الزمام كانها صهباء راح مع النسيم جهامها

او مُلمعٌ وسقت لأحقبَ لاحَهُ طرد الفحول وضربها وكدامها

يعلو بها حَدَبُ الاكام مُسَحَّجٌ قد رابه عصيانها ووحامها

بأحزّة الثلبوت يربأ فوقها قفر المراقب خوفها آرامها

حتى اذا سَلَخا جُمادَى ستةً جَزَأ فطال صيامهُ وصيامها

رجعا بامرهما الى ذى مِرّةٍ حصدٍ ونجح صريمةٍ ابرامها

ورمى دوابرها السَفَا وتهيّجت ريح المصايف سومها وسَهَامها

فتنازعا سبطًا يطير ظلالهُ كدخان مشعلةٍ يشبّ ضرامها

مشمولةٍ غُلِثَت بنابتِ عرفجٍ كدخان نارٍ ساطع اسنامها

فمضى وقدّمها وكانت عادةً منه اذا هى عرّدت إقدامها

وتوسطا عرض السَرِىّ وصدّعا مسجورةً متجاورًا قُلّامها

محفوفةً وسط اليراع يظلّها منهُ مصرّع غابةٍ وقيامها

افتلك ام وحشيةٌ مسبوعةٌ خذلت وهادية الصوار قيامها

خنساء ضيّعت الفرير فلم تُرِم عرض الشقايق طوفها وبغامها

لمعفّرٍ قهدٍ تنازع شلوهُ غُبْسٌ كواسب ما يُمَنّ طعامها

صادفن منها غرّةً فاصبنهـــا ان المنايا لا تطيش سهامها
باتت واسبل واكفٌ من ديمةٍ يروى الخمايل دايمًا تسجامها
تجتاف اصلاً قالصـًا متنبذًا بعجوب انقآء يميل هيامهـــا
يعلو طريقة متنها متواتــرٌ فى ليلةٍ كفر النجوم غمامها
وتضى فى غلس الظلام منيرةً كجمانة البحرىّ سُلّ نظامهـــا
حتى اذا انحسر الظلام واسفرت بكرت تزلّ عن الثرى ازلامها
عَلِهَت تردّد فى نهآء صعايدٍ سبعًا تؤامًا كاملاً ايامهـــا
حتى اذا يَئِسَت واسحَقَ حالقٌ لم يُبلهِ ارضاعها وفطامهـــا
وتوجّسَت رزّ الانيس فراعهـــا عن ظهر غيبٍ والانيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب انه مولى المخافة خلفها وامامها
حتى اذا يَئِسَ الرماة وارسلوا غُضْفًا دواجن قافلًا اعصامها
فلحقن واعتكرت لها مَدَرِيّةٌ كالسَمهرية حدّهـــا وتمامها
لتذودهنّ وايقنت ان لم تَذُد ان قد احمّ من الحتوف حمامها
فتقصّدت منها كسابِ فضُرّجت بدمٍ وغُودِرَ فى المَكَرّ سُخامها
فبتِلْكَ اذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب اردية السراب اكامها
اقضى اللبانة لا افرّط ريبــةً او ان يلوم بحاجـــةٍ لوامها
او لم تكن تدرى نُوَارُ باننى وَصّال عقد حبايلٍ جَذّامهـــا
تَرّاكُ امكنـــةٍ اذا لم أَرضَها او يرتبط بعض النفوس حمامها
بل انتِ لا تدرين كم من ليلة طلقٍ لذيذٍ لهوها وندامها
قد بتّ سَاهرها وغاية تاجـــر وافيت اذ رُفِعَت وعَزّ مُدامها

أُغلي السِباء بكل ادكن عاتقٍ ... او جونةٍ قُدِحَت وفُضَّ ختامها

وصبوحِ صافيةٍ وجذب كرينةٍ ... بمُوَتَّرٍ تأْتالهُ ابهامها

باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسحرةٍ ... لأُعَلَّ منها حين هبَّ نيامها

وغداة ريحٍ قد وزعت وقرَّةٍ ... قد اصبحت بيد الشمال زمامها

ولقد حميت الحي تحمل شِكَّتي ... فُرُطٌ وشاحي اذ غدوت لجامها

فعلوت مرتقبًا على ذي هبوةٍ ... حَرِجٍ الى اعلامهنَّ قتامها

حتى اذا القت يدًا في كافرٍ ... واجنَّ عورات الثغور ظلامها

اسهلت وانتصبت كجذع منيفةٍ ... جرداء يحصر دونها جرَّامها

رفعتُها طرد النعام وشلَّهُ ... حتى اذا سخنت وخفَّ عظامها

ترقى وتطعن في العنان وتنتحي ... ورد الحمامة اذ أَجَدَّ حمامها

قلقت رحالتها واسبل نحرها ... وابتلَّ من زبد الحميم حزامها

وكثيرةٍ غُرَبآؤها مجهولةٍ ... ترجى نوافلها ويخشى ذامها

غلبٍ تشذَّر بالذحول كانها ... جنُّ البَدِيِّ رواسيا اقدامها

انكرت باطلها وبُؤْتُ بحقها ... عندي فلم يفخر عليَّ كرامها

وجزور ايسارٍ دعوت لحتفها ... بمغالقٍ متشابه اجسامها

ادعو بهنَّ لعاقرٍ او مطفلٍ ... بُذِلت لجيران الجميع لحامها

فالضيف والجار القريب كانما ... هبطا تبالة مخصبًا اهضامها

تأوي الى الاطناب كل رذيَّةٍ ... مثل البلّية قالصٍ اهدامها

ويكلّلون اذا الرياح تناوحت ... خُلُجًا تمد شوارعًا ايتامها

انا اذا التقت المجامع لم يزل ... منا لزاز عظيمة جشّامها

ومقسمٌ يعطى العشيرة حقها ومغذمرٌ لحقوقها هَضّامها
فضلاً وذو كرمٍ يعين على الندى سَمْحٌ كسوب رغايبٍ غَنّامها
من معشرٍ سنّت لها آباؤهم ولكل قومٍ سنةٌ وإمامها
ان يفزعوا تلقَ المغافرِ عندهم والسنّ تلمع كالكواكب لامها
لا يطبعون ولا تبور فعالهم بل لا تميل مع الهوى احلامها
فبنوا لنا بيتًا رفيعًا سمكهُ فسما اليهِ كهلها وغلامها
فاقنع بما قسم المليك فانما قسم المعايش بيننا علّامها
واذا الامانة قُسِمت فى معشرٍ اوفى باعظم حظنا قَسّامها
فهم السعادة اذا العشيرة افظعت وهُمُ فوارسها وهُمْ حُكّامها
وهُمْ رُبيعٌ للمجاور فيهِم والمرملات اذا تطاول عامها
وهم العشيرة ان يُبطِّئَ حاسدٌ او ان يميل مع العداة لئامها

وقال عمرو بن كلثوم التغلبى

أَلَا هبّى بصحنك فاصبحينا ولا تُبقِى خمور الأَندَرينا
مشعشعةً كان الحصَّ فيها اذا ما الماء خالطها سخينا
تجور بذى اللبانة عن هواهُ اذا ما ذاقها حتى يلينا
ترى اللَحِزَ الشحيح اذا أُمِرّت عليهِ لمالهِ فيها مهينا
صددتِ الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمينا
وما شر الثلثة ام عمرٍو بصاحبك الذى لا تصحبينا
وانّا سوف تدركنا المنايا مقدَّرةً لنا ومقدّرينا

وان غدًا وان اليوم رهنٌ   وبعد غدٍ بما لا تعلمينا
قفى قبل التفرق يا ظعينا   نخبرك اليقين وتخبرينا
بيوم كريهةٍ ضربًا وطعنًا   اقر بهِ مواليكِ العيونا
قفى نسالكِ هل احدثتِ صرمًا   لوشك البين ام خنت الامينا
تريك وقد دخلت على خلاه   وقد امنت عيون الكاشحينا
ذراعى عيطلٍ ادماء بكرٍ   تربّعت الاجارع والمتونا
وثديًا مثل حق العاج رخصًا   حصانًا من اكفّ اللامسينا
ومتنى لدنةٍ طالت ولانت   روادفها تنوءُ بما يلينا
تذكرت الصبا واشتقت لمّا   رايت حمولها أُصُلًا حُدينا
واعرضت اليمامة واشمخرّت   كاسيافٍ بايدى مصلتينا
فما وجدت كوجدى ام سُقبٍ   اضلّتهُ فرجّعَتِ الحنينا
ولا شمطآء لم يترك شقاها   لها من تسعةٍ الّا جنينا
اباهندٍ فلا تعجل علينا   وأَنظِرنا نخبرك اليقينا
بانّا نورد الرايات بيضًا   ونصدرهنّ حمرًا قد روينا
وان الطعن بعد الطعن ينشو   عليك ويخرج الداء الدفينا
وسيد معشرٍ قد توّجوهُ   بتاج الملك يحمى المحجرينا
تركنا الخيل عاكفةً عليهِ   مقلّدة اعنّتها صُفونا
وايامٍ لنا غرٍّ طوالٍ   عصينا الملك فيها ان ندينا
وقد هرّت كلاب الحى منا   وشذّبنا قتادة ان يلينا
متى ننقل الى قوم رحانا   يكونوا فى اللقآء لها طحينا

يكون ثقالها شرقى نجدٍ ولهوتها قضاعة اجمعينا
ورثنا المجد قد علمت معدٌّ نطاعن دونه حتى يبينا
ونحن اذا عماد الحى خرّت على الاحفاظ نمنع من يلينا
ندافع عنهم الاعداء قدمًا ونحمل عنهم ما حمّلونا
نطاعن ما تراخى الناس عنا ونضرب بالسيوف اذا غشينا
بسمرٍ من قنا الخطّىّ لُدْنٍ ذوابل اوببيضٍ يختلينا
نشق بها روؤسَ القوم شقًا وتختلب الرقاب فيختلينا
تخال جماجم الابطال فيها وسوقًا بالاماعر يرتمينا
نحزّ روسهم فى غير برٍّ ولا يدرون ماذا يتّقونا
كان سيوفنا منا ومنهم مخاريقٌ بايدى لاعبينا
كانّ ثيابنا منا ومنهم خُضِبن بارجوانٍ او طُلِينا
اذا ما عىَّ بالاسناف حىٌّ من الهول المشبَّه ان يكونا
نصبنا مثل رهوة ذات حبل محافظةً وكنا السابقينا
بفتيان يرون القتل مجدًا وشِيبٍ فى الحروب مجربينا
حُدَيّا الناس كلهم جميعًا مقارعةً بنيهم عن بنينا
فاما يوم خشيتنا عليهم فتصبح فى الحديد مقنّعينا
واما يوم لا نخشى عليهم فنمعن غارةً متلبّبينا
برأس من بنى خُشَم بن بكرٍ ندقّ بهِ السهولة والحزونا
باى مشيئة عمرو بن هند نكون لخلفكم فيها قطينا
تهددنا وتوعدنا رويدًا متى كنا لامك مقتوينا

فان قناتنا ياعمرو اعيت على الاعداء قبلك ان تلينا
اذا عضّ الثقاف بها اشمأزت وولّتهُ عشوزنةً زبونا
عشوزنةً اذا غُمِزَت ارنّت تشج قفا المثقف والجبينا
فهل حُدِّثتَ عن جشم بن بكرٍ بنقصٍ فى خطوب الاولينا
ورثنا مجد علقمة بن سيفٍ اباح لنا حصون المجد دينا
ورثت مهلهلاً والخير منهُ زهيرًا نعم ذخر الذاخرينا
وعتّابًا وكلثومًا جميعًا بهم نلنا تراث الاكرمينا
وذا البُرَة الذى حدثت عنهُ به نحمى ونحمى الملتجينا
ومنا قبلهُ الساعى كليبٌ فأىُّ المجد الّا قد ولينا
متى نعقد قرينتنا بحبلٍ نجذّ الحبل او نَقِص القرينا
ونوجد نحن امنعهم ذمارًا واوفاهم اذا عقدوا يمينا
ونحن غداة أُوقِد فى خزازٍ رفدنا فوق رفد الرافدينا
ونحن الحابسون بذى اراطٍ تسف الجلّة الخور الدرينا
ونحن الحاكمون اذا أُطِعنا ونحن العازمون اذا عُصِينا
ونحن التاركون لما سخطنا ونحن الآخذون لما رضينا
وكنا الايمنين اذا التقينا وكان الايسرين بنو ابينا
فصالوا صولة فى من يليهم وصلنا صولة فى من يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا وأُبنا بالملوك مصفّدينا
اليكم يابنى بكرٍ اليكم أَلَمّا تعلموا منا اليقينا
علينا البيض واليَلَب اليمانى واسياف يقمن وينحنينا

علينا كل سابغةٍ دلاصٍ ترى فوق النجاد لها غضونا
اذا وضعت عن الابطال يومًا رايت لها جلود القوم جونا
كان غضونهن متون غُدرٍ تصفقها الرياح اذا جرينا
وتحملنا غداة الروع جردٌ عُرفن لنا نقايد وافتُلينا
ورثناهنّ عن آبآء صدق ونورثها اذا متنا بنينا
وقد علم القبايل من معدٍّ اذا قببٌ بابطحها بُنِينا
بانا المنعمون اذا قدرنا وانا المهلكون اذا ابتُلِينا
وانّا الحاكمون بما اردنا وانا النازلون بحيث شينا
وانا الشاربون الماء صفوًا ويشرب غيرنا كدرًا وطينا
وانا النازلون بكل ثغرٍ يخاف النازلون به المنونا
الا سايل بنى الطماح عنا ودُعميًا فكيف وجدتمونا
نزلتم منزل الاضياف منا فعجّلنا القرى ان تشتمونا
قريناكم فعجّلنا قراكم قُبَيل الصبح مرداةً طحونا
على اثارنا بيضٌ كرامٌ تحاذر ان تفارق او تهونا
ظعاين من بنى جشم بن بكرٍ خلطن بميسمٍ حسبا ودينا
اخذن على بعولتهنّ عهدًا اذا لاقوا فوارس معلمينا
ليستلبنَ افراسًا وبيضًا واسرى فى الحديد مقرّنينا
اذا ما رحن يمشين الهُوَينا كما اضطربت متون الشاربينا
يقدن جيادنا ويقلن لستم بعولتنا اذا لم تمنعونا
اذا لم نحمهنّ فلا بقينا لخيرٍ بعدهن ولا حيينا

وما منع الظعاين مثل ضربٍ   ترى منه السواعد كالقُلِينا
لنا الدنيا ومن اضحى عليها   ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفًا   أبينا ان يقرّ الخسف فينا
نسمى ظالمين وما ظلمنا   ولكنا نبيد الظالمينا
الا لا يجهلن احدٌ علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا
ونعدو حين لا يعدى علينا   فنضرب بالمواضى من لقينا
الا لا تحسب الاعداء انّا   تضعضعنا وانّا قد فنينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا   كذاك البحر نملأهُ سفينا
اذا ناح الفطام لنا وليدٌ   تخرُّ لهُ الجبابر ساجدينا

وقال طرفة بن العبد البكرى

لخولة اطلالٌ ببُرقة ثهمدِ   تلوح كباقى الوشم فى ظاهر اليدِ
وقوفًا بها صحبى علىّ مطيّهم   يقولون لا تهلك اسًى وتجلد
كان حدوج المالكية غدوة   خلايا سفين بالنواصف من دَد
عدولية او من سفين ابن يامن   يجور بها الملاّح طورا ويهتدى
يشقّ حباب المآء حيزومها بها   كما قسم الترب المفايل باليد
وفى الحى احوى ينفض المرد شادنٌ   مظاهر سمطَى لؤلؤ وزبرجد
خذولٌ تراعى ربربا بخميلة   تناول اطراف البريد وترتدى
وتبسم عن ألمى كان منوّرا   تخلل حرّ الرمل دعصٌ لهُ ند
سقته اياة الشمس الّا لثاته   أُسفّ ولم تكدم عليه باثمد

ووجهٍ كأن الشمس القت رِدآءها عليهِ نقيّ اللون لم يتخدَّدِ
وانى لامضى الهمّ عند احتضارهِ بهوجآء مرقالٍ تروح وتغتدى
امونٍ كالواح الاران نسأتها على لاحبٍ كانه ظهر برجدِ
تبارى عتاقًا ناجياتٍ واتبعت وظيفا وظيفًا فوق مورٍ معبَّدِ
تربَّعت القفَّين بالشول ترتعى حدايــــق مولىّ الاسرَّة اغيدِ
تريع الى صوت المهيب وتتَّقى بذى خصلٍ روعات اكلف ملبدِ
كان جناحى مضرجىّ تكنفا حفافيه شكًّا فى العسيب بمسردِ
فطورًا بهِ خلف الزميل وتارةً على حشفٍ كالشنّ ذاوٍ مجددِ
لها فخذان اكمل النحض فيهما كانهما بابــا منيف ممرَّدِ
وطىٌّ محال كالحنىّ خلوفــهُ واجرنـــةٌ لُزَّت بدأيٍ منضَّدِ
كان كناسى ضالةٍ يكنفانها وأطر قسّيٍ تحت صلبٍ مؤيَّـدِ
لها مرفقان افتلان كانمـــا تمرُّ بسلمَــــى دالجٍ متشددِ
كقنطرة الرومىّ اقسم ربُّها لتُكتنَفَن حتى تشاد بقرمدِ
صهابية العثنون موجدة القرى بعيدة وخد الرجل موّارة اليدِ
امرّت يداها فتل شزرٍ واجنحت لها عضادها فى سقيفٍ مسّندِ
جنوحٌ دفاقٌ عندلٌ ثم افرعت لها كتفاها فى مُعَالًى مصعَّدِ
كان علوب النسع فى دَأْياتها موارد من خلقآء فى ظهر قرددِ
تلاقى واحيانا تبين كانها بنايق غُـــرٌّ فى قميص مقدَّد
واتلع نهَّاضٌ اذا صعدت بــهِ كسكّان بُوصيٍ بدجلة مصعد
وجمجمةٌ مثل العلاة كانمـا وعى الملتقى منها الى حرف مبرد

وخدٌّ كقرطاس الشآمي ومشفرٌ كسبت اليماني قدّهُ لم يجرَّدِ

وعينان كالماويّتين استكنّتا بكهفي حجاجي صخرة قلت موردِ

طحوران عوّار القذى فتراهما كمكحولتي مذعورةٍ امّ فرقد

وصادقتا سمع التوجّس للسرى لهجس خفيٍّ او لصوتٍ مندّد

مؤلّلتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاةٍ بحومل مفردِ

واروع نبّاضٌ احذُّ ململمٌ كمرداة صخر في صفيحٍ مصمدِ

واعلم مخروتٌ من الانف مارنٌ عتيقٌ متى ترجم بهِ الارض تزددِ

وان شئت لم ترقل وان شئت ارقلت مخافة ملويّ من القد محصد

وان شئت سامى واسط الكور راسها وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد

على مثلها امضي اذا قال صاحبي الا ليتني افديك منها وافتدي

وجاشت اليه النفس خوفا وخالهُ مصابًا ولو امسى على غير مرصدِ

اذا القوم قالوا مَن فتًى خلت انني عُنيت فلم اكسل ولم اتبلد

احلتُ عليها بالقطيع فاجذمت وقد خبّ آل الامعز المتوقد

فذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها اذيال سحل ممدّد

ولست بحلّال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم ارفد

وان تبغني في حلقة القوم تلقني وان تلتمسني في الحوانيت تصطد

وان يلتق الحيّ الجميع تلاقني الى ذروة البيت الكريم المصمد

متى تاتني اصبحك كاسًا رويّةً وان كنت عنها غانيا فاغن وازدد

نداماي بيضٌ كالنجوم وقينةٌ تروح علينا بين برد ومجسد

رحيبٌ قطاب الجيب منها رقيقةٌ بجسّ الندامى بضّة المتجرد

اذا نحن قلنا اسمعينا انبرت لنا   على رسلها مطروقةً لم تشدّدِ

ومازال تشرابى الخمور ولذتى   وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى

الى ان تحامتنى العشيرة كلها   وافردت افراد البعير المعبّدِ

رايت بنى غبراء لا ينكروننى   ولا اهل هذاك الطراف الممددِ

الا ايها اللاحىّ ان اشهد الوغى   وان اشهد اللذات هل انت مخلدى

فان كنت لا تستطيع دفع منيتى   فدعنى ابادرها بما ملكت يدى

فلولا ثلثٌ هن من عيشة الفتى   وجدّك لم احفل متى قام عُوّدى

فمنهن سبقى العاذلات بشربةٍ   كُمَيتٍ متى ما تُعلَ بالماء تزبدِ

وكرّى اذا نادى المضاف محنّبًا   كسيد الغضا نبّهتهُ المتورّدِ

وتقصير يوم الدجن والدجن معجبٌ   ببهكنةٍ تحت الخباء المعمّدِ

كان البرين والدمالج علّقت   على عُشرٍ اوخروعٍ لم يُخضّدِ

كريمٌ يروّى نفسهُ فى حيوتهِ   ستعلم ان متنا صدًى أيّنا الصدى

ارى قبر نحّام بخيل بماله   كقبر غوىٍّ فى البطالة مفسد

ترى جثوتين من ترابٍ عليهما   صفائح صُمٌّ فى صفيحٍ منضّدِ

ارى الموت يعتام النفوس ويصطفى   عقيلة مال الفاحش المتشددِ

ارى العيش كنزا ناقصًا كل ليلة   وما تنقص الايام والدهر ينفدِ

لعمرك ان الموت ما اخطاء الفتى   لكا لطِوَل المُرخى وثنياهُ فى اليدِ

اذا شاء يوما قاده بزمامه   ومن يك فى حبل المنية ينقدِ

فما لى ارانى وابن عمى مالكا   متى ادنُ منه ينأ عنى ويبعدِ

يلوم وما ادرى على ما يلومنى   كما لامنى فى الحى قرط بن اعبدِ

وايأسنى من كل خير طلبتهُ كانَّا وضعناهُ الى رمس ملحدِ
على غيرشى قلتهُ غير اننى نشدت فلم اغفل حمولة معبدِ
وقربت بالقربى وجدك انهُ متى يكُ امر للنكيثة اشهد
وان أُدعَ فى الجُلَّى اكن من حماتها وان ياتك الاعداء بالجهد اجهدِ
وان يقذفوا بالقذع عرضك اسقهم بكاس حياض الموت قبل التهدد
بلا حدثِ احدثتهُ وكمحدثِ هجاءى وقذفى بالشكاة ومطردى
فلو كان مولاى ابن أصرم مسهرٌ لفرّج كربى او لانظرنى غدى
ولكن مولاى امرؤ هو خانقى على الشكر والتسال او انا مفتدِ
وظلم ذوى القربى اشد مضاضةً على المرء من وقع الحسام المهنَّدِ
فذرنى وخُلقى اننى لك شاكرٌ ولو حل بيتى نائبًا عند صرعدِ
فلوشآء ربى كنت قيس بن خالد ولوشآء ربى كنت عمر بن مرثد
فاصبحت ذا مال كثير وزارنى بنون كـرامٌ سادةٌ لمسوّد
انا الرجل الجعد الذى تعرفونهُ خشاشٌ كراس الحية المتوقدِ
فآليت لاينفك كشحى بطانة لابيض عضب الشفرتين مهنّد
حسامٍ اذا ما قمت منتصرًا به كفى العود منه البدء ليس بمعضد
اخى ثقةٍ لاينثنى عن ضريبةٍ اذا قيل مهلا قال حاجرهْ قدى
اذا ابتدر القوم السلاح وجدتنى منيعا اذا بلّت بقائمه يدى
وبرك هجودٍ قد اثارت مخافتى نواديَها امشى بعضب مجردِ
فمرت كهاةٌ ذات خيف جلالةٌ عقيلة شيخ كالوبيل يلندد
يقول وقد ترّ الوظيف وساقها الست ترى ان قد اتيت بمؤيد

وقال الا ماذا ترون بشاربٍ   شديدٍ عليكم بغيهُ متعمدِ

فقال ذروها انما نفعها لهُ   والّا تردّوا قاصىَ البرك يزددِ

فظلّ الاماء يمتللنَ حوارها   ويُسعَى علينا بالسديف المسرهدِ

لعمرى ما امرى علّى بغمّةٍ   نهارى ولا ليلى علىّ بسرمدِ

اذا انت لم تنفع بودك قربةً   ولم تنكِ بالبُؤسى عدوك فابعدِ

ارى الموت لا يرعى على ذى قرابة   وان كان فى الدنيا عزيزًا بمقعدِ

فان متّ فانعينى بما انا اهلهُ   وشقّى علىّ الجيب يابنت معبدِ

ولا تجعلينى كامرءٍ ليس همهُ   كهمى ولا يغنى غناءى ومشهدى

بطىٍّ عن الجلى سريعٍ الى الخنا   ذلولٍ باجماع الرجال ملهّدِ

فلوكنت وغلاً فى الرجال لضرنى   عداوة ذى الاصحاب والمتوحدِ

ولكن نفى عنى الاعادىَ جرأتى   عليهم واقدامى وصدقى ومحتدى

واصفر مصبوحٍ نظرت حوارهُ   على النار واستودعتهُ كف مجمد

ويوم حبست النفس عند عراكها   حفاظا على عوراتهِ والتهددِ

على موطن يخشى الفتى عندهُ الردى   متى تعترك فيهِ الفرايص ترعدِ

ولا خير فى خير ترى الشر دونهُ   ولا قايلٍ ياتيك بعد التلدّدِ

لعمرك ما الايام الّا مُعَارةٌ   فما اسطعت من معروفها فتزوّدِ

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا   وياتيك بالاخبار من لم تزوّدِ

ويأتيك بالاخبار من لم تبع لهُ   بتاتا ولم تضرب لهُ يوم موعدِ

ارى الموت اعداد النفوس ولا ارى   بعيدًا غدًا ما اقرب اليوم من غد

عن المرء لا تسال وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدى

وقال عنترة بن شداد العبسي.

هل غادر الشعرآء من متردّمِ ــ ام هل عرفت الدار بعد توهم

اعياك رسم الدار لم يتكلمِ ــ حتى يكلمك الاصمّ الاعجمي

يادار عبلة بالجوآء تكلمي ــ وعمي صباحًا دار عبلة واسلمي

دارٌ لانسةٍ غضيضٍ طرفها ــ طوع العناق لذيذة المتبسم

فوقفتُ فيها ناقتي وكانها ــ فَدَنٌ لاقضي حاجة المتلوّم

وتحل عبلة بالجوآء واهلها ــ بالحَزن فالصُمّان فالمتثلم

حُيّيتَ من طللٍ تقادم عهدهُ ــ اقوى واقفر بعد امّ الهيثم

وتظل عبلة في الخدور تجرُّها ــ واظلُّ في حلق الحديد المبهم

حلّت بارض الزايرين فاصبحت ــ عسرا على طلابك ابنة مخرم

عَلِقتها عرضًا واقتل قومها ــ زعمًا لعمر ابيك ليس بمزعم

ولقد نزلتِ فلا تظنّي غيرهُ ــ مني بمنزلة المُحَبّ المُكرَم

اني عداني ان ازورك فاعلمي ــ ما قد علمتِ وبعض ما لم تعلمي

حالت رماح بني بغيضٍ دونكم ــ وزرت خوافي الحرب كل ململم

ياعبل لو ابصرتني لرايتني ــ في الحرب اقدم كالهزبر الضيغم

كيف المزار وقد تربع اهلها ــ بعنيزتين واهلنا بالغيلم

ان كنت ازمعتِ الفراق فانما ــ ذُمّت ركابكم بليل مظلم

ما راعني الا حمولة اهلها ــ وسط الديار تسف حب الخمخم

فيها اثنتان واربعون حلوبة ــ سودا كخافية الغراب الاسحم

اذ تستبيك بذي غروب واضح ــ عذب مقبّله لذيذ المطعم

وكان فارة تاجرٍ بقسيمـــةٍ　　سبقت عوارضها اليك من الفمِ

. او روضـةً أُنُفًا تضمّن نبتهـا　　غيثٌ قليل الدمن ليس بمعلمِ

نظرت اليك بمقلةٍ مكحولـةٍ　　نظرِ الملول بطرفهِ المتقسم

وبحاجبٍ كالنون زيّن وجهها　　وبناهدٍ حسنٍ وكشحٍ اهضم

ولقد امرّ بدار عبلة بعد ما　　لعب الربيع بربعها المتوسمِ

جادت عليه كل بكرٍ حُرّةٍ　　فتركن كل قرارةٍ كالدرهمِ

سحا وتسكابًا فكل عشيـةٍ　　يجرى عليها الماء لم يتصرمِ

وخلا الذباب بها فليس ببارحٍ　　غَرِدًا كفعل الشارب المترنمِ

هزجًا يحكّ ذراعهُ بذراعـهِ　　قدح المُكبّ على الزناد الاجذمِ

تمسي وتصبح فوق ظهر حشيّة　　وابيتُ فوق سراة ادهم ملجمِ

وحشيّتى سرجٌ على عبل الشوى　　نهدٍ مراكلهُ نبيل الحزمِ

هل تُبلِغَنّى دارها شَدَنيّـةٌ　　لعنت بمحروم الشراب مصرّمِ

خطّارةٌ غبَّ السُرَى زيّافـةٌ　　تَطِسُ الاكام بوقع خفٍ ميثمِ

وكانما تَطِسُ الاكام عشيـة　　بقريب بين المنسمين مصلّم

تأوى له قلص النعام كما اوت　　حِزَقٌ يمانيةٌ لاعجم طمطـم

يتبعن قلّة راسه وكانـهُ　　حِرجٌ على نعشٍ لهنّ مخيّم

صعلٍ يعود بذى العشيرة بيضه　　كالعبد ذى الفرو الطويل الاصلم

شربت بماء الدحرضين فاصبحت　　زوراء تنفر عن حياض الديلم

وكانما ينأى بجانب دفّها ال　　وحشيّ من هزج العشيّ مؤوّم

هرٍّ جنيبٍ كلما عطفت له　　غضبى اتّقاها باليدين وبالفم

بركت على جنب الرداع كانما بركت على قصبٍ اجشّ مهضّمِ
وكان رُبًّا او كُحَيلا معقــــدًا حشّ الوقود بهِ جوانب قمقم
بلّت مغابنها بهِ فتوسعـــت منهُ على سعنٍ قصيمِ مكرم
ابقى لها طول السفار مقرمدًا سندًا ومثـــل دعايم المتخيم
ينباع من ذفرى عضوبٍ حسرةٍ زيافةٍ مثل الفنيق المكــرمِ
ان تغدقي دوني القناع فانني طبٌّ باخذ الفارس المستلئمِ
اثنى على بما علمتِ فانني سهلٌ مخالفتي اذا لم أُظلــمِ
فاذا ظلمت فان ظلمي باسلٌ مرٌّ مذاقتهُ كطعم العلقــمِ
ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشوف المعلـمِ
بزجاجـــةٍ صفراء ذات اسرّةٍ قُرِنَت بازهر في الشمال مفدّم
فاذا شربت فانني مستهلكٌ مالي وعرضي وافرٌ لم يكلم
واذا صحوت فما اقصّر عن ندى وكما علمتِ شمايلي وتكرمي
وحليل غانيةٍ تركت مجندلاً تمكو فرايصهُ كشدق الاعلم
سبقت يداى له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم
هلّا سالتِ الخيل يا ابنة مالك ان كنتِ جاهلة بما لم تعلمي
اذ لا ازال على رحالة سابح نهدِ تعاوَرَهُ الكماة مكلَّم
طورًا يجرد للطعــــان وتارةً يأوى الى حصد القِسِيّ عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة انني اغشى الوغى واعفّ عند المغنم
ولقد ابيت على الطوى واظلّهُ حتى انال بهِ كريم المطعــم
ومدجّج كره الكماة نزالهُ لا ممعن هربـــا ولا مستسلم

جادت يداى له بعاجل طعنةٍ بمثقفٍ صدق الكعوب مقوَّمِ
فشككت بالرمح الطويل ثيابهُ ليس الكريم على القنا بمحرَّمِ
وتركتهُ جزر السباع ينشنهُ يقضمن حسن بنانه والمعصمِ
ومشكّ سابغةٍ هتكت فروجها بالسيف عن حامى الحقيقة مُعلَمِ
رَبذٍ يداهُ بالقداح اذا شتا هتاك غايات التجار ملوَّمِ
لما رانى قد نزلت اريدهُ ابدى نواجذهُ لغير تبسُّمِ
فطعنتهُ بالرمح ثم علوتهُ بمهنَّدٍ صافى الحديدة مخذمِ
عهدى بهِ مدَّ النهار كانما خضب البنان وراسه بالعظلمِ
بطلٌ كان ثيابهُ فى سرحةٍ يحذى نعال السبت ليس بتوأَمِ
ياشاة ما قنصٍ لمن حلَّت لهُ حرمت علىَّ وليتها لم تحرمِ
فبعثت جاريتى وقلت لها اذهبى وتجسّسى اخبارها لى واعلمى
قالت رايت من الاعادى غرَّةً والشاة ممكنةٌ لمن هو مرتمِ
وكانما التفتت بجيد جدايةٍ رشاءٍ من الغزلان حرٍّ ارثمِ
نُبّئتُ عمرًا غير شاكر نعمتى والكفر مخبثةٌ لنفس المنعمِ
ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى اذ تقلص الشفتان عن وضح الفمِ
فى حومة الموت التى لا تشتكى غمراتها الابطال غير تغمغمِ
اذ يتَّقون بىَ الاسنة لم اخم عنها ولكنى تضايق مقدمى
لما سمعت نداء مرَّة قد علا وبنى ربيعة فى الغبار الاقتمِ
ومحلّمٌ يسعون تحت لوآيهم والموت تحت لوآء آل محلمِ
ايقنت ان سيكون عند لقائهم ضربٌ يطير عن الفراخ الجُثَّمِ

لما رايت القوم اقبل جمعهم يتذامرون كررت غير مذمّمِ
يدعون عنترَ والرماح كانها اشطان بئرٍ فى لبان الادهمِ
يدعون عنترَ والسيوف كانها لمع البوارق فى سحابٍ مظلمِ
يدعون عنترَ والدروع كانها حدق الضفادع فى غديرٍ ديجم
ولقد تركت المهرَ يُدمَى نحرهُ حتى التقتنى الخيل ثانى جذعمِ
مازلت ارميهم بثغرةِ نحره ولبانهِ حتى تسربل بالدمِ
فازوَرَّ من وقع القنا بلبانهِ فشكا الىَّ بعبرةٍ وتحمحم
لوكان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى
ولقد شفى نفسى وابرأ سقمها قول الفوارس ويك عنترَ اقدمِ
والخيل تقتحم الخبار عوابسًا ما بين شيظمةٍ واجرد شيظمِ
ذُلُلٌ ركابى حيث شيت مشايعى لبى واحفزهُ بامرٍ مُبرَم
ولقد خشيت بان اموت ولم يكن للحرب دايرةٌ على ابنى ضمضم
الشاتمى عرضى ولم اشتمهما والنادرين اذا لم القهما دمى
ان يفعلا فلقد تركت اباهما جزر السباع وكل نسرٍ قشعم

وكان من شعرآء العرب المعدودين حاتم الطائىّ الذى تضرب به الامثال فى الجود الا ان شهرة جودهِ غلبت على شعره اذ لم يكن لهُ نظيرٌ فى الكرام وكانت نظرآؤهُ كثيرةً فى الشعر ومن ثَمَّ راينا ان نختم كتابنا هذا بذكرهِ فان فيهِ من الامرين ما تلتذّ به المسامع وبشتاق اليه

المطالع فنقول هو حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج من ولد ثُعَل الطاءىّ وامهُ غنيَّة بنت عفيف بن عمرو كان من شعرآء العرب المشاهير وخطبآيهم الفصحآء وكرامهم المسرفين وكان منقطع النظير فى الكرم فسار ذكرهُ فى الآفاق وضُرِبَت بهِ الامثال ولهجت بهِ الشعرآء قال بعضهم

لمّا سالتـك شيًّا بدلت رشدًا بغَىّ
ممّن تعلّمتَ هذا ان لا تجود بشىّ
اما مررت بعبدٍ لعبد حاتم طىّ

وقال اخـر

لمجود حاتم طىٍّ وحاتم البخل عَونُ
لـه مصابيح بيضٌ والعرض اسود جَون

وقال اخـر

وحاتم طىّ ان طوى الموت جسمهُ فنشر اسمه فى الجود عاش مخلّدا

وكان من حديث حاتم ان اباهُ عبدالله توفى وهو لم يبلغ من العمر اثنتى عشرة سنة فربّاهُ جدُّهُ سعد واحسن اليهِ ثم زوّجهُ بامرأةٍ جميلة المنظر يقال لها نوار بنت عبدالله فولدت لهُ ابنة سمّاها سفّانة وبها يُكنّى وكانت امه غنية من افضل الناس عقلاً وكرمًا فعلّمتهُ اسباب المكارم وتطرّق على ذلك حتى برع فيهِ وكان من عادته ان لا يجلس وحدهُ على طعامه فاذا لم يحضرهُ احدٌ من اضيافه دعا بعض رجال الحىّ ياكل معهُ وعلى ذلك خولهُ يخاطب نوار امرانهُ

ايا ابنة عبد الله وابنة مالك ويا ابنة ذى البُردَين والفرس الورد
اذا ما صنعتِ الزاد فالتمسي لهُ اكولاً فاني لست آكلهُ وحدى

وقال في مثل ذلك

اذا كان بعض المال ربًّا لاهلهِ فاني بحمد الله مالى مُعَبَّدُ
يُفَكُّ بهِ العاني ويُؤكل طيّبًا ويُعطَى اذا ضنَّ البخيل المصرَّدُ
كذاك امور الناس راضٍ دنيَّةً وسامٍ الى فرع العُلى مُتورِّدُ

وكان جدُّهُ سعد بخيلاً يكره بذل المال فأنِف من افعال حاتم واراد ابعادهُ عن الناس بحيث لايرى من ينفق ماله عليهِ فقال لهُ ذات يومٍ يابُنَيَّ ان اموالنا قد قلَّ مرعاها فاريد منك التلطف في امرها قال حبًّا وكرامة فسلَّم اليهِ قطعة عظيمة من الابل واعطاه جارية ومهرة من كرام خيلهِ وارسلهُ الى صحرآء بعيدة منقطعة عن الناس فمضى حاتم واقام هناك مدةً وهو لا يرى احدًا فضاق صدرهُ واشتاق الى لقآء الرجال ولما كان بعض الايام اقبل عليهِ ثلثة من شعرآء العرب المشاهير قد خرجوا في طلب المعاش وهم عُبَيد بن الابرص الاسديّ وبشر بن ابى حازم القُرَشيّ والنابغة الذبيانيّ فاستقبلهم حاتم بالكرامة وسالهم النزول عليهِ فقالوا هل عندك شيٌ من الزاد قال نعم فنزلوا وقام حاتم فنحر ثلثا من النوق واضرم النار فعجبوا من ذلك وقالوا ما هذا يا ابا سفَّانة قد تجاوزت حدَّ الاسراف قال قد علمت انكم من ثلث قبايل فنحرت اكراما لكل قبيلة ناقة فاستعرضوا امرهُ ومدحوهُ بابيات من الشعر حتى اذا ارادوا الانصراف

قال يا قوم قد اردت ان اتفضّل عليكم بالقرى فتفضّلتم عليّ بالثناء ولا بد من القيام بالمكافاة قالوا ذاك اليك فاعطاهم كل ما عندهُ من الابل وزادهم الجارية والمهرة ورجع الى الحي راجلاً فلما راهُ جدّهُ قال اين الابل يا حاتم قال اجزت بها شعرآء العرب واشتريت بذلك ذكرًا لا يبلى وفخرًا لا يزول فاستشاط سعدٌ غضبًا واخذ بقيّة امواله ورحل باهله عنهُ وفي ذلك يقول حاتم

واني لعفو الفقر مشترك الغنى وتارك شكلٍ لا يوافقهُ شكلي
وجاعل مالي دون عرضيَ جُنّةً لنفسي ومستغنٍ بما كان من فضلي
وما ضرّني ان سار سعد باهلهِ وافردني في الدار ليس معي اهلي
سيكْفَى ابتناء المجد سعد بن حشرجٍ واحمل عنكم كلّ ما شقّ من ثقلِ
ولي مَعَ بذل المال في المجد صولةٌ اذا الحرب ابدت عن نواجذها العُضلِ

ومن حديث حاتم انهُ نزل في بعض اسفاره على بني فهم وكان فيهم جارية بارعة الجمال يقال لها ماوية بنت افرز وكانت قد وضعت على نفسها ان لا تتزوج الا بمن تختبر اخلاقهُ حتى لا تسقط في الندامة فضربت حول خبآيها سرداقًا للضيوف وكان كل طارقٍ ياتيها تمتحنهُ حتى تقف على دخيلة امرهِ وما زالت كذلك حتى نزل حاتمٌ بقومها وكان قد سبقهُ اليها رجلان من الشعرآء يخطبانها احدهما النابغة الذبياني والاخر رجلٌ من بني مُزَينة فحضر حاتمٌ اليهما وارسلوا اليها جميعًا يعلمونها بقدومهم فارسلت اليهم ان يبيتوا ليلتهم في السرداق فاذا كان الغد استحضرتهم الى مجلسها وبعثت لكل

واحد منهم جزورًا يصلح منهُ لنفسهِ ما شآء من الطعام فوثب كلٌّ الى جزورهِ فنحرهُ واضرم النار ولما علمت ماوية بذلك خلعت ثيابها ولبست ثياب امةٍ لها وخرجت اليهم كانها سائلةٌ تستعطى وكان اول من وقفت عليه النابغة فاستطعمتهُ فاعطاها قليلاً من خبايث الجزور فاخذتهُ ومرّت على المُزَنىّ فاعطاها كذلك ثم انتهت الى حاتم فاقتطع لها كثيرًا من اطايب الجزور وتلطّف لها فى كلامهِ فانصرفت وقد وقع حاتم فى قلبها موقعًا جليلاً ولما دخلت خباءها دفعت ما معها من اللحم الى جاريتها وقالت احفظيه الى الغد ولما كان الصباح استحضرتهم الى مجلسها واستنشدتهم ما يَصِفون انفسهم بهِ فقال النابغة

هلاَّ سألتِ بنى ذبيان عن حسبى يوم الطعان اذا ما احمرّت الحَدَقُ
وجاءت الخيل مُبتلّا رحايلها بالمآء يقطر من لبّاتها العَلَقُ
قد اطعن الفارس الماضى عزيمتهُ بعامل الرمح والاحشآء تخترقُ
والخيل تعلم انى لا اقاس بها حتى يقاس بثوب حادثٍ خَلَقُ
ولى لسانٌ اذا نلت الملوك بهِ امسى علىّ سحاب المال يندفقُ

وقال المُزَنىّ

اماويةٌ ان ترغبى فى فصاحةٍ فان الى مثلى الفصاحة تُنسبُ
وان ترغبى فى المال فالمال هيّنٌ وليس على مثلى اذا شآء يصعبُ
وان ترغبى فى الجود منى فأهلهُ ونارىَ لا تخبو اذا حنّ غيهبُ
وان ترغبى فى خوض يوم كريهة فانى فى الهيجآء ليثٌ مُحرّبُ

وانىَ من لا ينثني عن مقامهِ اذا لم يَنَل منهُ الذى كان يطلبُ

وافضت النوبة الى حاتم فانشد يقول

اماويــــةُ طال التجنُّب والهجرُ وقاومنى فيما احاولــهُ الدهــرُ

أماوِىَ ان المال غــــادٍ ورايحٌ ويبقى من المال الاحاديث والذكرُ

أماوىَ ان المال لا ينفع الفتى اذا نفسهُ ضاقت وضاق بها الصدرُ

امــاوىَ انى لا اقــول لسائلٍ اذا جآء يومًا حلَّ فى مالنا النزرُ

اماوىَ ان يصبح صداىَ بقفرةٍ من الارض لا مآءَ لدىَّ ولا خمرُ

تَرَى انَّ ما انفقت لم يَكُ ضرَّنى وان يدى مما بخلــتُ بهِ صَفرُ

وقد علم الاقوام لو انَّ حاتمًا اراد ثـــرآء المال كان له وفرْ

وانىَ لا آلُو بمال صنيعــــةٍ فاولهُ زادٌ واخره ذخـــــرُ

يُفَــكُّ بهِ العانى ويُؤكل طيبًا ويُحفَظ عرضٌ ان هذا هو العمرُ

بُلِينا زمانًا بالتصعلك والغنى وكــلٌّ سقاناهُ بكاسيهما الدهرُ

فما زادنا بغيًا على ذى قرابــةٍ غنانا ولا ازرى باحسابنا الفقرُ

فلما فرغ حاتمٌ من انشادهِ قالت ماوية والله لا يسمع احدٌ مثل هذه الابيات ويبقى عندهُ قيمةٌ للمال ثم دعت بالطعام وكانت قد امرت الجارية ان تقدّم الى كل واحدٍ منهم ما اعطاها اياهُ لما استطعمته امس فعلت كذلك فاطرق النابغة والمُزَنيُّ الى الارض وخرجا منصرفين ولبث حاتم عندها فرفعت الحجاب وقالت ان رايت ان تطلّق نوار فانا مكانها قال لا والله لاتسمح نفسى بذلك ثم فارقها وانصرف الى ديار طىّ فما لبث الا قليلاً حتى تُوُفِّيَت زوجتهُ نوار فنازعتهُ

نفسهُ الى ماوية وعاد اليها فتزوج بها وحملها الى قومه وكان يومئذٍ
ابن ست وعشرين سنة ومما يُحكَى عن زوجتهِ ماوية قالت اتت
علينا سنةٌ شديدة القحط حتى نفذ كل ما عندنا من القوت واضرّ
الجوع بكل من فى الحىّ حتى ذبحوا جميع المواشى التى عندهم
واشتدَّ الامر جدًا حتى ضجّت اولادنا من الجوع فاخذت اعللهم
بالحديث حتى ناموا ثم اضجّعت ولم ياخذنى نومٌ وبينما انا كذلك
اذا امراةٌ دخلت الخباء فقال حاتم ما حاجتك اينتها المراة قالت ان
لى ستة اولادٍ لم يذوقوا الطعام منذ ايامٍ قال احضريهم فوالله
لأُشبِعنَّهم الليلة قالت ماوية كل ذلك يجرى وانا سامعةٌ وحاتم
يظنُّ انى نايمة فلما ذهبت المراة نهضت وقلت ياحاتم بماذا تشبع
اولادها واولادك لم يناموا الا بالتعليل فاطرق براسهِ الى الارض
وما لبثت المراة ان جآءت باولادها فوثب حاتم الى فرسه حلاب
التى كانت من كرام الخيل فى الجاهلية وكان لم يبقَ لهُ من الماشية
غيرها فنحرها واضرم النار واعطى المراة شفرةً وقال اقطعوا واشتووا م
بدا لكم ثم قال والله لا يحسن ان نشبع وجيرتنا جياعٌ فدعا من
حولهُ وجلسوا ياكلون حتى لم يتركوا الا العظام وقيل انهُ مرّ
يومًا بحلّة بنى عنزة فاجتاز باسيرٍ عندهم وكان الاسير صعلوكا لا
يملك الفدآء فلما راى حاتما صاح اغثنى يا ابا سفّانة ولم يكن
مع حاتم ما يفديه بهِ فضمن الفدآء لامر الحلة فأبى الا ان يقبض
قبل اطلاق الاسير فاقام حاتم مكانهُ فى الاسر وارسل الاعرابىّ الى

قومه فى احيآءطيّ بعلامة منهُ حتى اتى بالفدآء فدفعهُ الى القوم
واطلق نفسهُ من اسرهم قيل ان احد قياصرة الروم بلغتهُ اخبار
جود حاتم فاستغرب ذلك وكان قد بلغهُ ان لحاتم فرسًا من كرام
الخيل عزيزةً عندهُ فارسل اليهِ بعض حُجّابهِ يطلب منهُ الفرس هديّةً
اليهِ وهو يريد ان يمتحن سماحتهُ بذلك فلما دخل الحاجب
ديارطيّ سال عن ابيات حاتم حتى دخل عليهِ فاستقبلهُ احسن
استقبال ورحب بهِ وهو لا يعلم انهُ حاجب الملك وكانت المواشى
حينئذٍ فى المراعى فلم يجد اليها سبيلًا لقرى ضيفهِ فنحر الفرس
واضرم النار ثم دخل الى ضيفهِ يحادثه فاعلمهُ انهُ رسول قيصر قد
حضر يستميحهُ الفرس فسآء ذلك حاتمًا وقال هلّا اعلمتنى قبل الان
فانى قد نحرتها لك اذ لم اجد جزورًا غيرها بين يدىّ فعجب الرسول
من سخآيهِ وقال والله قد راينا منك اكثر مما سمعنا وقيل ان
حاتمًا جلس يومًا للشراب ودعا اليه من كان فى الحلّة فحضروا وكانوا
ينيفون عن مايتى رجل فلما فرغوا من شرابهم وارادوا الانصراف
اعطى كل واحدٍ منهم ثلثًا من النوق وفد حاتم على عمرو بن
هند ملك الحيرة ومعهُ اوس بن حارثة وكان من كرام العرب فقال
عمرو لأوس انت اكرم ام صاحبك حاتم فقال إبيت اللعن لو
وهبتنى لحاتم لوهبنى فى ساعةٍ واحدة واخبار حاتم فى الكرم
اكثر من ان تُحصى فاقتصرنا منها على ما ذكرناهُ

تمت اخبار الشعرآ وبتمامها تمَّ هذا الكتاب الذى جمعنا فيهِ ما لاق

وراق من اخبار العرب المتقدمين التى نقلناها من اسفارٍ شتّى عن
ثقات المورخين فجاء بحمد الله كتابًا كاملًا شاملًا يغني عن كثيرٍ من
مطوّلات الاسفار ولا يملّ الناظرِ فيهِ من اسهاب الروايات وتطويل
الاخبار وانا التمس ممن طابت سريرتهُ وحسنت سيرتهُ ان يتجاوز
بفضلهِ عما طغى بهِ القلم وزلّت بهِ القدم فان الكمال لله وحدهُ
ولا عصمة الا عندهُ وهو حسبنا ونعم الوكيل وكان الفراغ
من تبييضهِ يوم الخميس في اواسط شهر تشرين
الثاني سنة احدى وخمسين وثمانماية والف
من التاريخ المسيحي احسن الله
ختامها ويسّر بالخير اتمامها
والحمد لله اولاً واخرًا

وقد كان الفراغ من طبع هذا الكتاب في العشر الاول
من شهر تموز سنة ١١٥٢
بمطبعة الفعلة في مرسلية في سوق كانبير عدد ٤٢